الدكتور ابراهيم السامرائي

رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب
جامعة بغداد

الفعل زمانه وأبنيته

مؤسسة الرسالة

الدكتور ابراهيم السامرائي
رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب
جامعة بغداد

الفعل زمانه وأبنيته

مؤسسة الرسالة

الطبعة الثالثة

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



مؤسسة الرسالة بيروت – شارع سوريا – بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ – ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران



تمهيد

هذا مبحث نحوي تناولت فيه مادة الفعل في العربية ، وذلك للمكان المهم الذي يحتله الفعل في كلام العرب وللاهمية اللغوية لهذه المادة في التفكير النحوي القديم •

وقد بدا لي أن هذه المادة قد شغلت حيزا كبيرا في كتب النحويين الاقدمين ورسائلهم • غير أنهم على شدة اهتمامهم بالفعل قد شغلوا انفسهم بمباحث أبعد ما تكون عن العلم اللغوي ، كما أدى بهم ذلك الى اهمال مسائل كثيرة لم تدخل في منهجهم الذي رسموه لانفسهم •

وسأجلو في هذه الفصول جوانب من العلم النحوي القديم فافصل فيه القول لاخلص الى حقائق نحوية تأخذ من القديم مادة فتبنى عليها شيئا جديدا •

وأنا اذ أقدم للباحثين في العربية هذه الفصول أرجو أن أوفق الى اقناعهم الى حقيقة علمية هي : اننا الآن ندرس النحو التاريخي على نحو ما تركه لنا النحاة الاقدمون دون ان نمسه بشيء ، على انه من الدراسات التاريخية كما ندرس الكثير من العلوم القديمة •

ثم ان العلم اللغوي يقتضينا ان ندرس هذه المادة دراسة جديدة فنقدمها لطلاب العلم على أنها شيء يقتضيه التطور العلمي •

وهذا الاسلوب في العلم النحوي من الحقائق المسلمة في كثير من اللغات •

استوى في هذه الفترة علماً قائماً ذا أصول وفروع وعلل واحكام •

وهذه الأصول والعلل والاحكام قد انتزعوها بطرائقهم معتمدين على النظر القائم على القياس والرواية والاجماع شانهم في ذلك شأن الفقهاء الذين سبقوهم في هذا المضمار •

وقد استوى العلم النحوي حتى اتضحت فيه مذاهب مختلفة وكان من ذلك نحاة البصرة ونحاة الكوفة •

لقد ذكر الباحثون المعاصرون ان مذهب أهل البصرة معتمد على القياس ، وأن مذهب أهل الكوفة معتمد على السماع والرواية ، كما أن مذهب المتقدمين من البصريين كان يعتمد على السماع الى جانب اعتماده على القياس ، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد •

لقد استقرى الخليل بن أحمد وغيره من المتقدمين كلام العرب فتهيأ لهم ان يأخذوا أنفسهم بالقياس • وكان مذهبهم في القياس مبنياً على التشابه بين المقيس والمقيس عليه ، غير أن القياس من مواد المنطق فلا عجب أن أصبح الاغراق فيه والغلو في سلوكه مبعداً للنحو عن الطبيعة اللغوية •

ولعل من المحتمل أن نقبل شيئاً من أقيسة الخليل لدنوها من المنهج اللغوي وان كنا لا نسلم بالقياس أساساً ينبني عليه منهج لغوي نحوي • قاس الخليل جزم الفعل « وأكن » في قوله تعالى : « لولا أخرتني الى أجل قريب فاصدّقَ وأكن من الصالحين » على جر (سايق) في قول زهير :

بدا لي أني لست مدرك مامضى ولا سايق شيئاً اذا كان جائيا

ففي الآية الكريمة كما في بيت زهير عطف على مادة سابقة تختلف عن المعطوف في الاعراب ، فقد عطف فعل مجزوم في الآية على سابق له منصوب ، وقد عطف اسم مجرور على آخر منصوب في « البيت » •

وقد علل جزم الفعل بتوهم أن ما قبله وهو جواب يجيء مجزوماً

كثيراً ، كما علل جر « سابق » بتوهم أنه قد عطف على شيء يكثر جره بالباء[1] .

وهكذا قاس الجزم في الفعل على الخفض في الاسم لما عرض من الشبه الذي يعرض للمسألتين .

فأنت ترى ان الخليل وهو من المتقدمين من النحويين على اتصاله الشديد باللغة وعلى ادراكه الواسع لكلام العرب انساق في تلك الفترة المبكرة في منهج القياس الذي اتصف بالتكلف والاصطناع والبعد عن طبيعة العلم اللغوي الصحيح .

والنظر في النحو وتاريخه يدل على أن هذا المذهب قد بدأه السابقون للخليل فقد اخذ به عبدالله بن ابي اسحق الحضرمي (المتوفى سنة ١١٧هـ) فقد قالوا : انه أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل[2] ، وذكروا أنه كان شديد التجريد للقياس .

وجاء الخليل وسلك الطريقة نفسها ثم جاء من بعده سيبويه والكسائي فأخذا بالقياس حتى ان النحويين نسبوا للكسائي قوله :

انما النحو قياس يتبع   وبه في كل امر ينتفع[3]

وهكذا خط المتقدمون الاساس المهم في البناء النحوي الذي اعتمد عليه اللاحقون اعتماداً تاماً فتوسعوا فيه توسعاً أفسد عليهم مادة النحو في مجموعها . فهذا ابو علي الفارسي يقول : « لأن أخطىء في خمسين مسألة مما بابه الرواية أحب اليَّ من أن اخطىء في مسألة واحدة قياسية »[4] .
والى مثل هذا ذهب ابو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) الذي قال : « اذا

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/٤٥٢ .
(٢) الزبيدي ، طبقات النحويين ٢٦ .
(٣) القفطي ، انباه الرواة ٢/٢٦٧ ، تاريخ بغداد ١١/١٢ .
(٤) ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ٢١٧ .

بطل أن يكون النحو رواية ونقلاً وجب ان يكون قياساً وعقلاً »[٥] •

وقد رأينا الكسائي قد أخذ بالقياس وهو من أئمة الكوفيين وكان من الحق ألا ينساق في سلوك هذا الطريق وذلك لأنه من أصحاب الرواية فهو أحد السبعة في القراءات ، والقراءة تعتمد على الرواية ، ومعنى هذا أنه كان ينبغي ان يعتمد على السماع ولا يأخذ نفسه بالأقيسة التي تبتعد شيئاً فشيئاً عن طبيعة اللغة •

ويدلنا هذا ان النحويين عامة بصريين وكوفيين أخذوا أنفسهم بمنهج متشابه يعتمد على القياس كثيراً ولكنهم اختلفوا في التعليل ، والذين عرضوا لمسائل الخلاف بينوا بوضوح ان كلاً من الفريقين قد التجأ الى تعليلات بعيدة كل البعد عن طبيعة العلم اللغوي كما يفهمه أهل عصرنا هذا •

ولقد جر الأخذ بالقياس الى القول بالتعليل والتماس العلة في اثبات الأحكام والبحث عن « العامل » • وهذه نتيجة طبيعية لسلوك المنهج الذي سلكوه والذي اعتمد الاعتماد كله على التفكير الفلسفي الذي يأخذ بالمنطق •

وربما كان من جناية تلك العصور على كثير من أبواب المعرفة ان الدارسين قد أخذوا أنفسهم باعتماد المنطق ولم يلتفتوا ان لكل علم طبيعته التي تفرض نفسها ، وهكذا أفسد المنطق العلوم اللغوية بحيث ان مسألة العامل قد سيطرت على عقول النحويين ولاسيما المتأخرين منهم ، وانك لا تبعد عن الصواب اذا قلت : ان البحث في النحو في أبوابه الطويلة المختلفة بحث في العلل والعوامل ، والاثر الذى تتركه العوامل في آخر الكلمة وهو ما دعي بـ « الاعراب » • وظاهرة الاعراب قد شغلت أبواب النحو جميعها حتى قالوا ان علم النحو الاعراب • ذكر الزمخشري في مقدمة « المفصل » ما مؤداه أن النحو هو الاعراب وكأن « الاعراب » في تلك المقدمة يعنى النحو بأكمله •

ونستطيع أن نتبين هذا العبث من الغلو في التعليلات منذ أن بدأ هذا

---

(٥) ابن جني ، الخصائص ١/٣٦١ •

العلم يستوى على سوقه • جاء في الـكتاب : « وقال الخليل : « انما » لا تعمل فيما بعدها كما أن (أرى) اذا كانت لغواً لم تعمل • فجعلوا هذا نظيرها من الفعل كما ان نظير « أنّ » من الفعل ما يعمل »[٦] •

ومما اختص به سيبويه من تعليلات ما جاء من ذلك في « الـكتاب » : « ليس في الاسماء جزم لتمكنها وللحاق التنوين • فاذا ذهب التنوين لـــم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة • وليس في الأفعال المضارعة جر كما أنه ليس في الاسماء جزم ، لأن المجرور داخل في المضاف اليه ، معاقب للتنوين ، وليس ذلك في هذه الافعال • وانما ضارعت أسماء الفاعلين انك تقول : ان عبدالله ليفعل فيوافق قولك : لفاعل »[٧] •

ومن ذلك ايضاً قوله : « جعلوا تاء الجمع والنصب مكسورة لانهم جعلوا التاء التي هي حرف الاعراب كالواو والياء • والتنوين بمنزلة النون • لانها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير فاجروها مجراها[٨] •

هذه هي حال النحو في القرنين الاول والثاني الهجريين من حيث أساليب الفهم النحوي ، حتى اذا جاء القرن الثالث والقرون التي تلته تعقد هذا الفهم النحوي حتى أصبح التعليل النحوي عليه المعول أو قـل : ان الاحكام النحوية لا تستقيم الا اذا بنيت على العلة الموجهة •

وكان أبو العباس المبرد يظهر على خصومه بحجة العلة النحوية التي أخذ بها كثيراً • ومن اشتهار مسألة العلة في منهجهم النحوى أنهم اخذوا يفردون لها كتباً • وفي كتب « طبقات النحويين » اشارات الى ذلك •

ولقد ذكرت في مطلع هذه المقدمة ان النحويين انقسموا الى طـائفتين : بصريين وكوفيين • وان البصريين أخذوا بالقياس ، وان الـكوفيين أخذوا بالسماع •

أما القول بأن الـكوفين اخذوا بالسماع فذلك يشير الى أنهم أهـل

---

(٦) سيبويه الـكتاب ١/٢٨٣ •
(٧) المصدر السابق ١/٣ •
(٨) المصدر السابق ١/٥ •

نظر صحيح ، ومعنى هذا أنهم استقروا كلام العرب وبنوا نحوهم على ذلك • غير ان واقع الحال لا يصدق هذا الزعم وذلك ان الكوفيين من النحويين قد عالجوا المسائل على نحو لا يبتعد عن طريقة اصحابهم البصريين بالنسبة لنا ـ نحن أهل هذا العصر ـ •

فهذا الفرّاء يقول لنا في « معانى القرءان » في قوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه •••) فان قال قائل ارأيت الفعل اذا جاء بعد المصادر المؤنثة أيجوز تذكيره بعد الأسماء كما جاز قبلها ؟ قلت : ذلك قبيح وهو جائز ، وانما قبح لان الفعل اذا أتى بعد الاسم كان فيه « مكني » ـ أي ضمير ـ من الاسم فاستقبحوا أن يضمروا مذكراً قبله مؤنث ، والذين استجازوا ذلك قالوا : انما يذهب به الى المعنى وهو في التقديم والتأخير سواء »[٩] •

ومسألة « المكني » أي الضمير يعنى ان الفعل لا يخلو من فاعل ، وهذا يعنى ايضاً أن قولهم « حضر محمد » غير « محمد حضر » ففى الجملة الثانية لا يكون الفاعل (محمد) وانما هو ضمير في (حَضَرَ) وهو الذى دعاه الفراء بـ (مكني) ، وهذا يعني أيضاً أنه لم يختلف عن اصحابه البصريين الا في هذا المصطلح الجديد •

واذا نظرنا في كتاب « الانصاف في مسائل الخلاف » لابى البركات ابن الانباري اتضح ان الكوفيين ليسوا أهل سماع استقروا كلام العرب فبنوا عليه نحوهم ، بل انهم نحاة ذهبوا في نحوهم مذهب اصحابهم البصريين فعللوا وقدروا واختلفوا في التعليل واختلفوا في العامل وطبيعته • ومعنى ذلك ان الاسلوب المنطقى القائم على العامل والعلة والحكم متوفر لدى الباحثين من النحويين الكوفيين •

جاء في المسألة التاسعة والعشرين في « الانصاف » ما يأتي :

ذهب الكوفيون الى ان الظرف ينتصب على الخلاف اذا وقع خبراً

---

(٩) الفراء ، معاني القرءان ١/١٢٨ •

للمبتدأ نحو « زيد امامك وعمرو وراءك » وما اشبه ذلك • وذهب ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب من الكوفيين الى انه ينتصب لان الأصل في قولك « امامك زيد » « حل امامك » فحذف الفعل وهو غير مطلوب ، واكتفي بالظرف منه فبقى منصوباً على ما كان عليه مع الفعل • وذهب البصريون الى أنه ينتصب بفعل مقدر والتقدير فيه : زيد استقر امامك ، وعمرو استقر وراءك • وذهب بعضهم الى انه ينتصب بتقدير اسم فاعل ، والتقدير : زيد مستقر امامك ، وعمرو مستقر وراءك •

اما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : انما قلنا : انه ينتصب بالخلاف وذلك لان خبر المبتدأ في المعنى هو المبتدأ ، الا ترى انك اذا قلت « زيد قائم وعمرو منطلق » كان « قائم » في المعنى هو زيد ، ومنطلق في المعنى هو عمرو ، فاذا قلت « زيد أمامك وعمرو وراءك » لم يكن « أمامك » في المعنى هو زيد ، ولا « وراءك » في المعنى هو عمرو ، كما كان « قائم » في المعنى هو زيد ، و « منطلق » في المعنى هو عمرو فلما كان مخالفاً له نصب على الخلاف ليفرقوا بينهما[١٠] •

وهكذا يذهب كل فريق من الفريقين مذهبه في الاحتجاج الذى يتصف بالتصنع والتكلف ويبتعد كل البعد عن المنهج اللغوي الصحيح الذي لا يحتاج الى هذه التعليلات والاحتجاجات •

هذا عرض سريع لمنهج النحاة الأقدمين على اختلاف مذاهبهم • وقد ورثنا « نحوهم » بعلله واحكامه ومنهجه البعيد عن العلم اللغوي الصحيح وضقنا به وصار الباحثون من المعاصرين يدرسونه ناقدين موجهين ، وطلع غير واحد من هؤلاء علينا بآرائهم النقدية واقتراحاتهم لبناء شيء جديد يقيم هذه العربية على قواعد جديدة • ولعلهم في ذلك قد تأثروا باللغات الحديثة الاوربية وما فيها من نحو يختلف كثيراً في فهمه ومنهجه عما في العربية •

غير ان جماعة من هؤلاء المعاصرين الذين قصدوا الى نقد النحو القديم

---

(١٠) ابن الانباري ، الانصاف ١٥٢/١ •

وبنائه بناء جديداً لم يأخذوا انفسهم بمنهج جديد قائم على الوصف وان كانوا قد ادعوا بادىء ذى بدء ان الوصف والتقرير منهجهم في آرائهم الجديدة •

وهكذا لم يستطيعوا الافلات من المنهج القديم ، فقد استبدلوا بالتعليلات القديمة وبالمنهج القديم تعليلات جديدة • والتعليل من اساسه شيء غريب في المادة اللغوية النحوية ، وهو يتناقض كل التناقض والمنهج الجديد المبنى على الوصف •

ومن هذه المحاولات ما قام به الاستاذ ابراهيم مصطفى من اساتيذ النحو البارزين في كتابه « احياء النحو » • ووسم الكتاب بـ « احياء النحو » اشارة الى أنه قصد ان يهذب النحو ويعيد بناءه على اسس جديدة ، ولذلك دعا الى نبذ القول بالعامل والقول بالعلة النحوية • ثم نظر الى المواد النحوية نظراً فبين فيها آراء جديدة تختلف عما عهدناه في كتب النحو القديم •

وهذه النظرات الجديدة لا تخرج عن التعليل والتفسير والاعتماد على شيء من صفات المنهج القديم •

ولننظر في رأيه في نصب اسم « إن » حيث قال: « لقد راقبنا إن » وخاصة في القرءان الكريم ووجدناها أكثر ما تستعمل متصلة بالضمير مثل : إنا ، إني ، إنك ، إنه •••••

ثم عرض الاستاذ ابراهيم مصطفى لبيان استعمال (إن) في القرءان الكريم وبين انها استعملت في ٦٢٠ آية متصلة بالضمير وفي ٤٤٤ آية متصلة بالظاهر كما اشار الى اتصالها بالموصول والاشارة • ثم عقب على هذا البيان بقوله :

ونعلم من اسلوب العرب أن الأداة اذا دخلت على الضمير مال حسهم اللغوي الى ان يصلوا بينهما فيستبدلون بضمير الرفع ضمير النصب ، لان ضمير الرفع لا يوصل الا بالفعل ، ولان الضمير المتصل أكثر في لسانهم ، وهم احب استعمالا له من المنفصل • قال ابن مالك •

وفي اختيار لا يجيء المنفصل اذا تأتى ان يجيء المتصل

ومن ذلك كلمة « لولا » لا يكون الاسم الظاهر بعدها الا مرفوعاً ايضاً ، ولكن العرب يقولون : لولاه ولولا هو ، ولولاكم ، ولولا انتم : يستعملون ضمير النصب وضمير الرفع •

اما ضمير الرفع فوجه استعماله واضح والموضع موضعه ، واما ضمير النصب فاستجابة لداعية الحس اللغوي من وصل الأداة بالضمير اذا وليها •

ثم يذكر الاستاذ ابراهيم مصطفى نظيراً لذلك في (عسى) واتصاله بضمير الرفع والنصب على السواء ثم يخلص بعد ذلك الى تفسير ذلك وتعليله فيقول :

فهذا المسلك من العربية يفسر لنا ما نراه في استعمال العرب اسم إن منصوباً وما نجده من أثر الرفع فيه ، اذ يجيء احياناً مرفوعاً ثم يعطف عليه ويؤكد بالرفع ايضاً •

وذلك أنهم لما اكثروا من اتباع إن بالضمير جعلوه ضمير نصب ووصلوه بها ، وكثر هذا حتى غلب على وهمهم أن الموضع للنصب ، فلما جاء الاسم الظاهر نصب أيضاً •

وهذا موضع دقيق في العربية ولكنه صحيح مطرد عند الاختبار ، اثبته النحاة وسموه الاعراب على التوهم »[11] •

أقول : ان هذا التعليل لمسألة نصب « اسم إن » يذكرنا باسلوب الأقدمين في تعليل رفع المبتدأ مثلا او نصب المفعول معه او غير ذلك من الموضوعات •

والاستاذ ابراهيم مصطفى في غنى عن سلوك هذا السبيل فيما لو أراد أن يأخذ نفسه بالمنهج العلمي الحديث ، فليس هناك حاجة الى تعليل النصب وليس

---

(١١) ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ٦٨ ـ ٧٠ •

من حكمة أن يقصد الى التيسير بهذا النوع من اساليب البحث •

وقد تأثر تلاميذ ابراهيم مصطفى بآرائه ومالوا اليها وبسطوها في كتبهم وزادوا عليها فنادوا بالغاء العامل والعلل ويسروا ووجهوا ولكنهم لم يسلموا من آثار المنهج القديم الذى لا يكتفي بالوصف والتقرير •

وأنا أخلص من هذه المقدمة فأقرر أنى سأستقري العربية ما وسعنى ذلك محاولا دراسة الفعل العربي زمانه وأبنيته بعد العرض لما تركه الاقدمون في هذه الناحية ثم اختم هذه المسألة بالبحث عن الجملة العربية •

الفعل وأقسامه

الفعل ركن مهم في بناء الجملة العربية • والجملة العربية اسمية او فعلية ذات طرفين هما المسند اليه والمسند • ولم يبحث النحويون الاقدمون في الجملة من حيث انها قضية اسنادية وان الفعل طرف في الاسناد الا قليلا •

ولقد اهتم النحاة القدامى بمسألة الفعل في مباحثهم النحوية كما اهتم في الموضوع نفسه المحدثون في دراساتهم الحديثة • والاهتمام بالفعل يشغل مكاناً مهماً في سائر اللغات • وقد كان اهتمام الأقدمين بهذه المادة غيره عند المعاصرين • كان الاقدمون يرون ان الفعل صاحب العمل وهو عامل قوي بل هو اقوى العوامل فهو يرفع فاعلا وينصب مفعولا كما ينصب سائر ما اسموه بـ (الفضلات) كالمفاعيل والحال ونحو ذلك ، وأنه يعمل اينما كان متقدما ام متأخرا ظاهرا ام مقدرا •

أما اصحاب النظر اللغوي الصحيح من المحدثين فينكرون هذه المعرفة القديمة وهم يرون ان الفعل مادة لغوية مهمة في بناء الجملة وهو لا يعدو ان يكون حدثاً يجرى على أزمنة مختلفة تختلف في المضي كما تختلف في الحال والاستقبال كما يعرب عن اتفاق وتركيب هذه الازمنة بعضها • وليست العربية بدعاً بين اللغات في هذا السبيل فقد دل الاستقراء على نضج الفعل العربى وقدرته على الاعراب عن دقائق الزمن • ولابد ان نعرض لحد الفعل عند النحويين الأقدمين ، ذكر سيبويه : واما الفعل فأمثله أخذت من لفظ أحداث

الاسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع • فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومَكُث وحُمِد واما بناء ما لم يقع فانه قولك آمراً اذهبْ واقتل واضرب ومخبراً يقتلُ ويذهبُ ويضربُ ويقتَلُ ويضرَبُ وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن »[١] •

وصاحب « الكتاب » في عرضه هذا يثبت ان الفعل مادة أخذت من (احداث الاسماء) ويريد باحداث الاسماء المصادر فهو يقول معقباً : والاحداث نحو الضرب والقتل والحمد[٢] •

وجاء في كتاب (الجمل) للزجاجي : « والفعل ما دل على حدث وزمان ماض او مستقبل نحو قام يقوم وقعد يقعد وما اشبه ذلك »[٣] •

وقد كرر الزجاجي هذا التعريف في كتابه « الايضاح في علل النحو »[٤] •

وهو في هذا التعريف قصر الفعل على المضي والاستقبال وهو يرى ان فعل الحال في الحقيقة مستقبل لانه يكون اولا ، فكل جزء خرج منه الى الوجود صار في حيز المضي ، ولهذه العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل نحو : زيد يقوم الآن ويقوم غداً • ولكن الزجاجي في (الجمل) يقول : « الافعال ثلاثة فعل ماض وفعل مستقبل وفعل في الحال يسمى الدائم فالماضي ما حسن فيه أمس نحو قام وقعد وانطلق وما اشبه ذلك ، والمستقبل ما حسن فيه غدٌ كقولك أقوم ويقوم وما أشبه ذلك •

واما فعل الحال فلا فرق بينه وبين المستقبل في اللفظ كقولك : زيد يقوم الآن ويقوم غداً ••• فان اردت ان تخلصه للاستقبال أدخل عليه

(١) سيبويه ، الكتاب ١/٢ •
(٢) ومن هنا يبدو ان سيبويه جعل فعل الامر قسيما ثالثا للفعل وهو ما درج عليه البصريون في تقسيم الافعال • ثم انه قال بوضوح عن أخذ الافعال من المصادر وهو ما قال به البصريون كما سنعرض لهذه المسألة التي تؤلف مادة في الخلاف بين البصريين والكوفيين •
(٣) الزجاجي ، الجمل ص ١٧ •
(٤) الزجاجي ، الايضاح في علل النحو ص ٥٣ •

السين او سوف »[٥] .

وكأن الزجاجي في « الايضاح » غيره في « الجمل » فهو في الايضاح يلتفت الى مسائل اكثر عمقاً مما هي في (الجمل) فيقول مثلا : « والافعال عبارة عن حركات الفاعلين وليست في الحقيقة افعالا للفاعلين وانما هي عبارة عن افعالهم ، وافعال المعبرين عن تلك الافعال »[٦] .

وفي (المفصل) للزمخشري : « ان الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان »[٧] .

وعلى هذا جرت الكتب المدرسية الحديثة في تعريف الفعل ، ولعل في هذا تسوية للفعل واشباه الفعل في العمل كالمصدر واسم الفاعل ونحو ذلك فهي دالة على أحداث مقترنة بزمان خاص وهذا معروف مشهور .

وقال ابن يعيش في شرح المفصل : « لما كانت الافعال مساوقة للزمان والزمان من مقومات الافعال توجد عند وجوده وتنعدم عند عدمه ، انقسمت باقسام الزمان ، ولما كان الزمان ثلاثة : ماض وحاضر ومستقبل ، وذلك من قبل ان الازمنة حركات الفلك فمنها حركات مضت ومنها حركة لم تأت ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية ، كانت الافعال كذلك : ماض ومستقبل وحاضر .... »[٨] .

وابن يعيش في هذا القول يذهب مذهباً بعيداً وهو لا ينهج نهجاً لغوياً فكأنه اراد ان يفسلف المسألة اللغوية وهي لا علاقة لها بهذا النظر العلمي وكأن النحوي لم يرد استقراء العربية لمعرفة اعراب الفعل عن الزمان بل انه اهتدى الى هذه الناحية من تأمله في الزمان الفلكي .

ويبدو أنهم لم يستقروا العربية استقراءً وافياً ليتبين لهم طرائق

---

(٥) الزجاجي ، الجمل ص ٢١ ــ ٢٢ . ومن المناسب ان نشير الى أن الزجاجي قد استعمل مصطلح الكوفيين وهو (الدائم) غير انه قصره على الحال وهو عند الكوفيين الدائم الذى يؤدي بصيغتي اسم الفاعل واسم المفعول . وهو يخالف اصحابه البصريين فلا يعد فعل الامر من أقسام الفعل.

(٦) الزجاجي ، الايضاح في علل النحو ص ٥٣ .

(٧) الزمخشري ، المفصل ص ٢٤٣ .

(٨) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٤ .

استعمال الفعل • وأن كل ما فطنوا له هو اتفاقهم على ان الفعل من الاحداث المقترنة بزمان ما • غير أنهم لم يعطوا ايضاحات كافية عن حدود هذا الزمان • ولعل سبب هذا التقصير متأت من منهجهم في البحث النحوي فقد اهتموا بالعلة والعامل وما يترك العامل من اثر وهو ما دعي بـ الاعراب كما اسلفنا • كان اهتمامهم بالفعل من حيث كونه عاملا بل أقوى العوامل يعمل ظاهراً ومقدراً متقدماً ومتأخراً ، ومن أجل ذلك لم يولوا مسألة الدلالة الزمانية حقها • وكأنهم تخلصوا في دراستهم للفعل بالتعلق بالاشكال (Forme) ، وذلك ان ما كان على (فَعَل) ونحوها دال على المضي ، وما كان على (يفعُل) ونحوها دال على الحال والاستقبال • ولم يقفوا وقفات طويلة على هذه الصيغ ليروا كيف تنصرف الى حدود أخرى تعرب عن الخصوصيات الزمانية •

وقد استعملوا المصطلح (مضارع)[٩] مشيراً الى فعل الحال والاستقبال، وهذه التسمية تعرب عن انصراف النحويين الأقدمين عن حقيقة الفعل ووظيفته اللغوية الصحيحة في بناء الجملة وهو الخصوصية الزمانية • كونه مضارعاً يعني مشابهاً للاسم ، واذا كان قد شابه الاسم وضارعه فانما كان ذلك بسبب (الاعراب) فهو (يرفع) و (ينصب) و (يجزم) • والاعراب عندهم من خصائص الاسماء أي ان الاصل في الاسم عندهم ان يكون معرباً •

واهتمامهم بمسألة (عمل) الفعل في رفعه الفاعل ونصبه المفعول وسائر ما اسموه بـ (الفضلات) حملهم على اعتبار المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة واسم التفضيل اشباهاً للفعل ، وناحية الشبه هي ان هذه

---

(٩) ربما نستطيع أن نتبين أن مصطلح (المضارع) من مصطلحات البصريين فقد لمحوا في هذه الصيغة شبها بالاسم من حيث قبوله ما أسموه ب (علامات الاعراب) ، ومما يثبت هذا أن الكوفيين ومن أبرزهم الفراء لم يستعملوا هذا المصطلح فقد استعملوا (المستقبل اشارة للدلالة الزمانية ، كما استعملوا (يفعل) اشارة الى صيغته •• ومثل هذا أنهم استعملوا (الماضي) زمانا و (فعل) صيغة • انظر معاني القرآن للفراء (طبعة دار الكتب) ص ٣٩ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٧٥ •

المواد تعمل عمل الفعل • ولم يكترثوا للناحية الزمانية في استعمال هـــذه المواد ، وكان خيراً لهم لو أنهم الحقوا هذه المواد بالمادة الفعلية من حيث افصاحها عن الزمان وابرازه في حدود واضحة •

ومن أجل هذا كان الكوفيون أشد اتصالا بالعلم اللغوي من خصومهم البصريين في تقسيم الفعل ، فقد قسموا الفعل باعتبار دلالته الزمانية الى ماض ومستقبل ودائم •

وقد ارادوا بالفعل الدائم اسم الفاعل المتطلب للمفعول • وهذا مما قال به الفراء كما أشار الزجاجي النحوي في « مجالس النحويين » فقد جاء : « قال ثعلب : كلمت ذات يوم محمد بن يزيد البصري فقال : كان الفراء يناقض ، يقول (قائم) فعل ، وهو اسم لدخــول التنوين عليه • فان كان فعلا لم يكن اسماً ، وان كان اســماً فلا ينبغي ان تسميه فعلا • فقلت : الفراء يقول : (قائم) فعل دائم لفظه لفظ الأسماء عليه ، ومعناه معنى الفعل لأنه ينصب فيقال : قائم قياماً وضارب زيداً ، فالجهة التي هو فيها اسم ليس هو فيها فعلا ، والجهة التي هو فيها فعل ليس فيها اسماً »[١٠]•

والفراء يشير في (معاني القرءان) الى هذه التسمية بـ (الدائم) غير مرة[١١] واذا كان الفراء قد لمح الفعلية في صيغة اسم الفاعل العامل فهو من غير شك يجري اسم المفعول العامل هذا المجرى • وربما لمح في المصــدر هذه الفعلية كما يبدو من خلال كلامه في (معانى القرآن) فقد ذكر : « •••• وأنت تقول في الأفعال فتوحد فعلهما بعدهما فتقول : اقبالك وادبارك يشق عليّ ولا تقول : اخوك وابوك يزورني »[١٢] •

وهكذا فان الفعل عند الفراء مادة تشمل صيغاً عدة يربط بينها الدلالة الزمانية • فقد سمى اسم الفاعل فعلا دائماً لانصراف هذه الصيغة نحــو الحال والاستقبال •

---

(١٠) الزجاجي ، مجالس النحويين ص ٣٤٩ •
(١١) الفراء ، معاني القرءان ١/١٦٥ •
(١٢) المصدر السابق ص ٤٥ •

ولم ينكر البصريون هذه الدلالة الزمنية غير ان هذه الدلالة لم تبعد اسم الفاعل عن رتبة الاسمية ، وذلك لقبوله التنوين الذى هو من خصائص الاسماء عندهم .

وربما كان الفراء قد اهتدى الى هذه الحقيقة الفعلية في هذه الأبنية مما لمحه الكسائي استاذه الذى تلمذ عليه وقرأ به .

فطن الكسائي الى هذا اللون الفعلي فجوز أن يعمل اسم الفاعل بمعنى الماضي كما يعمل بمعنى الحال والاستقبال ، سواء تمسك بجواز نحو زيد معطي عمرٍ أمس درهماً وقرأ : « وجاعل الليل سكنا »[١٣] . وكأن البصريين لم يقبلوا بما قال به الكسائي فقد قال السيرافي « ان الأجود ههنا أن يقال : انما نصب اسم الفاعل المفعول الثاني ضرورة حيث لم يمكن الاضافة اليه لأنه أضيف الى المفعول الاول »[١٤] .

وقالوا لا استدلال للكسائي في قوله تعالى : « وكلبهم باسط ذراعيه » لانه حكاية الحال الماضية .

ولا ادرى لِمَ لم يحمل الفراء المصدر العامل واسم المفعول العامل على اسم الفاعل العامل ويسمى هذه المواد التي اشبهت الفعل من حيث الدلالة الزمنية لا العمل افعالا دائمة . وكنت قد لمحت ذلك قبل ان ألم بمقالة الفراء من النحاة الكوفيين .

ويبدو لي ان الفراء يسلم من مسألة « العمــل » في الفعل واشباهه وهو الرأي الذى قال به البصريون وسيطر على تفكيرهم اللغوي النحوي ، وذلك أنه فرق بين اسم الفاعل العامل واسم الفاعل غير العامل ، فقد سمى الاول منهما (فعلا دائما) في حين عد اسم الفاعل غير العامل من الاســماء واطلق عليه (الاسم)[١٥] .

---

(١٣) الرضي ، شرح الكافية ٢/٢٠٠ .
(١٤) المصدر السابق .
(١٥) انظر معاني القرآن (طبعة دار الكتب) ١/٤٥ .

وربما اتضح الأمر للمتاخرين من النحويين في مسألة المصدر ففطنوا الى دلالته الزمانية واتصاله بالفعلية في هذا فقد قال ابن يعيش : « ان المصدر يدل على زمان اذ الحدث لا يكون الا في زمان ولكن زمانه غير متعين وجوده وانما الزمان من لوازمه وليس من مقوماته بخلاف الفعل فصارت دلالة المصدر على الزمان التزاماً وليست من اللفظ فلا اعتداد بها »[١٦] ٠

وقول ابن يعيش « وليست من اللفظ » اعتماد على اعتبار النحويين بصريين وكوفيين ابنية الفعل فما كان على « فَعَل » ونحوه فهو ماض ، وما جاء على « يفعل » ونحوه فهو حال او مستقبل ٠ ومعنى ذلك ان النحويين الأقدمين اهتموا بهذه الابنية ولم يهتموا بالحقيقة الزمانية التي قد تختلف عن هذه الابنية ، وذلك أنه ليس كل ما جاء على (فَعَل) افاد المضي وما جاء على (يفعل) افاد الحال والاستقبال ٠ ثم انهم بهذا التقسيم لم يهتموا بدقائق الزمان وعلاقة زمن ما بآخر ٠

والى هذا يشير ابو حيان فيقول : « انه يدل على الحدث بلفظه ، وعلى الزمان بصيغته أي كونه على شكل مخصوص ، لذلك تختلف الدلالة على على الزمان باختلاف الصيغ ٠ ولا تختلف الدلالة على الحدث باختلافها »[١٧] ٠

ومن هنا نخلص الى ان البصريين والكوفيين قد اتفقوا في كثير مما يتعلق بالفعل واختلفوا في تقسيمه فقد مر بنا ان البصريين قالوا ان الفعل ماض ومستقبل وأمر كما جاء في « الكتاب » وتبين لنا ان الكوفيين قد أبعدوا الأمر من هذا التقسيم ولم يجعلوه قسيماً للماضي والمستقبل ٠

ويبدو لنا أن الكوفيين على حق في ابعاد الأمر أن يكون قسيماً للماضي والمستقبل وذلك ان « فعل الأمر » طلب وهو حَدَث كسائر الأفعال غير أن دلالته الزمنية غير واضحة ذلك ان الحدث في هذا « الطلب » غير واقع

---

(١٦) ابن يعيش ، شرح المفصل ٢/٧ ٠
(١٧) السيوطي الاقتراح ص ١٠ ٠

الا بعد زمان التكلم وربما لم يترتب على هذا الطلب ان يقع حدث من الاحداث • ولهذا ذهب النحويون الاقدمون الى مسألة شبه النفي وحشروا في هذه المقالة كل انواع الطلب ولذا فانهم رأوا العلاقة الوثيقة بين الحدث الواقع في حيز النفى والحدث الواقع في حيز الطلب وذلك ان كلا منهما غير حادث •

الفعل والزمن

ان من البديهي أن يعرب الفعل عن الزمان وأن يدل على أقسام هذا الزمان ودقائقه وذلك بصيغ وابنية وتراكيب معروفة وهو أمر حادث في كثير من اللغات • وليست العربية بدعاً في ذلك بين اللغات فلابد أن يدل على الزمان في ابنيتها الفعلية • غير أن الصعوبة في هذا الامر أن ابنية الفعل العربي لا تفصح عن الزمان كما تشير الى ذلك مصطلحاتها فقد عرفنا أنهم قسموا الفعل الى ماضٍ ومضارع (والمراد الحال والاستقبال) وأمر (وقد قلنا مقالتنا في هذا التقسيم البصري وكيف أن الامر لا يمكن أن يكون قسيماً للماضي والمستقبل) ، ومقالة الكوفيين في تقسيم الفعل الى ماض ومستقبل ودائم ، ولكن الفعل في الاستعمال تهيأ له أن يجرى في طريق آخر فقد يشار ببناء (فَعَل) الى غير الزمن الماضي ، كما يشار ببناء « يفعُل » و « فاعِل » الى دقائق زمنية واضحة •

وعلى هذا فليس صحيحاً ان نكرر ما يقوله جماعة من الباحثين الأعاجم من ان الزمان ليس شيئاً أصيلا وان اقتران الفعل العربى به حديث النشأة(١) • ونستدل من البحث في تاريخ النحو على ان الأقدمين فصلوا القول في هذا وأنهم استفادوا الاستدلال على الزمان من صيغ عدة •

حدث المرزباني عمن سمع الكسائي يقول : اجتمت وأبو يوسف

---

(١) المخزومي ، في النحو العربي (بيروت ١٩٦٤) ص ١٤٤ •

القاضي عند هرون الرشيد ، فجعل ابو يوسف يذم النحو ويقول : ما النحو ؟ فقلت واردت ان اعلمه فضل النحو : ما تقول في رجل قال لرجل : أنا قاتلُ غلامِك ، وقال له آخر : أنا قاتلٌ غلامَك ، أيهما كنت تأخذ به ؟ قال : آخذهما جميعاً ، فقال له هارون : أخطأت ، وكان له علم بالعربية ، فاستحيى وقال : كيف ذلك ؟ فقال : الذى يؤخذ بقتل الغلام هو الذى قال : أنا قاتل غلامك بالاضافة ، لأنه فعل ماضٍ ، فاما الذى قال : أنا قاتلٌ غلامَك فانه لا يؤخذ ، لانه مستقبل ، لم يكن بعد ، كما قال الله تعالى : « ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله » فلولا ان التنوين مستقبل ما جاز فيه (غداً)[٢] .

وهذا الخبر يشير الى اختلاف الزمان باختلاف التراكيب التي جرت في العربية . وقد أشرنا الى أن بناء (فَعَل) وبناء (يفعل) لا يمكن ان يدلا على الزمان بأقسامه وحدوده ودقائقه ؟ ومن هنا فان الفعل العربي لا يفصح عن الزمان بصيغه ، وانما يتحصل الزمان من بناء الجملة فقد تشتمل على زيادات تعين الفعل على تقرير الزمان في حدود واضحة . على اننا يجب ان نشير اشارة عامة الى ان الفعل ثلاثة : ماض وحالة ومستقبل . واننا نستطيع ان نقرر ان صيغة (فَعَل) وان دلت دلالات عدة في الاعراب عن الزمان ، فهي في أغلب الاحوال تدل على حدث أنجز وتم في زمن ماض ، وأن صيغة (يفعل) تتردد بين الحال والاستقبال وان ذهبت في الاستعمال مذاهب أخرى وذلك بفضل الادوات والزيادات التي أشرنا اليها .

وقد أشار النحويون الى أن (السين) و (سوف) تخلصان الفعل للاستقبال ، كما أشاروا الى ان « لن » من أدوات النفي تخلص الفعل للمستقبل وهي بهذا على النقيض من « لم » من أدوات النفي أيضا فهي تخلص مدخولها وهو على بناء (يفعل) للماضي .

وقد اشاروا اشارات أخرى في الكلام على طائفة من الظروف فذهبوا

(٢) السيوطي ، الاشباه والنظائر ج ٣ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

الى ان « اذا » ظرف لما يستقبل من الزمان وعلى هذا فان مدخولها وهو في الكثير الغالب على بناء (فعل) ينصرف الى المستقبل ، في حين أن مدخول « اذ » وهي من الظروف ينصرف الى الماضي وهو في البناء نفسه . وربما لم يطل النحاة الاقدمون النظر في الابنية المركبة واريد بالابنية المركبة نحو : « قد فعل » و « كان قد فعل وكان فَعَل » .

وكأن العربية قد اتخذت من بناء (كان) فعلا دالا على الحدث غير مترشح للدلالة الزمانية الا اذا كان لصيق فعل آخر .

ولعلهم لم يطيلوا النظر في هذه المركبات بسبب من أنهم لم يولوا فكرة اعراب الفعل عن الزمان العناية اللازمة وذلك لانشغالهم باشياء أخرى منها مسألة العمل في الفعل ومسألة الاعراب .

فاذا ابصروا (كان) في كلام فلابد ان يتبينوا نقصها ويشيروا الى اسمها وخبرها كما ذهبوا الى ذلك . وعنايتهم بهذا جعلتهم لم يلمحوا هذه المركبات التي حفلت بها العربية لتستعين على الافصاح عن الزمان بحدود لا يفصح عنها كل من بناء (فعل) و (يفعل) دون ان تضاف اليها هذه الزوائـد .

وليس من العبث والتزيد أن نجد كاتباً من أقدر كتاب العربية هو الجاحظ يأتي في كلامه شيء من هذه المركبات مما لم يثر اهتمام الدارسين قديماً أو حديثا . جاء في « البخلاء » قوله :

« وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنسب »(٣) ، « وانه كان اذا صار في يده »(٤) اي الدرهم « وكان ذلك لا يكون منه الا في آخر لقمة »(٥).

و « لو قد ذهب هؤلاء الثقلاء لقد اكلنا »(٦) .

---

(٣) الجاحظ ، ، البخلاء (طبعة مكتب النشر العربي بدمشق) ص ٥١
(٤) المصدر السابق ص ٢٠٧ .
(٥) المصدر السابق ص ١٩١ .
(٦) المصدر السابق ص ٢٤١ .

و « فقد يكون ان يكون الرجل سليم الصدر »[٧] .

ومثل هذه الاستعمالات تقوى الذهاب عندنا في الكلام على الازمنة المركبة . وتركيب الازمنة يفضى بنا الى التخالف فيها وذلك في الجملة الواحدة كأن يكون الحدث الاول مشيراً الى المضي في حين ان لصيقه الآخر يكون مستقبلا بالاضافة الى الاول وهـذا ما اصطلح عليه في الفرنسية مثلا بـ Concordance de temps .

وقد انتثرت في كتب النحو القديمة اجزاء من معلومات يتألف من مجموعها مادة مفيدة فقد ذكروا ان « قد » تفيد التحقيق اى أن الحدث بعدها كائن واقع والاستقراء يدل على هذا كثيراً كما في قوله تعالى : « قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا »[٨] ، وقوله تعالى : « لقد جاءت رسل ربنا بالحق »[٩] ، وقوله تعالى : « قد افلح المؤمنون »[١٠] .

كما اشاروا الى أن « قد » تفيد التقليل ان كان مدخولها فعلا مضارعاً كما في قولهم : قد يصدق الكذوب ، وقد يجود البخيل ، او للدلالة على التكثير كقول الهذلي :

قد اترك القرن مصفراً أنامله   كأن اثوابه مجّت بفرصاد

او للدلالة على التوكيد ، نحو قوله تعالى : « قد يعلم ما انتم عليه » . قال الزمخشري : « دخلت (قد) لتوكيد العلم ، ويرجع ذلك الى توكيد الوعيد »[١١] .

وقد اشار ابن هشام في المغنى الى معاني « قد » الأخرى فذكر ان من ذلك تقريب الماضى من الحال ، تقول : قام زيد ، فيحتمل الماضي القريب والبعيد فان قلت قد قام اختص بالقريب[١٢] .

---

(٧) المصدر ص ٣٠٥ .
(٨) سورة الملك الآية ٩ .
(٩) سورة الاعراف الآية ٤٣ .
(١٠) سورة المؤمنون الآية ١ .
(١١) ابن هشام ، المغنى ج ١ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .
(١٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٣٧ .

وقال ابن عصفور : « ان القسم اذا اجيب بماضٍ متصرف مثبت ، فان كان قريباً من الحال جيء باللام و (قد) جميعاً نحو : « تالله لقد آثرك علينا » وان كان بعيداً باللام وحدها ، كقوله :ـ

حلفت لها بالله حلفة فاجر   لناموا فما ان من حديث ولا صالى[13]

وقال سيبويه في «الكتاب» في (باب نفى الفعل) : « اذا قال : « فعل » فان نفيه : (لم يفعل) ، واذا قال : (قد فعل) فان نفيه (لما يفعل)[14] .

وكأن اشارة سيبويه هي التي أوحت الى المتأخرين بكلامهم على « لن » كما مر بنا .

ونفيد من هذه الملاحظة ان ادوات النفي مواد مفيدة وهي من الزوائد التي تخلص الحدث الى زمن ما وترشحه له فان « لم » غير « لما » وكذلك

ولم يهتم الدارسون المحدثون بهذه الاشارات المفيدة في كتبهم المدرسية، بل جروا على اهمال « مسألة الزمان » اهمالا تاماً واكتفوا بتقسيم الفعل التقسيم المعروف ولم يستقروا نصوص العربية استقراءً جديداً ليتوصلوا الى نحو جديد .

الماضي القريب » .

غير ان الدارسين الاعاجم من المستشرقين قد قاموا بشيء من ذلك ، فهذا (وليم رايت) يتكلم على (قد فعل) فيشير الى دلالتها على وقوع الحدث قبل قليل من زمن التكلم كما في الشاهد الذى ساقه وهو : « قد ذكرنا وزارة جدهم خالد بن برمك في ايام المنصور ، ونذكر ههنا وزارة الباقين »[15] .

---

(١٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٣٩ .
(١٤) سيبويه الكتاب ج ١ ص ٤٦٠ .
(١٥)
W. Wright, Agrammar of the Arabic Language Vol. 2 P. 3 1951

والى مثل هذا توصل كل من المسيو بلاشير والمسيو ذيموميين في تناولهما مسألة الزمان في الفعل العربي[١٦] ، فقد اهتديا الى الماضي القريب كما في قوله تعالى : « قد خلقنا فوقكم سبع طرائق »[١٧] .

والذي نستطيع ان نقوله في هذا المبحث بعد الاستقراء لطائفة كبيرة من الاستعمالات أن :

(١) (فَعَلَ) ونحوه يشير الى حدث كان قد تم في زمنٍ ماض لا نستطيع ضبطه وتعيينه نحو : مات محمد ومضى زيد .

(٢) قد يشير هذا البناء الى ان الحدث وقع في الماضي على أنه أمر كان قد تردد وقوعه مرات عديدة نحو : اشرقت الشمس وطلع القمر .

(٣) يرد بناء (فَعَلَ) كثيراً في سرد أحداث ماضية في اسلوب القصص كما جاء كثير من هذا النوع من النصوص القديمة كما في الاغاني مثلاً : « فاستحسنها وبكى ثم قال بَطَلَتَ والله يا بني وخاب أملي فيك »[١٨] .

(٤) يأتي بناء (فعل) في اسلوب الدعاء بالخير وهو من غير شك يشير الى المستقبل نحو : رضي الله عنه ورحمه الله ، كما يأتي في الدعاء بالشر منفياً بـ (لا) نحو : لا رحمه الله ولا رضي عنه .

(٥) ويأتي للدلالة على أن الحدث وقع في زمنٍ ماضٍ نتيجة لاحداث أخرى كقوله تعالى : الذين انعمت عليهم .

(٦) ويأتي للدلالة على ان الحدث كان قد انجز واستمر على هذه الحال أي منجزاً حتى زمن التكلم نحو قوله تعالى : « اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم .

---

(١٦) Gaudefroy-Demombynes et R. Blachère, Grammaire De L'Arabe Classique. p. 248

(١٧)

(١٨) Henri Fleisch, Etudes Sur Le Verbe Arabe Extrait des Mélanges Louis Massigion p. 176.

(٧) يأتي بناء (فَعَل) ليشير الى ان الحدث كان قد وقع في اللحظة التي وقع فيها الكلام كما يجري في العقود نحو : بعتك وزوجتك •

(٨) ويأتي بناء (فعل) للاعراب عن وقوع أحداث في زمان يقرب من زمن التكلم أي الحال قول مقيم الصلاة : قد قامت الصلاة ، ونحو قولنا : قد وعيت مقالك وهأنا مجيبك عن سؤالك الذي سألت •

(٩) يستعمل بناء (فَعَل) للاعراب عن الزمان المستقبل وذلك في الظرف الشرطي (اذا) نحو اذا جئتني اكرمتك • وفي كتاب « الاغاني » جاء : فاذا فرغ بكى ويبكى ما شاء الله[١٩] • ويبدو هذا مما عطف على (فعل) بـ (يفعل) •

(١٠) وقد يستعمل بناء (فعل) مع الظرف (لما) وهذه تستعمل في جملة وجد فيها حدثان وقعا في الماضي بحيث يتم الاول في اللحظة التي بدأ فيها الثاني نحو : لما جاءني اكرمته •

(١١) ويأتي بناء (فَعَل) مسبوقاً بـ (كان) مسبوقةً بـ (قد) أو (متلوةً) بـ (قد) للدلالة على الماضي البعيد ، كقول زفر بن الحارث :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لاقينا جذام وحميرا[٢٠]

وكقول الآخر :

قد كان شمر للصلاة ثيابه • • • • • • • • •

وكقول المتنبي :

قد كان شاهد دفني قبل قولهم جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا

وكقول الآخر :

وكان قد استسقى الغمام وقد بدا له عارض من جانبيه جَهام

(١٢) وتتصدر (قد) بناء (فَعَل) لتفيد ان الحدث ماضٍ بالنسبة

---

(١٩) الاغاني (طبعة دار الكتب) ج ٦ ص ١١٧ •
(٢٠) عن المخزومي ، في النحو العربي ١٥٦ •

لفترة ماضية نحو :

ثم قمت الى الوطب وقد ضربه برد الشجر[٢١]

(١٣) ويأتي بناء (فَعَل) مسبوقاً بفعل الكون المضارع فيأتى من هذا المركب اعراب عن المستقبل في زمان ماض وهو ما يدعى في الفرنسية Future-Antèrieur نحو ماذاك من شيء أكون اجترمته[٢٢] •

وكقول المعربين في هذا العصر مثلاً :

وأقر اللص أن يكون سرق أثاث الدار •

ولابد من القول ان الفعل (كان) واخواتها نحو مازال وأضحى وأمسى وأصبح وصار وسائر الأفعال الأخرى قد تستعمل في صيغة الماضي متلوة بافعال أخرى في صيغة (يفعل) وذلك في سرد أحداث ماضية كما يحدث في الحكايات والقصص نحو : وكان يتصدق على الفقراء ويقري الضيف ويغيث الملهوف •

(١٤) وقد يأتي من ابنية الأفعال الماضية على (فَعُل) نحو « كَرُم » و « حَسُن » و (ظَرُف) فاذا قلنا : (كَرُم محمد) و (حسن خلقه) ، و (ظرف طبعه) فالمراد اثبات وجود هذه الصفات فيما اسندت اليه وليس هناك أي اشارة للاعراب عن الزمان الماضي •

ومثل هذا مما يأتي على (فَعِل) نحو صَفِر وعَرِج وكَحِل وعوِر مما يفيد الصفات الثابتة فالمراد من ذلك الاخبار عن ثبوت الصفة فيما اسندت اليه من الأسماء • وليس في ذلك ما يدل على شيء من الزمان •

ونستطيع أن نحمل على هذا النحو الفعل (كان) فهو في كثير من الاستعمالات لا يراد به الا الوجود في هيأة مخصوصة وفي زمان ما وكأنه هو وحده بناء مفرغ عن الدلالة الزمانية وانما يهتدى فيه الى الزمان من

---

(٢٢) الجاحظ البخلاء ٢٤٣ •

(٢٢) الاغاني (طبعة التقدم) ج ١٤ ص ٨ •

معنى الجملة فاذا قلنا :

(كان محمد لا يفارق داره)•ففي هذا التركيب يأتي الفعل للدلالة على الوجود • واذا قلنا :

ان الله كان بصيرا ، لم نستطع ان نهتدي الى الزمان الماضي من الفعل (كان) في هذه الآية •

ومن ذلك ما جاء في الاغاني :

كان ابى يكون عند كسرى[٢٣] •

ومثل (كان) ما حمل عليها من الافعال لشبهها اياها في العمل نحو ظل وبات واضحى وأصبح ومادام ومازال ومافتيء وما برح وما انفك فالمراد في هذه الافعال اثبات الاحداث واقعة في ظرف معين هو النهار كما في (ظل) ، والليل في (بات) والضحى في (أضحى) والصبح في (أصبح) واما الباقي فالمراد به الاستمرار ولا نستطيع ان نهتدي الى شيء من الماضي في هذه الابنية •

على ان الاستعمال قد صرف الافعال الاولى عن الاتصال بالظروف التي لازمتها ، بل تجاوزت ذلك الى وقوع الحدث ليس غير وبذلك صار كل منها مرادفاً للآخر في الاستعمال[٢٤] •

على ان صيغة (المضارع) من هذه الأفعال أيضاً أفادت الفائدة نفسها فقد دلت على وقوع الحدث أولاً وليس من شيء واضح يهدينا الى ان البناء يراد به المستقبل فالزمان متحصل من الجملة •

ومثل هذا ما سمي بأفعال المقاربة والرجاء والشروع نحو: كاد واوشك وكرب للمقاربة،وعسى وحرى واخلولق للرجاء ، وطفق وشرع وجعل وأخذ

---

(٢٣) الاغاني (دار الكتب) ١٠٥/٢ عن :
Grammaire Arabe.

(٢٤) أقول : ان الافعال أصبح واضحى وظل وبات أخذت من الظروف جريا على النهج العام الذي جرت عليه العربية في أخذ الافعال من اسماء الاعيان واسماء الذات •

وقام وبدأ نحو ذلك ، فهذه الافعال جاءت على هذا البناء وليس في ذلك ما يشير الى الزمن الماضي ، ذلك ان المراد منها اثبات هذه المعاني المشار اليها بصرف النظر عن وقوع القرب والرجاء والشروع في زمن ماض • والذي يدل على هذا ان منها ما جمد على هذه الصيغة فليس فيه (يفعل) وهو: كرب وحرى واخلولق • ثم ان أفعال الشروع لا تؤدي الشروع الا على صيغة (فعل) ولم يسمع انهم استعملوها على صيغة (يفعل) ومعنى ذلك ان هذه الابنية الفعلية مواد أريد منها اثبات هذه الدلالات المعنوية •

بناء « يفعل » أو المضارع :

وهذا يأتي للتعبير عن حالات خاصة بصرف النظر عن الدلالة الزمانية التي يشير اليها البناء ، وذلك لان هذه الدلالة قد تتحصل مما يبرز من قرائن تكون في بناء الجملة • والحالات التي يستعمل فيها هذا البناء هي :

(١) يأتي للاعراب عن حدث جرى وقوعه عند التكلم واستمر واقعاً وهذا هو ما ندعوه بـ « الحال » نحو :
فقلت لصاحبي : اراك في حيرة من أمرك ، فقال لي : احسبك مدركاً أمري •

(٢) ويشير الى ان الحدث يقع كثيراً فهو لا يحدث في زمن معين ولكنه يحدث في كل زمان كما في قولهم : قبل الرماء تملأ الكنائن •
وكقولهم انت تجنى من الشوك العنب •

وكقول الشاعر • • • • • • • تلهو وتضحك والزمان يسير

(٣) ويأتي للاعراب عن ان الحدث واقع في حيز الاستقبال نحو قوله تعالى : واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا
وقوله تعالى : فالله يحكم بينهم يوم القيامة • وفي هذه الآية القرينة واضحة والمستقبل مدلول عليه بـ « يوم القيامة » •

(٤) وقد يترشح بناء (يفعل) ونحوه للمستقبل وذلك بزيادات تسبق

الفعل هي « السين » و « سوف » و « لا » نحو قوله تعالى : وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون •

وقوله تعالى : كلا سوف تعلمون •

نحو قولنا : هو حق لا يدنو اليه الشك •

جاء في « المفصل » : « لا » لنفي المستقبل في قولك : لا يفعل•

قال سيبويه : واما (لا) فتكون نفياً لقول القائل : « هو يفعل ، ولم يقع الفعل »(٢٥) •

وقد لمح النحاة الاولون هذه الدقائق في الاستعمال فقد جاء في « الكتاب » في باب « نفي الفعل » : « واذا قال : (فعل) فان نفيه (لما يفعل)(٢٦) •

وكذلك قال الخليل : (ان سيفعل) جواب (لن يفعل)(٢٧) •

(٥) ويأتي بناء (يفعل) للاعراب عن حدث من قبيل الحقائق الثابتة نحو : تشرق الشمس ويضيء البدر وكل حيٍ يموت •

(٦) يأتى بناء (يفْعُل) مسبوقاً ب (لم) فيشير الى الماضي فاذا قلنا : « لم يكتب » فكأننا قلنا : ما كتب •

(٧) وقد يأتى بناء (يفعل) وهو دال على المضي وذلك لقرينة ترشحه الى الزمان الماضي نحو قوله تعالى : لم تقتلون أنبياء الله من قبل •

(٨) ويأتى للاعراب عن حدث مستقبل بالنسبة لآخر تم قبله في زمن ماضٍ نحو قوله تعالى : والذين كفروا الى جهنم يحشرون •

وقوله تعالى : ثم استوى على العرش يدبر الأمر •

(٩) وقد يأتي بناء (يَفعل) ونحوه مسبوقاً ب (كان) للدلالة على ان الحدث كان مستمراً في زمان ماض • ومجيء (كان) الى جوار الفعل يؤلف مركباً يؤدى هذه الفائدة وذلك نحو قولنا : كان النبي يوصي

---

(٢٥) الزمخشري ، المفصل ص ٣٠٦ •
(٢٦) سيبويه ، الكتاب ج ١ ص ٤٦٠ •
(٢٧) الزمخشري ، المفصل ص ٣١٧ •

بمعاملة الجار بالحسنى .
وكان البحتري لا يفارق باب الخليفة .
وقول الشاعر :

وكنت أظن البعد سهلاً فمذ أتى   شرى البين مني ما أراد وباعا

ومثل كان سائر الافعال التي تتصل بزمان معين نحو ظل وأصبح وأمسى وبات نحو :

أمسى البرق يلمع في السماء ، وأصبح المطر يهطل مدرارا .

ومثل هذا أيضاً ما اسموه بأفعال الشروع نحو : طفق المطر ينزل وأخذ الولد يبكي ، وراح الشاعر يتلو قصيدته .

وقد يأتي بناء (يفعل) مسبوقاً بـ (يكون) للدلالة على الوصف نحو ما جاء في « البخاري » : حتى تكونوا انتم تجدعونها[٢٨] .

أبنية « فاعل » و « مفعول » والمصدر :

ومن الحق ان نعد هذه الابنية من مادة الأفعال ، فهي تدل على أحداث ثم انها تنصرف الى زمان محدد معروف يستدل عليه بالقرائن كما هي الحال في الأفعال التي لا يستدل بصيغها على أزمنتها كما تبين بالاستقراء وانما يتحصل الزمن فيها مما تشتمل عليه الجملة من قرائن واضحة أو مما يستدل عليه بالايماء الخفي .

وقد كان الفراء على حق ـ كما بينا ـ باعتباره بناء (فاعل) العامل فعلاً وذلك لأنه يختلف عن (فاعل) غير عامل . ان (فاعل) غير عامل لا يشعر السامع بالحدث المقترن بزمن ما فهو أقرب الى الصفات التي تطلق لبيان اتصاف موصوفها بها كالمبتدأ والخبر نحو : (زيد كاتب) أي أنه اتصف بالكتابة أو أن مهنته الكتابة دون الشعر مثلاً ، كما نقول : (زيد عاقل) فالمراد اثبات صفة العقل في زيد .

---

(٢٨) البخاري ، الجامع الصحيح (طبعة ليدن) ج ٤ ص ٢٥٢ .

ولسنا ندري لِمَ أطلق الفراء على هذا البناء مصطلح « الدائم » ذلك ان لفظ (الدائم) يشير الى الدوام والاستمرار • والشواهد التي استقريناها من لغة التنزيل وكلام العرب لا تشير الى ان بناء (فاعل) يعطي هذه الفائدة الزمنية فهو يدل على الحال والاستقبال ان كانت هناك قرينة تصرفه الى ذلك كما يدل على الماضي ان كان المعنى يقتضي هذا الزمن كما ستتبين في الامثلة •

ويحسن بنا ان نعرض لهذا البناء كما جاء في باب (اعمال اسم الفاعل) عند المتقدمين من النحويين •

قالوا : لا يخلو اسم الفاعل من أن يكون مقروناً بأل ، أو مجرداً ، فان كان مجرداً عمل عمل فعله : من الرفع والنصب ان كان مستقبلاً أو حالاً ، نحو : « هذا ضاربٌ زيداً الآن أو غداً » وانما لجريانه على الفعل الذي هو بمعناه ، وهو المضارع ومعنى جريانه انه موافق له في الحركات والسكنات ، لموافقة « ضارب » ليضرب فهو مشبه للفعل الذي هو بمعناه لفظاً ومعنىً •

وان كان بمعنى الماضي لم يعمل لعدم جريانه على الفعل الذي هو بمعناه فهو مشبه له معنى لا لفظاً ، فلا تقول : هذا ضاربٌ زيداً أمسِ بل يجب اضافته فتقول : « هذا ضارب زيدٍ أمسِ »[٢٩] •

ويتبين من هنا أنهم ـ وأعني البصريين من النحويين ـ لم يعقدوا الشبه بين بناء فاعل وابنية الافعال من حيث كون كل منها حدثاً يقترن بزمان ما نستوضحه في القرائن والمعاني • ولكنهم اهتموا بالامور الشكلية من ناحية ان هذا (البناء) يشبه الفعل المضارع في حركاته وسكناته فان (ضارب) مثل (يضرب) من حيث الحركات وهذا كلام باد ضعفه ذلك أن هذا البناء لا يجمعه والمضارع من حيث الحركات المتشابهة الا كسر ما قبل آخره كما في (ضارب) و (يضرب) في حين أن (كاتِب) لم يسلم له هذا الكسر فيما قبل آخره في الفعل الذي أخذ منه وهو (يكتُب) •

---

(٢٩) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٧٥ (القاهرة ١٩٣١) •

وأكبر الظن أنهم لم يلجأوا الى عقد هذه المشابهة الشكلية الا ليأخذوا بما أخذوا به أنفسهم من اتباع منهجهم القائل بالعلل فاسم الفاعل لم يعمل عمل الفعل ، وهو صاحب الأصالة في العمل ، الا لتوفره على هذه الناحية من الشبه وهي ناحية ضعيفة كل الضعف .

وأنهم شبهوا بناء (فاعل) بـ (المضارع) لان (فاعل) اسم ، والمضارع يضارع الاسم . وهذا قول ضعيف اذ أنهم أهملوا العنصرين المهمين في مادة الفعل بقولهم (مضارع) هذان العنصران هما : الحدث والزمان ، وانما ضارع (يفعل) عندهم الاسم لان كليهما معرب . فكأن « الاعراب » من صفات الاسماء ولما كان (يفعل) متأثراً بالعوامل عندهم وظاهر عليه اثر هذه العوامل . فقد ضارع الاسم .

وينجم عن هذا أنهم جعلوا بناء (فَعَل) بعيداً عن مضارعة الاسم وكأنه شيء لا يتصل ببناء (يفعل) . ومن أجل هذا لم يروا من شبه بين (فَعَل) و (فاعل) فلما لم يكن (فاعل) مشابهاً لـ (فَعل) في الشكل من حيث الحركات والسكنات ومن حيث ان (فاعل) متأثر بالاعراب خلافاً لـ (فَعَل)، لم يجيزوا أعمال (فاعل) ان دل على المضي .

وكأن الكوفيين قد حرروا انفسهم من القول بهذه القيود التي يعمل بها اسم الفاعل وهي وجوه الشبه بينه وبين الفعل المضارع ، ولذا فقد أجاز الكسائي اعمال بناء (فاعل) الدال على المضي اخذاً بالنصوص الفصيحة كما في لغة التنزيل وجعل منه قوله تعالى « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » وكأن البصريين قد ردوا على مقالة الكسائي فخرجوا الآية على حكاية حال ماضية[٣٠] .

واختلف النحويون في اسم الفاعل الواقع صلة للالف واللام فهو عامل لدى الكثير منهم ماضياً ومستقبلاً وحالاً . وزعم جماعة ــ منهم الرماني ــ أنه اذا وقع صلة لأل لا يعمل الا ماضياً ، ولا يعمل مستقبلاً ولا

---

(٣٠) المصدر السابق .

حالاً وزعم بعضهم أنه لا يعمل مطلقا •

اما الذين أعملوه فقالوا : لوقوعه موقع الفعل ، اذ حق الصلة ان تكون جملة فتقول (هذا الضارب زيداً الآن أو غدا أو أمس) •

واعمالهم اسم الفاعل اذا كان صلة للالف واللام كان بسبب العله التي ذكروها فاسم الفاعل عندهم صلة ، ولابد ان تكون الصلة جملة ، وكان هذه الجملة لابد ان تكون مصدرة بفعل ليظهر العمل • ونخلص من هذا الى انهم لو قدروا ان جملة الصلة تكون اسمية لما سلم لهم وجه الشبه بين اسم الفاعل الواقع صلة للالف واللام والفعل الماضي •

ومن هنا نستطيع ان ندرك ضعف هذا المنهج في ادراك المسائل النحوية واللغوية ووصفها كما جاءت في كلام العرب غير معللين ولا مؤولين • والحقوا باسم الفاعل في العمل أبنية فعّال ، ومفعال وفعول وفعِل وفعيل •

أما الكوفيون فقد عرضنا لمقالة الفراء وتسميته (فاعل) بالدائم وفي هذا المصطلح اعتباط من ناحية تعيين الدلالات الزمنية المحددة •

ولا ندري لِمَ لم يحمل بناء (مفعول) فيسميه بـ (الدائم) أيضاً •

ويبدو أن ذهاب الفراء هذا المذهب وجعله بناء (فاعل) فعلاً آت من تأثره بالكسائي الذي تلمذ له وتخرج به فقد عرفنا رأي الكسائي في قوله تعالى (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) •

فقد نقل السيوطي حديث المرزباني « عمن سمع الكسائي يقول : اجتمعت وابو يوسف القاضي عند هرون الرشيد فجعل أبو يوسف يذم النحو ويقول : ما النحو ؟ فقلت وأردت ان أعلمه فضل النحو : ما تقول في رجل قال لرجل : انا قاتلُ غلامِك ، وقال له آخر : أنا قاتلٌ غلامَك ، أيهما كنت تأخذ به ؟ قال آخذهما جميعاً ، فقال له هارون : أخطأت ، وكان له علم بالعربية فاستحيى ، وقال : كيف ذلك ؟ فقال : الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال : أنا قاتل غلامِك بالاضافة ، لانه فعل ماض •

فأما الذي قال : أنا قائل" غلامَك بلا اضافة فانه لا يؤخذ لانه مستقبل ، لم يكن بعد ، كما قال الله تعالى : « ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا أن يشاء الله » فلولا أن التنوين مستقبل ما جاز فيه (غداً) »[٣١] •

وذهب الفراء في تفسير قوله تعالى من سورة الانبياء : « كل نفس ذائقة الموت » • ولو نونت في (ذائقة) ونصبت الموت كان صواباً ، واكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل ، فاذا كان معناه ماضياً لم يكادوا يقولون الا بالاضافة ، فأما المستقبل فقولك : أنا صائم يوم الخميس ، اذا كان خميساً مستقبلاً ، فان أخبرت عن صوم يوم خميس ماض قلت : أنا صائمُ يومِ الخميس فهذا وجه العمل »[٣٢] •

ونستفيد من هذا أن الكسائي ثم الفراء يقولان باعمال اسم الفاعل ان انصرف الى الحال والمستقبل ويضيفانه الى معموله ان انصرف الى الماضي • غير أنهما لا يعللان اعماله كما ذهب اليه البصريون من ناحية شبهه بـ (يفعل) ذلك الشبه الذي يتناول الشكل من حيث الحركات والسكنات والمعنى • وتفسير الفراء للآية « كل نفس ذائقة الموت » • يدل على هذا فكان سبيل كل من الكسائي وهو من أصحاب القراءات ، ثم الفراء وهو من أصحاب القراءات ، والباحثين في علوم القرءان ، استقراء كلام الله والسماع من كلام العرب • واقتصارهم في هذه المسألة على القراءة والسماع دون اللجوء الى التعليل ، اتباع للمنهج اللغوي الصحيح •

على ان الفراء قرأ : « كل نفس ذائقة الموتِ » باضافة اسم الفاعل الى الموت كما قرأ بالتنوين ، ومعنى هذا ان اسم الفاعل الدال على الحال والاستقبال لا تستبعد اضافته كما يجوز اعماله •

ويبدو أن النحاة الأقدمين كانوا في حيرة من أمر هذه الصيغة واستعمالها • فقد رأوا اسميتها كما لمحوا فعليتها وهي أصيلة في الاسمية عند

---

(٣١) السيوطي ، الاشباه والنظائر ج ٣ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ •
(٣٢) معاني القرآن الورقة ١١٦ من مخطوطة دار الكتب المصرية عن كتاب (في النحو العربي) للمخزومي •

البصريين ، وقريبة من الفعلية عند الكوفيين ، وذلك لاقترانه بلوازم الاسماء كالالف واللام التي صرفوها الى الموصولية الحرفية غير انها لا تختلف كثيراً عن أداة التعريف، وظهور التنوين في آخره ، وهذا أيضاً من لوازم الاسماء .

ومن حيرتهم وترددهم أنهم قالوا : أقائم محمد ، واشترط البصريون اعتماد اسم الفاعل على نفي أو شبهه ، ولم يشترط ذلك الكوفيين . ثم قالوا : ان (قائم) مبتدأ والمرفوع بعده فاعل سد مسد الخبر وفي قولهم : أمحمود زيد ، ان (زيد) نائب عن الفاعل لان سابقه اسم مفعول . وكأنهم شعروا بضعف هذه الاقوال ، وذلك لان المشتق (قائم) و (محمود) لايمكن ان يكون مبتدأ لانه لا يكون (مسنداً اليه) كما هو الحال أبداً ، بل هو مسند وهو خبر في هذه الجملة الاسمية . ولذلك عادوا فقالوا : ويجوز ان يكون خبراً مقدماً والمرفوع بعده مبتدأ مؤخر .

فاذا انحرفت المطابقة بين المشتق ومرفوعه نحو : اقائم الرجلان لم يكن لهم الا ان يقولوا بالوجه الاول . وهو ان (قائم) مبتدأ وما بعده فاعل سد مسد الخبر . وهذا القول لا يقوم على أساس صحيح من الناحية اللغوية .

وقد عرض لهذه المسألة الدكتور مهدي المخزومي في كتابه « في النحو العربي » وكأنه أخذ بما قال به الفراء فجعل (فاعل) احد أقسام الفعل واستبعد فعل الأمر أن يكون قسيماً لـ (فَعَل) و (يفعل) ومقالة الفراء هذه أخذها من بعده عامة الكوفيين كما مر بنا في غير هذا المكان .

ومن الطريف ان المخزومي تمسك بالمصطلح نفسه وهو (الدائم) وله في فهم هذا المصطلح رأي خاص سنعرض له .

يقول : « وهو الفعل الدائم الذي لا دلالة له على زمن معين اذا لم يوصل بصلة من مضاف اليه أو مفعول »[٣٣] .

فهو يقر ان (فاعل) بنفسه غير موصول بما بعده من لوازم لايدل على

---

(٣٣) المخزومي ، في النحو العربي ص ١٣٩ .

زمان معين • اذاً فما وجه القول بأنه (دائم) • ولفظ (الدائم) يعني فيما يعنيه المستمر الذي يتطلب فسحة زمنية طويلة ، وليس الأمر كذلك فهو ينصرف الى الحال والاستقبال في حال نصبه للمفعول ، والى المضي في حال اضافته كما ذهب الفراء نفسه • وقد نصب الكسائي بعده المفعول وان كان دالاً على المضي فقد قرأ : « وكلبهم باسط • • • • • • الآية » ••

وقول الدكتور المخزومي انه لا دلالة له على زمن معين اذا لم يوصل من مضاف اليه أو مفعول صحيح ذلك ان فعلية هذه المادة لا تتضح اذا كان مفرداً نحو : « زيد عاقل » و « محمد متواضع » • ف (عاقل) و (متواضع) داخلان في باب الاسمية •

ومن هنا فلا نعلم وجهاً لالتزام السيد المخزومي بـ (دائم) وأغلب الظن ان هذه التسمية لا تختلف كثيراً عن « ماضٍ » و « مضارع » اذ ان كثيراً من (فَعَل) و (يفعل) لايدل على المضي أو الحال أو الاستقبال الا بقرائن زائدة على هذه الابنية تزاد في الجملة فتصرف الفعل الى زمان ما •

ثم يقول الاستاذ الزميل المخزومي : « ومن حقه أن يبنى ، لانه فعل ، الا أن بناءه يختلف عن بناء الماضي والمضارع ، فهو يشبه الاسماء من حيث اقترانه بالالف واللام التي لا تختلف في اللفظ عن أداة التعريف في الاسماء وان اختلف عنها في المعنى ، وهو ملحق بالتنوينية التي لا تختلف عن تنوينية الاسماء النكرات ، وان اختلفت عنها في الدلالة لان تنوينية الاسماء علم التنكير وتنوينيته علم لزمان معين هو المستقبل »[٣٤] •

ومن قراءتنا لهذه المادة التي عرضها الاستاذ المخزومي نجد انفسنا ازاء كلام لنحوي في هذا العصر يأخذ نفسه بالمنهج القديم من حيث المسائل الجوهرية وكأنه ليس في هذا العصر ، وكأنه أيضاً انساق في هذا العلم النحوي القديم ، أو أنه احب هذا النهج الكوفي ممثلاً في االفاراء فنسي

(٣٤) المصدر السابق •

ما كرره غير مرة من أن مهمة النحوي الوصف ليس غير ، اذ ليس من مهمة النحوي التعليل والتأويل • ولم ينسرح المؤلف في هذا التيار كما قلت الا ليوافق الفراء في ذهابه ان (فاعل) فعل دائم • والقول بفعلية (فاعل) صحيح ولا يشترط ذلك التمسك الحرفي بأقوال الفراء وليس هو تقليداً له •

وكان على الاستاذ المخزومي الا ينساق فيأخذ بأقوال الفراء في فعليةهذه المادة وهي مسألة ظاهرة وقد يفطن لها كل باحث حديث حتى وان كان غير عارف بالفراء وما ذهب اليه •

وكان على السيد المخزومي ان يذهب ابعد مما ذهب اليه الفراء فيقول بفعلية المصدر (العامل) نحو : « يعجبني اكرامك الضيف » الا تراهم قالوا : ان معناه (أن تكرم الضيف) غداً أو أمس أو أن معناه (ما تكرم الضيف) ليصرفوه الى الحال • وسنعرض للموضوع محاولين جعل هذه الابنية أفعالاً بسبب هذه الاستعمالات وليس شبيهات بالفعل • ومن اوجه اتباع المنهج القديم لدى المخزومي وابتعاده عن الاقتصار على الوصف الذي يقتضيه العلم اللغوي الحديث أنه قال : « ومن حقه أن يبنى لانه فعل ••• » وهذا التزام بالمنهج القديم ذلك انهم افترضوا أن البناء أصيل في الفعل ومن أجل هذا حملوا اعراب المضارع على انه طارىء لا يمثل الفعل واشبهوه بالاسم وسموه مضارعاً • ولا أرى أي فائدة ان يقول المخزومي : « ومن حقه ان يبني » واغلب الظن انه لم ينسرح في هذا السبيل الا ليحمل القارىء على القول بفعلية (فاعل) وكأنه مفترض ان القارىء لا يستطيع اعتقاد هذه الاقوال لما ألف في دراسته من ان هذه الابنية من ابنية الاسماء •

على ان القول بفعلية (فاعل) و (مفعول) ونحوهما ظاهرة واضحة وحمل القارىء على ذلك لا يقتضى اللجوء الى هذه الاقوال القديمة التي لا تتفق هي والعلم اللغوي الحديث •

ويستمر الزميل المخزومي في هذا المنهج فيقول : « الا ان بناءه يختلف عن بناء الماضي والمضارع • • • • •• » •

وانطلاقه في هذا السبيل يظهر رغبته في تأكيد فعلية هذه الابنية التي قبلت

خصائص الاسمية كالالف واللام والتنوين • وهذه المواد لـدى الدكتـور المخزومي خاصة بالاسماء ، وكأنه في حرج من وجود هذه العلامات الاسمية في هذه الابنية • اذاً فلابد أن يفسرها تفسيرات لا تخلو من الضعف والتكلف ليصل الى القول بفعلية هذه الابنية •

وعلى هذا فان الالف واللام في هذه الابنية موصول حرفي يختلف في المعنى عن الالف واللام للتعريف ، وان التنوين الذي يلحقه يختلف عن تنوين الاسماء في دلالته على المستقبل وان كان لا يختلف في الشكل عن تنوين النكرات • ولا ادري لم يذهب المخزومي في هذا الطريق الطويل الـذي اصطنعه على نحو ما الفنا من مناهج النحاة الاقدمين • ولا أدري كيف يكون التنوين دالاً على المستقبل في قولنا : محمد شاعرٌ ألا ترى ان التنوين في (شاعر) لا يختلف عن تنوين اسم الفاعل في قولنا : محمد كاتب درسه •

وكأن المخزومي مضى الى أبعد من هذا فأراد ان يسلب من هذه الابنية كل آثار الاسمية لتخلص الى الفعلية فقال : « ان وضعاً كهذا حمل العربية ان تحمله على الاسماء في تحريك آخره ، وان خالف الاسماء في معناه فمعناه معنى (يفعل) ، ودلالته على الزمان كدلالة (يفعل) ، فقد وقـع موقع المضاف اليه في مثل قولنا : عجبت له من ماهر في صنعته ، فقد جر بالاضافة بعد (من) ، وان كان المجرور الحقيقي هو الذات ، ولو صرحت بالذات فقلت : عجبت له من رجل ماهر لكان حمل جره على الجوار مقبولاً ، وقد وقع موقع المفعول في مثل قولنا : رأيت ماهراً في صنعته فقـد نصب لانـه مفعول في الظاهر ، ولو قلنا : رأيت رجلاً ماهراً لـكان نصبه على الجوار لا على المفعولية »(٣٥) •

ويخيل اليّ انك حين تقرأ هذا العرض لابـد انك ذاكـر اسلوب التدليل والعرض والاحتجاج في كتـاب « الانصاف » لابي البركـات ابن الانباري وكيف يسلك كل فريق للوصول الى ما يريد •

وفي هذا تنكر للمنهج الوصفي الذى قال به الدكتور المخزومي في

---

(٣٥) المصدر السابق ص ١٣٩ •

فاتحة كتابه واخذ بالمنهج القديم الذي لا يكتفي باللفظ الظاهر في الـكلام فيلجأ الى التقدير ففي قوله : « ان المجرور الحقيقي هو الذات ••• » • وكان في غنى عن اتباع جميع هذا فيقرر ان هذه الابنية أحداث استعملت استعمال الافعال واقترنت بازمنة معينة وهذا يكفي للقول بفعليتها • وكأن الاستاذ المخزومي قد لمح في صيغة (فـاعـل) الاستمرار ولعـل مصطلح (الدائم) قد وجد هوىً في نفسه بسبب الاستمرار وقد مثل لذلك بقوله زيد قائم ، وعمرو ضاحك[٣٥] •

والقول بدلالة (فاعل) على الاستمرار مما انفرد به المخزومي فقد اقتصر السابقون على دلالة (فاعل) على المستقبل وهو اسم الفاعل المنون العاقل نحو انا صائمٌ يوم الخميس اى سأصوم • وعلى المضي وهو اسم الفاعل المضاف نحو هو قاتل أخيه • أي قتل •

وقول المخزومي : زيد قائم وعمرو ضاحك بدلالة (فاعل) في كل منهما على التعبير عن استمرار الحدث غير مقبول ، وذلك ان (قائم) و (ضاحك) خبران والجملتان اسميتان والجملة الاسمية يدل فيها المسند على الثبوت وان علاقة المسند اليه به لا تقبل التجدد بخلاف الجملة الفعلية التي يدل فيها المسند على التجدد •

قال الجرجاني : « ان موضوع الاسم على ان يثبت به المعنى للشيء من غير ان يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء ، واما الفعل فموضوعه على ان يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً فشيئاً ، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك زيد طويل ، وعمرو قصير ، فكما لا يقصد منها الى ان تجعل الطول والقصر يتجدد ، ويحدث ، بل توجبهما وتثبتهما فقط ، وتقضي بوجودهما على الاطلاق ، كذلك لا تتعرض في قولك : زيد منطلق • لاكثر من اثباته لزيد •

واما الفعل : فانه يقصد فيه الى ذلك ، فاذا قلت : زيد هو ذا ينطلق ،

---

(٣٥) المصدر السابق ص ١٥٨ •

فقد زعمت ان الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً ، وجعلته يزاوله ويزجيه . وان شئت ان تحس الفرق بينهما من حيث يلطف ، فتامل هذا البيت :

لا يالف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى . ولو قلته بالفعل : لكن يمر عليها وهو ينطلق ، لم يحسن . واذا أردت ان تعتبره بحيث لا يخفى ان أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه : فانظر الى قوله تعالى : « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » فان أحداً لا يشك في امتناع الفعل ههنا وان قولنا : كلبهم يبسط ذراعيه : لا يؤدى الغرض ، وليس ذلك الا لان الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً . ولا فرق بين « وكلبهم باسط » وبين ان يقول : وكلبهم واحد مثلاً في انك لا تثبت مزاولة ولا تجعل الكلب يفعل شيئاً ، بل تثبته بصفة هو عليها . فالغرض اذن تأدية هيأة الكلب »[٣٥] .

ويتبين من هنا أن الاخبار باسم الفاعل نحو : زيد قائم يراد به اثبات صفة القيام في المسند اليه كما اتضح مما نقلنا من كلام الجرجاني . وان (قائم) هنا داخلة في باب الاسمية وليست هي فعلاً كما ذهب اليه المخزومي وقال : انها حدث يعبر به عن الاستمرار ، واثبات الصفة وثبوتها أصيل في الاسمية ومن معانيها .

أقول : كان على السيد المخزومي ان يقتصر على ما اقتصر عليه الاقدمون في مسألة فعلية (فاعل) وذلك في اسم الفاعل العامل الذى يترشح للاستقبال وفي اسم الفاعل المضاف الى معموله الذى يترشح للماضي كما اشرنا الى ذلك غير مرة ، وذلك لان مجرد الاخبار باسم الفاعل نحو : « زيد منطلق » لا يقرب من هذه الفعلية وهو داخل في باب الاسماء وهذا

---

(٣٥) الجرجاني ، دلائل الاعجاز (تحقيق محمد بن تاويت . تطوان) ص ١٠٣ — ١٠٤ .

يختلف في كثير أو قليل عن قولنا : « زيد رجل » لارادة اثبات الرجولة في معانيها الكاملة وحصرها في « زيد » .

ولعل مصطلح (الدائم) هو الذي جر الاستاذ المخزومي الى هذا فقال باستمرارية الحدث في (فاعل) . او لعله ذهب الى فعلية (فاعل) كيفما وقع في الجملة لقول الاقدمين : ان « منطلق » من قولهم : « زيد منطلق » رافع ضميراً مستتراً هو فاعله .

وهذا المنهج النحوي القديم مما لا يرضاه البحث العلمي الحديث فهو ذهاب في المجهول .

وليت الدكتور المخزومي أحال على الجرجاني كما نقلنا في هذه المسألة ، ولا ادرى لماذا أفاد مما كتبه الجرجاني ونقل قوله كاملاً في كلامه على الجملة العربية[٣٦] ، ولم يفد منه في هذا المكان .

ويستمر المخزومي في زعمه ان صيغة (فاعل) تعبر عن استمرار الحدث بلا انقطاع فترة من الزمن الماضي فيلمح في صيغة (كان فاعلاً) هذا الاتجاه الاستمراري نحو قوله « كان محمد مرحاً » .

أقول : ان قوله : « كان محمد مرحاً » يعود بنا الى الكلام السابق ففي هذه الجملة المصدرة بـ (كان) جملة (محمد مرح) وهي جملة اسمية من غير شك مؤلفة من المبتدأ (المسند اليه) والخبر (المسند) والخبر صفة هي (مرح) وزان (فَعِل) والمراد بالصفة الثبوت والاخبار بها اثبات لها في المسند اليه . هذا هو الغرض الاول من اطلاق الصفات وحيث ان الاخبار من هذا القبيل ، فليس لنا ان نقول بفعلية هذه المواد التي لا يراد منها ما يراد من الافعال من إرادة التجدد .

جاء في « التلخيص » في الكلام على المسند : « اما كونه فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجه مع افادة التجديد »[٣٧].

قلت : ان (محمد مرح) جملة اسمية والجملة الاسمية ذات فائدة

(٣٦) المخزومي ، في النحو العربي ص ٤١ ــ ٤٢ .
(٣٧) القزويني ، تلخيص المفتاح ص ٤٧ .

خاصة عرضنا لها ثم صدرت هذه الجملة بـ (كان) للدلالة على فترة من الزمن الماضي • فاذا ترشحت الدلالة الزمانية من قول السيد المخزومي (كان مرحاً) فانما حصل ذلك من مجيء الفعل (كان) وهي ما تدعوه بـ Exposant Temporel •

ويمضي الدكتور المخزومي في هذا السبيل فيثبت استمرارية الحدث في بناء (فاعل) وسائر الصفات ويمثل لذلك بـ : أمسى القمر تماً ، وبات الجو غائما ، واصبحت السماء صحواً ، وظل البرد متساقطاً •

ولا نعلم وجهاً لهذه الفعلية الاستمرارية في الكلمات : تم وغائم وصحو ومتساقط وذلك لورود الافعال : أمسى وبات واصبح وظل في صدور الجملة المذكورة • واذا كان هناك استمرار فهو مستفاد من الافعال : أمسى وبات واصبح وظل ، وهذه الافعال تفيد هذه الفائدة ، واستمراريتها محدودة بما تدل عليه من ظروف الزمان فكان « مأسى » من المساء و « بات » من البيات او الليل و « أصبح » من الصباح و « ظل » من النهار(٣٨) •

ثم يمضي الدكتور المخزومي فيقول : وتستعمل صيغة (فاعل) للتعبير عن استمرار الحدث في الماضي بلا انقطاع حتى اللحظة الحاضرة ، وذلك مع (ما زال) و (ما انفك) و (ما فتيء) و (ما برح) ، نحو ما زال الجو ملبداً ، وما انفكت النجوم متلألئة ، وما فتيء محمد ذاكراً اخاه ، وما برح القوم ضاحكين •

اقول : ليست الاستمرارية في الماضي بلا انقطاع حتى اللحظة الحاضرة مستفادة من : (ملبد) و (متلألئة) و (ذاكراً) و (ضاحكين) فهذه المشتقات نعوت وصفت بها الاسماء المتقدمة ، وما الاستمرارية المحددة كما اشار اليها الزميل المخزومي الا من المواد الفعلية نحو : (ما زال) و (ما فتيء) و (ما انفك) و (ما برح) •

---

(٣٨) ويبدو لي أن (ظل) لابد أن تكون من مادة (الظل) فربطوها بالنهار وان (بات) لابد ان تكون من الظرف المكاني وهو (البيت) لانه وثيق الصلة بالبيات •

المصـــدر :

ومن الابنية التي تستخدم استخدام الفعـل (المصـدر) وربما فات الاقدمين ان يلحقوا هذه المادة بالفعل كما فعل الفراء في (فاعل) الذى اطلق عليه (الدائم) •

ويعمل المصدر عمل الفعل في موضعين :ـ

أحدهما : ان يكون نائباً مناب الفعل نحو : « ضرباً زيداً » فزيداً : منصوب بضرباً لنيابته مناب اضربْ •

والموضع الثاني ان يكون المصدر مقدراً بأن والفعل ، أو بما والفعل ، فيقدر بأن اذا أريد المضي او الاستقبال نحو : « عجبت من ضربك زيداً ــ أمسِ أو غداً » والتقدير من أن ضربت زيداً ، أو من أن تضرب زيداً ، ويقدر بما اذا أريد به الحال نحو « عجبت من ضربك زيداً الآن » التقدير : مما تضرب زيداً الآن • واذا كنا قد لمحنا الفعلية في أبنية (فاعل) و (مفعول) و (فعيل) ونحو ذلك جرياً على شيء مما ذهب اليه الكسائي والفراء ، فما أحرانا أن نضيف الى هذه المواد الفعلية المصدر في حدوده التى أشار اليه السابقون من النحويين •

فعل الأمر

وهو من المضارع بعد نزع حرف المضارعة . جاء في المفصل : « وهو الذي على طريقة المضارع للفاعل المخاطب لا يخالف بصيغته صيغته الا ان تنزع الزائدة فتقول في تضع ضع ، وفي تضارِب ضارِب وفي تُدحرِج دَحرِج ونحوها مما أوله متحرك فان سكن زدت لئلا تبتدىء بالساكن همزة وصل فتقول في تضرب اضرب ، وفي تنطلق انطلق ... »[1] .

وما ذهب اليه الزمخشري يمثل رأي البصريين اما الكوفيون فقد ذهبوا الى أنه معرب مجزوم بلام محذوفة وهي لام الأمر فاذا قلت اذهب فأصله لتذهب وانما حذفت اللام تخفيفاً وما حذف للتخفيف فهو في حكم الملفوظ به فكان معرباً مجزوماً بذلك الحرف المقدر . ويؤيد عندك انه مجزوم انك اذا امرت من الافعال المعتلة نحو يرمى ويغزو ويخشى حذفت لاماتها كما تفعل في المجزوم من نحو ليغز وليرم وليخش[2] .

وعلى هذا فان الأمر عندهم لا يكون قسيماً للمضارع والماضي كما سبق ان عرضنا لهذا الموضوع في غير هذا المكان .

---

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٥٨ .
(٢) المصدر السابق ص ٦١ .

قـدم الفعلية في العربية

اختلف الاقدمون من النحويين واللغويين في موضوع أي الافعال اقدم من غيرها في العربية فقد قال جماعة بقدم فعل الحال وذلك « لان الاصل في الفعل أن يكون خبراً والأصل في الخبر ان يكون صدقاً ، وفعل الحال ممكن الاشارة اليه فيتحقق وجوده ، فيصدق الخبر عنه ، ولان فعل الحال مشار اليه فله حظ من الوجود »[1] • وعلى هذا فهي مرتبة على النحو الآتي : الحال ثم المستقبل ثم الماضي •

وذكر الزجاجي : « اعلم ان اسبق الافعال في التقدم الفعل المستقبل ، لان الشيء لم يكن ثم كان ، والعدم سابق للوجود ، فهو في التقدم منتظر ، ثم يصير في الحال ثم ماضياً فيخبر عنه بالمضي • فاسبق الافعال في المرتبة : المستقبل ، ثم فعل الحال ، ثم الماضي »[2] •

وقد نقل السيوطي في الاشباه والنظائر ما ذكره ابو البقاء العكبري في (اللباب) فقال : « وقال قوم : الأصل هو المستقبل ، لأنه يخبر به عن المعدوم ثم يخرج الفعل الى الوجود فيخبر عنه بعد وجوده »[3] •

ويبدو من مجموع هذا ان هذه المسألة لا تخرج عن حدود الافتراضات التي ينقصها الدليل التاريخي • ثم ان هؤلاء الاقدمين يلجأون الى طـرق

---

(١) السيوطي ، الاشباه والنظائر ج ٢ ص ٩ •
(٢) الزجاجي ، الايضاح في علل النحو ص ٥٨ •
(٣) السيوطي ، الاشباه والنظائر ج ٢ ص ٩ •

غير لغوية لاثبات ما يرونه من آراء • ألا ترى ان مسألة العدم وكونه سابقاً للوجود لا يمكن ان يستفاد منها للوصول الى هذه المسألة اللغوية •

اما الباحثون المحدثون فليس لديهم من الوثائق اللغوية التأريخية ما يعينهم على الأخذ بشيء مهم في هذه المسألة ، فقد ذكر نفر من الباحثين المستشرقين ان فعل الأمر يمكن ان يكون الاصل القديم للفعل في العربية • وهذا الرأي لا يختلف عن آراء الاقدمين في هذه المسألة التاريخية التي تفتقر الى الدليل اللغوي • ثم ان المقارنة بين العربية واللغات السامية لا تعين على الوصول الى شيء يطمأن اليه في هذا الموضوع •

بين الفعل والاسم

كثر الخلاف والجدل في كثير من المسائل اللغوية والنحوية بين البصريين والكوفيين ، وكتب الخلاف بين الفريقين حافلة بهذه المسائل واحتجاج كل من الفريقين لما يرى .

ومن مسائل الخلاف التي اختلف فيها البصريون والكوفيون مسألة الأصل الاشتقاقي القديم في العربية . يرى البصريون ان الاسم هو الأصل ، والفعل فرع عليه والكوفيون يخالفونهم فيما ذهبوا اليه وعندهم ان الاصل القديم هو الفعل والاسم فرع عليه .

والذي نعرفه مما ذكره ابو البركات ابن الأنباري في (الانصاف)[1] ان الاسم لدى كل من الفريقين هو المصدر فالبصريون يرون ان المصدر سابق للفعل والكوفيون قد خالفوهم في هذا واعتمدوا الفعل اصلاً اخذ المصدر منه .

قال البصريون « ان المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين ، فكما ان المطلق اصل للمقيد فكذلك المصدر أصل الفعل » ، على ان الزجاجي يقول في « الايضاح » في هذه المسألة : « المصدر الحدث ، لان الحدث الذى أحدثه زيد ، ثم حدث عنه ، والفعل حديث عنه ، والحدث

---

(١) ابن الانباري ، الانصاف (المسألة الثامنة والعشرون) .

سابق للحديث عنه »[٢] .

اما الكوفيون فقد قالوا : ان المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ، ألا ترى انك تقول : قاول قواماً فيصح المصدر لصحة الفعل ، وتقوم : قام قياماً فيعتل لاعتلاله ، فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على انه فرع عليه » .

ويتبين من هنا ان سبيل الاحتجاج لدى البصريين والكوفيين لا يمكن ان يؤدى الى النتيجة التي اصحبت رأي كل من الفريقين في مسألة تأريخية كان ينبغي ان تبحث على غير هذا النحو من الصيغة القائمة على المنطق .

والذى يبدو لنا ان هذه المسألة لدى البصريين والكوفيين لا يمكن ان تكون مسألة خلاف ، وذلك لان المصدر والفعل مادة واحدة ، هي المادة الفعلية التي لابد ان تبحث بالقياس الى الاسم المنقطع للاسمية .

وقد رأينا ان المصدر يقتضي درجة في مادة الفعل وذلك لتوفر الاصول الاولى فيهما . فكلاهما حدث وكلاهما مقترن بزمان ما . ولا نريد ان نعود الى هذه المسألة التي اطلنا الكلام عليها .

اما الاسم الذى نقصده والذى يجب ان يكون مادة البحث في هذا الموضوع فهو غير الحدث ويندرج في هذا اسماء الذات مما هو داخل في اسماء الاعيان وما هو مرتبط بالطبيعة الحسية .

والاستقراء يدلنا على ان هذه الاسماء قد أمدت العربية بالمواد الاشتقاقية مثل الافعال .

فاذا اعرضنا لاعضاء جسم الانسان بصورة عامة عرفنا أنها كانت مادة أصيلة لكثير من الالفاظ . ومن هنا ننتقل من الحسي الى المعنوي كما ننتقل من الحقيقة الى المجاز .

والنظر في المعجم العربي في اي من هذه المواد نحو (رأس) و (سن)

---

(٢) الزجاجي : الايضاح ص ٥٧ .

و (انف) و (عظم) و (فم) و (اذن) و (عين) و (صدر) و (ظهر) و (ضلع) و (عضد) و (ساعد) و (بطن) و (يد) و (رجل) ونحو ذلك معين للباحث المستقري على ان يتتبع انتقال هذه الالفاظ الى اشياء أخرى تؤلف في مجموعها مواد اشتقاقية من ضمنها الافعال •

ومن المسلم به ان المصدر وهو من اسماء المعاني داخل في ضمن هذه المواد التي اخذت من هذه الاصول الحسية •

كما نستطيع ان نمضي في هذا السبيل فنطمئن الى ان عالم الحيوان قد أمد العربية بالكثير من هذه المواد الاشتقاقية •

ومن الطريف المفيد ان نؤكد ان « الجمال » وما يتصل بها من الالفاظ والمعاني مأخوذ من (الجمل) الحيوان المعروف الذى احبه العرب في باديتهم القديمة فرأوا فيه الحيوان المتصف بالحسن • ومن ذلك الأناقة والتنوق وما يتصل بهما من الفاظ ، فهذه في مجموعها ذات صلة بالناقة الحيوان المعروف •

ثم انك لابد ان تعقد الصلة بين (السنام) والفعل (تسنم) كما تعقدها بين (الركب) والفعل (ركب) • وهكذا انت واجد في كثير من افراد هذا العالم الحيواني مادة افادت منها العربية ثروة كبيرة انتقلت بها من الحسي الى المعنوي ومن المحسوس الى المعقول ومن الاسم الى الفعل •

والذي يقال في عالم الحيوان يقال مثله في عالم النبات • كما ان سائر ما اشتملت عليه الطبيعة الجغرافية من مظاهر ذو أثر في عربيتا في هذا الخصوص •

ومن هنا نعرف ان البصريين والكوفيين قد اختلفوا في هذه المسألة التي لم تؤلف مادة للخلاف باقتصارها على الفعل والمصدر •



الأفعال الناقصة

المصطلح النحوي في العربية ثروة اصطلاحية ضخمة . وهو واسع سعة نحو العربية في اصوله وفروعه وعلله واحكامه . وهو مطابق للمنهج النحوي الذى اخذ النحاة به أنفسهم ، مساير للاصول اللغوية والمنطقية التي التزموا بها .

أقول : المنطقية لأن المنطق في احكامه ساد في العلم النحوي اللغوي . ومهما قيل في ضبط هذا المصطلح ومطابقته للمادة النحوية فلابد أن يكون فيه شيء اطلق اعتباطاً ليس له من قاعدة قوية يقوم عليها . ومن هذا مصطلح (الناقصة) للافعال (كان) وطائفة أخرى مما اطلق عليها لفظ الاخوات للفعل (كان) الذي جعلوه في رأس هذه الطائفة الفعلية .

وقد سميت هذه الافعال (الناقصة) لان الناقص في رأي جماعة من النحويين الذي لا تتم الجملة معه الا بمرفوع ومنصوب[1] . او الذى لم يكتف بمرفوعه كما ذهب آخرون او الذى قد سلب الدلالة على الحدث وتجرد للدلالة على الزمان[2] .

ولعل اهتمامهم بالاثر الذي يجلبه العامل وهو ما يدعى بالاعراب ،

---

(١) رضي الدين الاستراباذي ، شرح كافية ابن الحاجب ج٢ ص٢٩٠ (طبعة الاستانة) .

(٢) الازهري ، التصريح على التوضيح ج ١ ص ١٩٠ (القاهرة ١٩٢٥) .

هو الذى سيطر على منهجهم في بحث هذه المسألة النحوية فقالوا : انها تدخل على المبتدأ والخبر فترفع الاول ويسمى اسمها وتنصب الثاني ويسمى خبرها •

اما القول بأن هذه الافعال قد سلبت الدلالة على الحدث وتجردت للدلالة على الزمان ، فانه مبعد لهذه الافعال عن الفعلية التى تشترط الحدث في العربية وهذا يعنى ان الدلالة على الحدث عنصر جوهري في الفعل العربي ، ثم ان اقترانه بزمن ما يتعين بالابنية قليلاً ، وبالقرائن والمعاني والزيادات كثيراً أمر ثانوي • جاء في شرح المفصل : « ان الفعل وضع دليلا على الحدث المقترن بالزمان والاقتران وجد تبعاً »[٣] •

وربما كان بسبب من هذا الفهم لهذه المواد التى سلبت الدلالة على الحدث واشارت الى الزمان اشارات غير واضحة محدودة في كثير من الاحيان ، ذهاب جماعة منهم الى ان هذه المواد وهي (كان وأخواتها) حروف وليست افعالاً كما عرض لذلك ابن الانباري في (اسرار العربية) فقال : لانها لا تدل على المصدر (الحدث) ولو كانت افعالاً لكان ينبغي ان تدل على المصدر ولما كانت لا تدخل على المصدر دل على أنها حروف »[٤] •

ومن أجل هذا جاء في شرح المفصل : « انها لا تدل على حدث بل تفيد الزمان مجرداً من معنى الحدث »[٥] •

والحقيقة ان هذه المواد لا تختلف عن سائر الأفعال فهي احداث تدل على خصوصيات معنوية كما سنرى • جاء في « شرح الكافية » في هذا الموضوع : « وما قال بعضهم من أنها سميت ناقصة لأنها تدل على الزمان دون المصدر (الحدث) ليس بشيء ، لان « كان » في نحو « كان زيد قائماً » يدل على الكون الذى هو الحصول المطلق وخبره يدل على الكون

---

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٣ •
(٤) ابن الانباري ، اسرار العربية (طبعة ليدن) ص ٥٥ •
(٥) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٩٧ •

المخصوص وهو كون القيام أي حصوله ، فجيء اولا بلفظ دال على حصول ما ثم عين بالخبر ذلك الحاصل ، فكأنك قلت : حصل شيء ثم قلت حصل القيام ، فالفائدة في ايراد مطلق الحصول أولاً ثم تخصيصه كالفائدة في ضمير الشأن قبل تعيين الشأن على ما مر في بابه مع فائدة أخرى ههنا وهي دلالته على تعيين زمان ذلك الحصول المقيد ، ولو قلنا : « قام زيد » لم يحصل هاتان الفائدتان معاً . فكان يدل على حصول حدث مطلق تقييده في خبره ، وخبره يدل على حدث معين واقع في زمان مطلق تقييده في « كان » لكن دلالة « كان » على الحدث المطلق أي الكون وضعية ، ودلالة الخبر على الانتقال ، وأصبح الدال على الكون في الصبح او الانتقال ومثله أخواته ، و (مادام) الدال على معنى السكون الدائم ، و (مازال) الدال على الاستمرار وكذا أخواته ، و (ليس) الدال على الانتفاء ، فدلالتها على حدث معين لا يدل عليه الخبر في غاية الظهور ، فكيف يكون جميعها ناقصة بالمعنى الذى قالوه »(٦) .

واذا قيل : ان نقص هذه الافعال بكونها لا تكتفي بمرفوعها بل تتعداد الى المنصوب فذلك لا يؤلف ما يدعو الى هذه التسمية الاعتباطية ، وذلك لان المتعدى من الافعال هو الفعل الذى لا يكتفي بمرفوعه بل يتعدى الى المنصوب وهو المفعول به وقد يكون هذه الفعل متعدياً لاكثر من مفعول واحد ، وهذه الحالة في الافعال الناقصة وهي مثلها سواء بسواء ذلك ان (كان) ونحوها لا تكتفي بمرفوعها وتفتقر الى المنصوب ، ومثلها (ضرب) ونحوه لا يكتفي بمرفوعه بل لابد من المنصوب الذى يوقع عليه الحدث وهو الضرب .

ويبدو من هذا العرض ان مصطلح « الناقصة » لهذه الافعال غير صحيح وانما هي تسمية اعتباطية كما تدل على ذلك الآراء المختلفة التي قال بها الأقدمون للوصول الى هذه التسمية .

ومن هنا فان هذه الأفعال لا تختلف عن افعال العربية الاخرى في

---

(٦) رضي الدين الاستراباذي ، شرح الكافية ج ٢ ص ٢٩٠ .

شيء من عناصر الفعلية وهو الدلالة على الحدث المقترن بزمان ما • ولا نستطيع سلب الحدث من هذه المواد فتصبح كأنها المواد الجامدة • وحقيقة الاستعمال لا تؤيد وجود هذه الصفة في هذه الافعال •

والذي يجب أن نقوله في هذه الأفعال أنها تطورت في الاستعمال حتى صارت لا تكتفي بفاعلها كما هي الحال فيما اسموه بـ (كان) التامة التى يتضح فيها الحدوث فقد قالوا : قيل لها تامة لدلالتها على الحدث نحو قولك كان الأمر بمعنى حدث ووقع ، ويقال : « كانت الكائنة » أي : حدثت الحادثة ومنه قولهم : « المقدور كائن » المراد : ما يقضيه الله ويقدره كائن ، أي حادث وواقع لاراد له • ومنه قوله تعالى : « كن فيكون » أي : احدثْ فيحدث ، وكذلك قوله تعالى : « الا ان تكون تجارة » أي تقع تجارة[٧] •

أقول تطورت في الاستعمال فانتقلت من هذه الصورة القاصرة المكتفية بفاعلها الى شيء آخر يفتقر الى المنصوب المكمل للمعنى الذي يقتضيه المعنى الجديد • وبسبب من هذا الافتقار أرادوا ان يجعلوها مخالفة لمجموع افعال العربية فاخترعوا هذه التسمية •

وكأنهم وجدوا في عزل هذه الأفعال بسبب مما يأتي بعدها حيرةً وعدم اطمئنان فراحوا يشبهونها بسائر الافعال فاسموها النواسخ أي الناسخة للمبتدأ والخبر • وقالوا ايضاً « الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر فترفع المبتدأ تشبيهاً له بالفاعل ويسمى اسمها حقيقة وفاعلها مجازاً وتنصب خبره تشبيهاً له بالمفعول ويسمى خبرها حقيقة ومفعولها مجازاً لانها اشبهت الفعل التام المتعدى لواحد » • وهذا الاتجاه هو الذى سار فيه المتأخرون من النحويين دفعاً لما كان يساورهم من دلالة المصطلح (الناقص) واطلاقه على هذا النحو من الاعتباط •

وقد سبق هؤلاء المتأخرين جماعة الكوفية من النحويين المتقدمين الذين

---

(٧) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٩٧ ــ ٩٨ •

بدا لهم شيء من التزيد والاصطناع في مذهب السابقين الاوائل من بصريين وغيرهم فأرادوا ان يقولوا بعدم اختلاف هذه الافعال عن سائر افعال العربية فقالوا ان خبر كان واخواتها منصوب على الحالية المكملة للمعنى وهي بذلك مما تفتقر اليه هذه الافعال كما تؤخذ من أقوالهم : الافعال الناقصة ما لم يتم كلاماً الا بحال »[8] ٠

ويشير ابو البركات ابن الانباري في « الانصاف » الى هذه المسألة من مسائل الخلاف وذلك لان الكوفيين اعترفوا ان هذه الافعال دالة على الكون وهو حدث ، مسندة الى مرفوعها وهو فاعل ، لا تنفك عن منصوبها وهو حال ٠

وقد رد البصريون مقالة الكوفيين بقولهم : « ولا يجوز ان يقال انه لو كان نصباً على الحال لما جاز ان يقع معرفة في نحو : كان زيد أخاك ، وظننت عمراً غلامك ، والحال لا تكون معرفة ٠ فرد الكوفيون : انا نقول : انما جاز ذلك لان (اخاك) و (غلامك) وما اشبه قام مقام الحال ، كقولك : ضربت زيداً سوطاً ، فان « سوطاً » ينتصب على المصدر وان كان آلة لقيامه مقام المصدر الذى هو ضربه ، وكذلك ها هنا ٠ على انه قد جاءت الحال معرفة في قولهم : « أرسلها العراك ، وطلبته جهدك وطاقتك ، ورجع عوده على بدئه الى غير ذلك فدل على صحة ما ذهبنا اليه »[9] ٠

وللاستعمال قوة وسلطان في جميع اللغات ٠ وقد كان بسبب من الاستعمال الطويل أن تحولت هذه الافعال من مجرد الدلالة على الحدث وهو الكون العام كما في (كان) والكون المقيد كما في سائر افعال هذا الباب الى أن يتقيد هذا الكون العام بما اسماه اولئك خبراً وهؤلاء حالاً ٠

وبسبب هذا العمل أي مجيء اسم مرفوع متلواً بآخر منصوب بعد هذه الافعال حشروا جملة من الافعال في باب واحد اسموه الناسخة للابتداء وهي مختلفة في معانيها فبعضها يتصرف تصرفاً تاماً وهو (كان) ، وبعضها

---

(٨) الموفي في النحو الكافي ص ١٢٢ ٠
(٩) ابن الانباري ، الانصاف ج ٢ ص ٤٩٠ ٠

يتصرف تصرفاً ناقصاً نحو « أضحى » و « اصبح » و « ظل » و « بات » و « كاد » و « اوشك » وغيرها ، وبعضها لا يتصرف نحـو : « طفق » و « حرى » و « اخلولق » و « كرب » •

أما من حيث المعاني فهي مختلفة كذلك ، فمنها ما يفيد الـكون العام نحو (كان) ، ومنها ما يفيد الكون المقيد بزمن مخصوص نحو امسى واصبح ونحوها ، ومنها ما يفيد الاستمرار نحو : مازال وما دام وما انفك وما برح وما فتىء ، ومنها ما يفيد المقاربة نحو : كاد وكرب واوشك ومنها ما يفيد الرجاء نحو عسى وحرى واخلولق ، ومنها ما يفيد الشروع وهى جملة افعال منها : طفق واخذ وجعل وقام وشرع ونحوها ، ومنها ما يفيد التحول والصيرورة نحو : صار وجعل وصير وأصبح وامسى وبات واضحى •

وفي هذه الاشتات نجد اختلافاً في المعاني واختلافاً في الاستعمال كما سنتبين ذلك • غير ان النحويين قد اخذوا انفسهم بمسألة العامل والعمل وما يجلبه هذا العامل من أثر في الكلمات اي (الاعراب) ومن أجـل ذلك ادخلوا ما يعمل عملا متشابهاً في باب واحد غير مهتمين بكثير مما يجعل هذه المواد متباعدة مختلفة •

ومما هو جدير بالملاحظة والاشارة اليه ما سمى بأفعال المقاربة وهى : كاد ، كرب ، اوشك ، وما سمى بافعال الرجاء وهى : عسى ، حرى ، اخلولق ، وما سمى بافعال الشروع وهي : طفق وجعل وقام واخذ وبدأ وغير هذا مما يستعمل في هذا المعنى •

ويجمع بين هذه الافعال المختلفة في الدلالات كون خبرها فعلا مضارعاً وقد ورد الخبر اسماً منصوباً وهو قليل نادر كما قال ابن مالك في خلاصته :

ككان كاد وعسى لكى ندر   غير مضارع لهذين خبر

كما في قول الشاعر :

فأبت الى فهم وما كدت آئباً   وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

والذى تجب ملاحظته في اخبار هذه الأفعال (١) ان يجي مقترناً بـ (أن) دائما كما في حرى • واخلولق نحو حرى محمد ان يسافر ، واخلولق المطر ان يسقط[١٠] •

(٢) ان يغلب اقتران الخبر بـ (أن) كما في عسى واوشك نحو : عسى ربكم ان يرحمكم ، واوشك الجدار ان ينقض •

(٣) ما يترجح تجرد خبره من (أن) وهو : كاد وكرب نحو قوله تعالى : اكاد أخفيها •

وقول الشاعر :

• • • • • • وقد كَرَبت اعناقها ان تقطعا

(٤) ما يمتنع اقتران خبره بـ (أن) وهو افعال الشروع نحو قوله تعالى : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » •

وقول الشاعر :

وقد جعلت اذا ما قمت يثقلني ثوبي فانهض الشارب الثمل

ومجيء خبر هذه الافعال فعلا مضارعاً مسبوقاً بأن احيانا أوقع النحويين في حيرة فماذا يقولون ؟

قالوا : كاد المريض يشفى • الخبر هو الجملة من الفعل (يشفى) والفاعل الضمير المستتر في محل نصب • فاذا ارادوا ان يعربوا عسى محمد ان يقوم اتبعوا الاسلوب نفسه واغفلوا مسألة (أن) اغفالا يكاد يكون تاماً وذلك خوفاً من القول انها مصدرية واذا كانت مصدرية فان الخبر هو المصدر المؤول ولا يمكن ان يكون المصدر المؤول في هذه الافعال خبراً لئلا يخبر عن (زيد) وهو اسم ذات بالمصدر وهو اسم معنى •

---

(١٠) من المفيد ان نلاحظ اننا لم نستطع استقراء هذين الفعلين فيما نملك من نصوص لغوية ، ولذلك فهما فعلان لا وجود لهما الا في كتب النحو القديم ومن غير شك انهما من البقايا اللغوية المتحجرة التي هجرت في الاستعمال فلزمت هذه الصورة لا تتعداها فلم تتصرف كما قالوا •

غير أن بعض النحويين قال : ان الخبر هو المصدر المؤول واحترز من الوقوع في هذه المشكلة باللجوء الى تأويلات مكذوبة مصطنعة وما اكثر ما يلجأ النحويون الى شيء من ذلك حين يحزبهم أمر من الامور المشكلة فقالوا في « عسى محمد ان يقوم » عسى امر محمد القيام ، وفي هذا افتئات على اللغة والمعاني وبذلك يتم لهم الاخبار عن اسم المعنى باسم المعنى وذلك بتقدير مضاف محذوف هو اسم (عسى) الحقيقي كما ادعوا .

وقد حملوا هذه الافعال على (كان) وتوهموا انها تعمل عملها مع العلم ان الخبر هو ابداً فعل مضارع فقالوا ان هذا الفعل المضارع كان حقه ان يكون اسماً مفرداً فكأن الاصل قد رفض وعدل عنه الى الفرع وهو الفعل المضارع الشبيه بالاسم .

وربما اتخذوا من مجيء الخبر اسماً في النادر من الشواهد دليلا على ان اخبار هذه الافعال وان كانت افعالا مضارعة فحقها ان تأتي اسماء مفردة واذا كان هذا الافتراض فهي كغيرها من الافعال الناسخة للابتداء اي الناقصة .

والى مثل هذا ذهب النحويون كما جاء في « شرح المفصل » قال : « كان صاحب الكتاب لما قرر ان الفعل يرتفع بوقوعه موقع الاسم اعترض على نفسه بقولهم « كاد زيد ان يقوم ، وجعل يضرب وطفق يأكل » فان هذه الافعال مرتفعة في هذه المواضع ولا يستعمل الاسم فيها فلا يقال : كاد زيد قائماً ، وطفق آكلاً ، وجعل ضارباً ، ثم أجاب عن ذلك بأن قال « الأصل في كاد زيد يقوم » ان يقال : قائماً ، وفي « جعل يضرب » ضارباً ، وفي « طفق يأكل » آكلاً ، وانما عدل عن الاسم الى لفظ الفعل لغرض »(١١) .

ومن هذا يتبين أنهم تعسفوا ما شاءوا ليقولوا ان هذه الافعال المضارعة واقعة في حيز جمل والجملة في محل نصب خبر واذا كانت الاخبار منصوبة فهي مثل (كان) .

---

(١١) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ١٣ .

ولا تستطيع قبول هذه الاساليب المعقدة فتحمل هذه الافعال على افعال لا تقاربها في الاستعمال • ومن هنا نخلص الى انها افعال يليها مرفوعها متلواً بفعل مضارع مرفوع لم يهتد النحاة الى اقراره في مكانه فقالوا : هو في جملة الخبر ، وقالوا : هو مفعول به أو شبيهاً بالمفعول به ، أو بدل اشتمال • جاء في شرح الكافية :

وقيل المقترن بأن مشبه بالمفعول به وليس بخبر كخبر كان حتى يلزم كون الحدث خبراً عن الجثة • وذلك لان المعنى الأصلي : قارب زيد ان يخرج اي الخروج •• »[١٢] •

ويتبين من هنا أن الحاق هذه الأفعال بـ (كان) من حيث العمل أمر لم يطمئن اليه النحويون الاولون ، فهي على ما نقل الرضي كسائر الافعال التامة وليس من باب الافعال الناقصة الناسخة للابتداء •

والى مثل هذا ذهب الكوفيون جاء في شرح الكافية : « وقال الكوفيون إن (ان يفعل في محل الرفع بدلا مما قبله بدل الاشتمال كقوله تعالى : (لاينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم) الى قوله : (ان تبروهم) اي : لا ينهيكم الله عن ان تبروهم • قال الرضي : والذى أرى ان هذا وجه قريب فيكون في نحو (يا زيدون عسى ان تقوموا) قد جاء بما كان بدلا من الفاعل مكان الفاعل ، والمعنى أيضا يساعد على ما ماذهبوا اليه ، لان « عسى » بمعنى يتوقع فمعنى عسى زيد أن يقوم : أي يتوقع ويرجى قيامه »[١٣] •

اما ابن هشام فانه يقول : « والقول الثاني انها ـ اي : عسى ـ فعل متعد بمنزلة (قارب) معنى وعملا ، أو قاصر بمنزلة قرب من ان يفعل ، وحذف الجار توسعاً وهذا مذهب سيبويه والمبرد »[١٤] •

---

(١٢) رضي‌الدين الاستراباذي ، شرح الكافية ٢ ص ٣٠٢ •
(١٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠٣ •
(١٤) ابن هشام ، مغني اللبيب ج ١ ص ١٥١ ـ ١٥٢ •

ويتبين من هنا ايضا أنهم اختلفوا في هذه الافعال وفي عملها وقالوا في الفعل المضارع عدة أقوال ، واختلافهم يؤيد ما نذهب اليه من عدم صحة حملها على (كان) في العمل .

غير ان القول بان المضارع مفعول به أو شبيه به أو بدل راجع الى ان هؤلاء المخالفين في جعله واقعاً في جملة في محل نصب خبر ، أرادوا بمقالتهم وضعه في مكان ما ووسمه بشيء من مفردات النحو .

اما نحن فلا نحس فيه شيئاً مما يمكن ان يسمى مفعولا به او شبيها به او بدلا وذلك لان « اوشك » و « كاد » و « عسى » ونحو ذلك وان كانت معانيها « قارب » و « قرب » فهي غيرها في اللفظ وتفسيرها بهذين الفعلين اجتهاد في سبيل حمل هذا المضارع على مادة من المواد النحوية فتعتبر متعدية مرةً ولازمة أخرى ليتم لهم الوجوه الاعرابية .

ولهذه الافعال طرق في الاستعمال تقوم على التقديم والتأخير كأن يقال : « عسى ان يقوم زيد » وفي هذه الجملة يكون « ان والفعل » عندهم في مقام الفاعل وهي عندئذ كسائر الافعال .

اقول : ان استعمال « عسى » على هذا النحو لا يختلف في المعنى عن الاستعمال المشهور في كتب النحو وهو : « عسى زيد ان يقوم » وليس من المعقول ان يتردد « عسى » بين النقصان والتمام بسبب من تقديم وتأخير .

ليس

وبسبب العمل الواحد وهو عدم الاكتفاء بالمرفوع أو قل : إن هذا المرفوع أو إن هذه الافعال جميعها مفتقرة الى ما اسموه بـ الخبر المنصوب ، أقول بسبب من هذا كله ضموا مواد مختلفة في دلالاتها الى بعضها وجعلوا من تلك الاشتات المتنافرة باباً واحداً اسموه النواسخ • وقد عرضنا لهـذا الموضوع فبينا أفراد هذه الأشتات التي أقحمت في مكان لم تستقر فيه •

ولعل من الغريب أن يحشر بين هذه المواد الدالة على الايجاب مادة « ليس » وهي على النقيض من هذه المجموعة ، فهى من المسائل التي ينبغي ان تكون في مبحث النفي •

ويبدو أن الاولين كانوا في تردد بسبب هذه المسألة فقد كانت عندهم مترددة بين الحرفية والفعلية ، فذهب الجمهور الى أنها فعل ، وذهب الفارسي ـ في أحد قوليه ـ وابو بكر بن شقير ـ في احد قوليه ـ الى أنها حرف[1] • ان هؤلاء كانا على حق في ترددهم حمل هذه المادة على سائر الافعال التي اشبهت (كان) في العمل •

ويحسن بنا في بحث هذه المادة أن نطالب بابعادها من المكان حيث وضعها النحاة وجعلها في باب المواد التي تنفي • هذا من حيث وظيفتها فـي

---

(١) شرح ابن عقيل (نشر محمد محيالدين بن عبدالحميد القاهرة (١٩٣١) ج١ ص١٣٧ •

الكلام • أما من حيث بناؤها وأصلها التاريخي فشيء آخر يبعدها عن اللحاق بهذا الشتيت من الافعال التي (تعمل عمل كان)[٢] •

يرى الخليل انها مركبة من « لا أيس » فطرحت الهمزة والزمت اللام بالياء[٣] • وهو قول الفراء ايضا والدليل على ذلك قول العرب « ائتني به من حيث أيس وليس أي من حيث هو ولا هو »[٤] •

أما غير الخليل من البصريين فقد قالوا بخلافه ، فذهب ابن السراج الى أنها حرف بمنزلة « ما » والى ذلك ذهب ابو علي الفارسي وابن شقير وغيرهم[٥] •

أما القول بفعليتها فهو كثير ، قال ابن سيده : « ليس كلمة نفي » وهي فعل ماضٍ واصلها ليس بكسر الياء »[٦] •

وذهب ابن هشام الى أنها فعل لا يتصرف ، وزنه (فعل) بالكسر ، ثم التزم تخفيفه ، وقال : « ولم نقدره (فعل) بالفتح لانه لا يخفف ، ولا (فعل) بالضم ، لانه لم يوجد في يائي العين »[٧] •

وقول العرب « ائتني به من حيث ايس وليس » مفيد في هذا الباب ، ذلك أن ايس يعني الوجود و « ليس » يعني عدم الوجود •

والنظر في اللغات السامية يدل على هذا ، فالمادة « يش » في اللغة العبرانية تفيد الوجود • ولعل « شيء » في العربية تذهب الى ما تذهب اليه نظيرتها العبرانية • ومثل هذه المادة (ايث) في الآرامية وكل هذا يفيد الوجود • وقد ركبت هذه المادة مع « لا » فجاء من هذا المركب ما يصلح ان يكون نفي الوجود • والى مثل هذا ذهب بركشتراسر المستشرق الالماني

(٢) انظر « دراسات في اللغة » ص ٥٥ •
(٣) لسان العرب مادة « ليس » •
(٤) الزبيدي ، تاج العروس ، مادة « ليس » •
(٥) ابن هشام ، المغنى ج ١ ص ٢٢٧ (حرف اللام) •
(٦) لسان العرب ، مادة ليس •
(٧) ابن هشام ، مغنى اللبيب ج ١ ص ٢٢٧ •

في محاضراته الموسومة بـ « التطور النحوي »[٨] .

ولو رجعنا الى العربية وقصرنا عليها البحث دون النظر في اللغات السامية لوجدنا فيها ما يؤيد القول بتركيب « ليس » من « لا » و « أيس » . فقولهم « أيس » للدلالة على الوجود يقابله في العربية مادة « شيء » وهي مقلوب لكلمة « ايش » السامية التي وجدت في العبرانية في هذا المعنى ، وقد تحجرت في العربية في جمل معـدودة مقيـدة في كتب اللغة بقولهم « ايس » . فكأن « ليس » « لا ايس » أي أنها من « لا ايش » ومعناها « لا شيء » ثم قوي التركيب على طريقة النحت فصارت « ليس »[٩] .

---

(٨) بركشتراسر ، التطور النحوي ص ١١١ .

(٩) ولابد للباحث في « ليس » ان يعرض لـ « لات » وهي من أدوات النفي التي الحقها النحويون بـ (ليس) للتشابه بالعمل .

وقد علل النحويون التاء في هذه المسألة فقال بعضهم : انها للتأنيث، وقال آخرون : انها للمبالغة . ولا نخرج من كلا القولين بفائـدة فهي ليست للتأنيث لانها متحركة كما انها ليست للمبالغة لان فـكرة المبالغة غير حاصلة فيها . ولم يفطنوا الى تركيبها ، كما لم يفطنوا الى تركيب « ليس » فهـي مركبة من (لا ايث) فصارت في العربية (لا ايت) ثم تحولت الى (لات) .

« كان » ووظيفتها

عرضنا في الفصل السابق لهذا الفعل فرأينا أنه لم يختلف عن سائر الافعال في اشتماله على الدلالة على الحدث وفي اقتران الحدث فيه بزمان ما ، وقد لاحظنا أنها استعملت كثيراً في العربية حتى ركبت مع الافعال الأخرى للتوصل الى خصوصية في التعبير مرتبطاً بزمن خاص •

وكان بسبب من استعمالها الكثير أن تطورت فانتقلت من طور الاكتفاء بمرفوعها الى طور آخر ، وهو أنها مع مرفوعها تفتقر الى وصف آخر •

واذا كان سبيلنا هـذا هو الاستقراء لوصف كـلام العربية وكيف عرضت فيه المواد النحوية فليس لنا نحن ـ اهل هذا العصر ـ أن نحيد عن هذا المنهج العلمي •

ذكر النحاة الأقدمون ان « كان » ترد زائدة وذلك في مواضع : تزاد بين الشيئين المتلازمين كالمبتدأ والخبر نحو : زيد كان قائم ،

والفعل ومرفوعه نحو : لم يوجد كان مثلك ،

والصلة والموصول نحو : جاء الذى كان أكرمته ،

والصفة والموصوف نحو : مررت برجل كان قائم •

ولا نستطيع ان نطمئن الى زيادة « كان » في هذه التراكيب الضعيفة التي اصطنعها النحويون أمثلة ولم يستقروها في كلام صحيح فصيح •

وقالوا : وانما تنقاس زيادتها بين « ما » وفعل التعجب كقول الشاعر :

يا كوكباً ما كان أقصر عمـره • • • • • • •

وقد سمعت زيادتها بين الفعل ومرفوعه كقولهم : « وَلدَت فاطمة بنت الخُرشُب الأنمارية الكملة من بني عبس لم يوجد كان أفضل منهم » .
وقالوا : وسمع زيادتها بين الصفة والموصوف كقوله :

فكيف اذا مررت بدار قوم   وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ

والبيت للفرزدق من قصيدة يمدح فيها هشام بن عبدالملك وقيل يمدح سليمان بن عبدالملك . وورد البيت على هذا النحو من التركيب ومجيء « كان » فيه وهو من شعر الفرزدق ، أمر مفيد من الناحية اللغوية التاريخية . وشذ زيادتها بين حرف الجر ومجروره وانشد الفراء :

سراة بنى أبى بكر تسامى   على كان المسومة العِراب

واكثر ما تزاد بلفظ الماضي ، وقد شذت زيادتها بلفظ المضارع في قول ام عقيل بن ابي طالب :

أنت تكون ماجدٌ نبيل   اذا تهب شمأل بليل

ولم يكن من سبب الى القول بزيادتها في هذا البيت من الرجز الا مجيئها غير ناصبة لـ « ماجد » وهو خبر « أنت » كما يقولون ، فلما لم يكن هذا لم يجدوا الا القول بزيادتها .

وحقيقة الأمر أن الفعل (تكون) في البيت غير زائد ، وهو شيء حسن وضعه في مكانه ليستقيم للبيت حقه في الوزن الشعري ولان فيه الدلالة على الحدث وهو الكون العام .

وقد اتخذ الدكتور المخزومي من البيت الاخير مادة استعان بها على ان الجملة العربية كانت تتضمن في استعمالاتها القديمة لفظ الاسناد ، معبراً عنه بفعل الكينونة ، ولكنه انقرض في الاستعمال الشائع ، وبقى له آثار احتفظت بها بعض الشواهد التي يستشهد بها النحاة على زيادة (كان) كقول (الشاعرة) :

أنت تكون ماجد نبيل   اذا تهب شمأل بليل

فالكلمة (تكون) ـ كما يقول الاستاذ المخزومي ـ عند النحاة زائدة

هنا ، لانها لم تجر جريان (كان) في الاستعمال من رفع الاسم ونصب الخبر ، وهي ـ فيما ازعم ـ فعل الكينونة الذى يدل على الاسناد[1] .

وقد قدم صاحب هذا الرأي لما نقلناه قوله في باب (الجملة) : وليس في العربية غالباً من لفظ يدل على الاسناد كما في غيرها من اللغات الهندية الاوربية مثل (أست) في الفارسية ، و (is) في الانكليزية ، و (est) في الفرنسية ، و (ist) في الالمانية وغيرها ...

أقول : اذا كانت المقارنة أو الموازنة سبيلا في الدرس ومنهجا علميا اتبع فيما أسموه بـ (النحو المقارن) فان هذا يحسن اذا وجهنا النظر نحو اللغات السامية التي تضم لغات عدة منها العربية ، وبذلك يتم لنا الفصل في كثير من المسائل المشكلة في النحو العربي .

وليس من العلم ان نضع بين ايدينا ما نجده في لغات لا تمت الى العربية بسبب فاذا كانت اللغات الهندية والاوربية تتضمن لفظاً يقوم عليه العقد أو الاسناد النحوي هو فعل الكينونة كما جاء في كلام السيد المخزومي ، فان ذلك لا يقتضي ان يكون شيء منه في العربية ليتم الاسناد ولتقوم الجملة كما قامت في تلك اللغات .

والمعروف من الناحية التاريخية ان العربية قد خلت من مثل هذه الالفاظ في الجمل الاسمية كما خلت من ذلك سائر اللغات السامية .

وما اظن ان البيت المنسوب لام عقيل بن ابي طالب وهي ترقص ابنها عقيلاً شيء مما بقي من لفظ الاسناد كما توهم السيد المخزومي ، وقد اسلفت القول في منزلة الفعل (تكون) في البيت .

ولابد من الكلام على الشواهد النحوية ، فهي في الكثير الغالب ابيات من الشعر ، ولغة الشعر لغة خاصة يرتكب فيها الشاعر ما يرتكب ليتم له الوزن وليدخل في عدة من الالفاظ ينتظمها بيت واحد قولاً ذا فائدة أو فكرة معينة . ومن أجل هذا فان لغة الشعر ليست اللغة القويمة السهلة الواضحة التي نجدها في النثر .

---

(١) المخزومي ، في النحو العربي ص ٣١ ـ ٣٢ .

ونستطيع ان نحصي من شواهد الشعر مادة كثيرة ضعيفة اللغة سقيمة التركيب • وللنحاة ولع بالتمسك بهذه الشواهد الضعيفة واتخاذها مادة ، أو قل انهم بنوا القواعد النحوية عليها وهي قول شاعر اضطره الوزن أو اضطرته القافية الى ارتكاب ما تجنبه في سائر شعره أو ما تجنبه الناثر ولم يجر به لسان •

ثم اذا عرفنا ان من الشواهد ما قيل : انه موضوع ولم يقله قائل وربما صنعه النحوي في مختبره في علاجه للكيمياء النحوية • وفي الحق ان شيئاً من أساليب النحويين لم يخدم النحو واللغة وهو أقرب الى ما يصنعه علماء الطبيعة في مخابرهم •

ولا بد من العود الى رجز أم عقيل بن ابي طالب :

أنت تكون ماجد نبيل اذا تهب شمألٌ بليلِ

وهذا على نحو ما تنشده الامهات وهن يرقصن اطفالهن • وطبيعي الا يكون بيت يقال في مثل هذا شيئاً كبيراً يعتنى في لغته فيجيء على ما هو شائع معروف • أقول : ربما يحدث في مثل هذا الأدب الشعبي ما يخالف النمط المشهور من كلام العربية •

والبيت في دلالته ومعناه يؤيد ما نسمعه من الأدب الشعبي ولا سيما ما كان من ذلك ذا صلة بالاولاد الصغار •

يتخذ الدكتور المخزومي من بيت آخر دليلاً الى ما يذهب اليه من ورود لفظ الاسناد معبراً عنه بـ (كائن) بين طرفي الجملة الاسمية وهو :

وما كل من يبدي البشاشة كائناً اخاك اذا لم تلقه لك منجدا

يقول المخزومي : فكائناً هنا ــ فيما أزعم ــ استعملت لتؤدى الغرض الذي أشرت اليه ، وليس لوجودها فائدة أخرى ، وان جرت مجرى (كان) في نصبها الخبر : (اخاك) •

ولو قيل : وما كل من يبدي البشاشة أخوك أو أخ لك لما فقد الكلام شيئاً من معناه او دلالته(٢) •

---

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ •

أقول : كأن السيد المخزومي يريد أن يقول : ان الكلام يستقيم من دون (كائن) ولو قيل : وما كل من يبدي البشاشة أخوك لما فقد الكلام شيئاً •

اذاً فان الاسناد يتم دون لفظ الاسناد (كائن) كما توهم السيد المخزومي وعلى هذا فلا أرى أن يكون في (كائن) شيء من لفظ الاسناد أو بقية باقية مما توهم صاحب الرأي وجودها في العربية القديمة •

ثم أعود فأقول : ان الشاعر لم يأت بـ « كائن » الا لتستوي له عدة الفاظ البيت المبني على وزن معلوم ، وان معناه يستقيم بالاستغناء عنه في لغة النثر كما ذهب الى ذلك الدكتور المخزومي في تعليقه على البيت •

ومن هنا نخلص الى ان (كان) فعل له مقام خاص في بناء الجملة العربية وانه كان كغيره من الافعال في توفره على الحدث المقترن بزمان ما ثم آل به الاستعمال الى شيء آخر وهو أن مرفوعه صار مفتقراً الى وصف آخر ما أسماه الاقدمون (الخبر) حيناً و (الحال) حيناً آخر •

الفعل والأساليب الخاصة

نقصد بالاساليب الخاصة التي يؤلف الفعل المادة فيها اسلوبي التعجب واسلوب المدح والذم .

أقول ان قولهم : « ما احسن زيداً » و « احبب بزيد » اسلوب للتعجب فان بهذا التركيب يتوصل الى التعجب من حسن زيد ومن حبه .

ولو درس النحويون هذه المسألة على أنها اسلوب من أساليب الكلام لكانوا في غنى عن الذهاب في متاهات بعيدة عن العلم اللغوي .

فسر النحويون « ما أحسن زيداً » بـ « شيء أحسن زيداً أي جعله حسناً ، وما اظن ان التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة فهي كما قالوا جملة خبرية في حين أن اسلوب التعجب « انشاء » .

ولم يصلوا الى هذا التفسير الا ليحلوا المشكلة الاعرابية ، فان (ما) عندهم نكرة تامة بمعنى شيء ، وهي مبتدأ ولم استطع أن اهتدي الى هذه النكرة والى تمامها والى تأويلها بشيء ، ثم لم استطع الاهتداء الى كونها مبتدأ . ألا ترى أن (ما) هذه لا صلة اسناد لها بما بعدها من جملة التعجب اذ لا يكون الخبر وصفاً للمبتدأ كما زعموا .

وقد بدت حيرتهم في (ما) هذه فقال الاخفش : انها موصولة وتأويل الكلام « الذي أحسن زيداً شيء عظيم » ومعنى ذلك ان الخبر محذوف . وما اظن أن اسلوب التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة .

وذهب بعضهم الى أنها استفهامية والجملة التي بعدها خبر عنها

والتقدير « أي شيء أحسن زيداً ؟ وما أظن أن اسلوب الاستفهام يفيد التعجب ، وهذا لم يقله الا النحوي المتبلد الذهن الذي لا يميز بين اسلوبين مختلفين كل الاختلاف •

وقد ذهب بعضهم الى انها نكرة موصوفة والجملة التي بعدها صفة لها ، والخبر محذوف ، والتقدير « شيء أحسن زيداً عظيم » • وهذا قول متهافت باد ضعفه •

ومن هذا العرض يتبين أنهم لم يحاولوا بحث هذا الاسلوب الذي يعبر به عن التعجب فقد شغلوا بالاعراب وكان أصلح للعربية والنحو العربي أن يقتصر في هذا التركيب على القول بان ذلك اسلوب التعجب الذي يتألف من « ما » التعجبية •

متلوة بـ (فعل) على أفعلَ أو بـ (اشد ونحوها) متلوةً بالمصدر في حالات أخرى سطرها النحاة فيما كتبوا •

وأن هذا « الفعل » من الافعال الخاصة غير المتصرفة التي جاء بناؤها لتكون مادة صالحة للاعراب عن التعجب •

ومثل هذا نقول في « احبب بزيد » فهو اسلوب للتعجب مؤلف من فعل التعجب الذي جمد على هذه الصورة ليؤدي هذا الغرض متلواً بالباء ثم مدخولها وبذلك يتم هذا الاسلوب المشار اليه •

قلت : ان النحاة كانوا في حيرة في كل جزء من اجزاء هذا الاسلوب فقد اختلفوا في فعلية أو اسمية هذه المادة ولا نريد ان نعرض لاقوال كل من الفريقين أما الذي نريد ان نقرره فان (أفعَلَ)و(أفعِلْ) من المواد الفعلية التي بنيت على هذه الصورة المخصوصة ففارقت التصرف وابتعدت عن قبول علامات الافعال ، وذلك لانصرافها عن عناصر الفعلية وهي الدلالة على الحدث وترشحها لزمان ما لتؤدي اسلوب التعجب • وكنا قد رأينا مثل هذه الافعال التي تحجرت على صورة ما لتؤدي معنى خاصاً وهي عسى وكرب وحرى واخلولق •

ولابد ان نختم هذا الفصل لنشير الى قلق النحويين وعدم التثبت مما

ذهبوا اليه فقد قالوا : ما أجمله ، وأجمِلْ به والهاء عندهم مفعول به في الجملة الأولى وفاعل في الجملة الثانية والباء حرف جر زائـدة •

ولا ندري ما الفرق بين الجملتين بحيث أدى ذلك الى الاختلاف في اعتبار المتعجب منه من الناحية النحوية • وهذا من غرائب أقوالهم التي لا يمكن الاطمئنان اليها •

ومن هذه الأساليب اسلوب المدح والذم ويعبر عنه بمادة (نعم) للمدح و (بئس) للذم و (حبذا) للمدح و (لا حبذا للذم) وهـذه المـواد من الافعال التي تفرغت من الدلالة الفعلية وهي الحدث المقترن بالزمان للدلالة على المدح أو الذم في اسلوب خاص كما في « نعم الولد زيد » و « بئس المرأة هند » •

وقد كان النحويون الاقدمون في حيرة من هذه بسبب اعـراب هـذه المواد في الجمل التي تقع فيها ، فقد اختلفوا فيها فذهب جمهور النحويين ان « نعم » و « بئس » فعلان بدلالة دخول تاء التأنيث الساكنة عليهما • وذهب جماعة من الـكوفيين ـ ومنهم الفراء ـ الى أنهما اسمان واستدلوا بدخول حرف الجر عليهما نحو قولهم : والله ما هي بنعم الولد • ورد قول الـكوفيين بالتخريج النحوي المشهور في كتب النحو •

ولم يهتم النحاة باستعمال هذين الفعلين وورودهمـا في النصـوص الفصيحة وذلك لاهتمامهم بمسألة الفاعل والمرفوع الذي يليه •

والفاعل في هذه الجملة أما يكون محلى بالالف واللام ، وقالوا في هذه اللام : انها للجنس حقيقة أو مجازاً كما قالوا : انها للعهد وذلك كما في قوله تعالى : (نعم المولى ونعم النصير) •

واما أن يكون هذا الفاعل مضافا الى ما فيه (أل) كقوله تعالى : « ولنعم دار المتقين » •

واما ان يكون مضمراً مفسراً بنكرة بعده منصوبة على التمييز • وجاءوا بالمثل : « نعم قوماً معشره » ففي « نعم » ضمير مستتر يفسره « قوماً » و « معشر » مبتدأ ، وزعم بعضهم أن «معشره» مرفوع بـ «نعم» وهو الفاعل ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء : ان « قوماً » حال وبعضهم : انه تمييز •

وهذا الأختلاف في اعراب « قوماً » و « معشره » دليل على ان هذه المسائل قلقة في مكانها ، بل قل : انهم لم يهتدوا اليها اهتداءً كافياً ، فهي اما أن تكون كذا أو كذا أو كذا . وقولهم : ان في « نعم » ضميراً مفسراً بالتمييز النكرة شيء ملفق مصطنع ، ذلك ان الضمير لا يستعمل الا حيث كان مسبوقاً باسم ظاهر ، والطبيعي ان يذكر الظاهر ثم يعود عليه ضميره .

واذا قالوا : « نعم الولد زيد » فان « زيد » خبر مبتدؤه محذوف أو انه خبر الجملة قبله مبتدأ كان التقدير « زيد نعم الولد » .

أو انه مبتدأ خبره محذوف والتقدير : « زيد الممدوح » .

وهكذا انصب اهتمام النحويين على اعراب هذه الاجزاء التي وقعت في هذه الجمل التي عبر بها عن اسلوب المدح والذم .

قلت : لم يهتم النحاة بورود هذين الفعلين في النصوص الفصيحة الصحيحة واكثروا من الاعتماد على الامثلة التي اصطنعوها هم انفسهم نحو : نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو ، ونعم رجلاً زيد ، وبئس رجلاً عمرو ، ونعم غلام القوم زيد وبئس غلام القوم عمرو ،

ومثل هذا النمط من الامثلة لم نعرفه في لغة التنزيل ، وذلك ان « نعم » وردت في ست عشرة آية ، وفي جميع هذه الآيات يرد هذا الفعل مسنداً الى مرفوعه ولم يرد ما اسموه بالمخصوص بالمدح وهو « زيد » كما في قولهم « نعم الرجل زيد » .

والآيات التي وردت فيها نعم هي على النحو الآتي :

	رقم الآية	السورة
ونعم أجر العاملين	١٣٦	آل عمران
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل	١٧٣	آل عمران
وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير	٤٠	الانفال
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار	٢٤	الرعد
ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين	٣٠	النحل

	رقم الآية	السورة
نعم الثواب وحسنت مرتفقا	٣١	الكهف
واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير	٧٨	الحج
نعم أجر العاملين	٥٨	العنكبوت
ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون	٧٥	الصافات
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب	٣٠	ص
انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب	٤٤	ص
فنعم أجر العاملين	٧٤	الزمر
والارض فرشناها فنعم الماهدون	٤٨	الذاريات
فقدرنا فنعم القادرون	٢٣	المرسلات

وقد وردت « نِعِمّا » في آيتين هما :

ان تبدو الصدقات فنِعِمّا هي	٢٧١	البقرة
ان الله نِعِما يعظكم به	٥٨	النساء

ومثل « نعم » جاءت « بئس » في لغة التنزيل الكريم وليس فيها الا آيتين على نحو ما استشهد به النحاة • ولنعرض للآيات التي جاءت فيها « بئس » وهي على النحو الآتي :

ولبئس ما شروا به انفسهم	١٠٣	البقرة
فحسبه جهنم ولبئس المهاد	٢٠٦	البقرة
ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد	١٢	آل عمران
ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين	١٥١	آل عمران
ومأواه جهنم وبئس المصير	١٦٢	آل عمران
واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون	١٨٧	آل عمران
ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد	١٩٧	آل عمران
لبئس ما كانوا يعملون	٦٢	المائدة
لبئس ما كانوا يصنعون	٦٣	المائدة

	رقم الآية	السورة
لبئس ما كان يفعلون	٧٩	المائدة
لبئس ما قدمت لهم انفسهم	٨٠	المائدة
ومأواه جهنم وبئس المصير	١٦	الانفال
ومأواهم جهنم وبئس المصير	٧٣	التوبة
فأوردهم النار وبئس الورد والمورود	٩٨	هود
بئس الرفد المرفود	٩٩	هود
ومأواهم جهنم وبئس المهاد	١٨	الرعد
جهنم يصلونها وبئس القرار	٢٩	ابراهيم
فلبئس مثوى المتكبرين	٢٩	النحل
يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا	٢٩	الكهف
بئس للظالمين بدلا	٥٠	الكهف
لبئس المولى ولبئس العشير	١٣	الحج
وبئس المصير	٧٢	الحج
ومأواهم النار ولبئس المصير	٥٧	النور
جهنم يصلونها وبئس المهاد	٥٦	ص
فبئس القرار	٦٠	ص
ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين	٧٢	الزمر
ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين	٧٦	غافر
ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين	٣٨	الزخرف
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان	١١	الحجرات
مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير	١٥	الحديد
حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير	٨	المجادلة
بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله	٥	الجمعة

	رقم الآية	السورة
اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير	١٠	التغابن
ومأواهم جهنم وبئس المصير	٩	التحريم
وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير	٦	الملك
وقد وردت (بئسما) في ثلاث آيات هي :		
بئسما اشتروا به انفسهم	٩٠	البقرة
قل بئسما يأمركم به ايمانكم	٩٣	البقرة
بئسما خلفتموني من بعدي	١٥٠	الاعراف

ويتبين من عرضنا للآيات التي وردت فيها « نعم » وللآيات التي وردت فيها « بئس » ان النحاة لم يشغلوا انفسهم بشيء كثر في لسان العرب بل اهتموا بمسائل لم ترد الا قليلاً وأقاموا فيها المشكلات الصعبة فاختلفوا وذهبوا مذاهب شتى كما تبين لنا ذلك من أقوالهم • غير أنهم لم يهتموا بالكلام الفصيح الذي يعد النموذج الصحيح للعربية في هذه الفترة التاريخية • ونخلص من ذلك ان « زيداً » المذموم و « عمراً » الممدوح لم يكونا في هذه اللغة القويمة على النحو الذي ورد في كتب النحو •

ثم جاء النحاة الى (حبذا) و (لا حبذا) لافادة المدح والذم فقالوا في المدح : (حبذا زيد) ، وفي الذم : (لا حبذا زيد) •

ومن ذلك قول الشاعر :

ألا حبذا أهل الملا غير أنه　　اذا ذكرت ميّ فلا حبذا هيا

وشأنهم في (حبذا) و (لا حبذا) شأنهم في (نعم) و (بئس) فقد اختلفوا في اعرابهما كما اختلفوا في « نعم » و « بئس » •

ذهب أبو علي الفارسي وابن برهان وابن خروف ـ وزعموا انه مذهب سيبويه الى ان « حبّ » فعل ماض و « ذا » فاعله ، واما المخصوص : فجوّز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره ، وجوّز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف ، والتقدير « هو زيد » أي الممدوح أو المذموم زيد •

وذهب المبرد ، وابن السراج في الأصول ، وابن هشام اللخمي

ـ واختاره ابن عصفور ـ الى أن « حبذا » اسم ، وهو مبتدأ ، والمخصوص خبره ، أو خبر مقدم والمخصوص مبتدأ مؤخر فركبت « حب » مع « ذا » وجعلتا اسماً واحداً •

وذهب قوم ـ منهم ابن درستويه ـ الى أن « حبذا » فعل ماض و « زيد » فاعله فركبت « حب » مع « ذا » وجعلتا فعلاً •

ويبدو من هذا أنهم اختلفوا في حقيقة « حبذا » وفعليتها واسميتها ، وما ذلك الا للفصل في كل جزء من اجزاء الجملة التي تقع فيها « حبذا » وايقاعه في موقع اعرابي خاص • واختلافهم هذا في حقيقة هذه الافراد التي تتكون منها جملة « حبذا » دليل على انهم قلقون في اعتبار هذه الاساليب الفعلية الخاصة لافادة غرض خاص هو المدح •

أما القول في اسمية « حبذا » و « لا حبذا » فهو شيء يستبعد في جملة (حبذا) وذلك لان هذا المركب جاء لافادة اسلوب المدح ، وافادة المدح والذم تحصل في الجملة الفعلية ، وان لفظ « حب » هو الفعلية ولكن الذي ابعدها عن الفعلية الصريحة تركيبها مع « ذا » ولا يعنى هذا التركيب انها انتقلت من فعل الى اسم • غير أن من المناسب ان نقول : ان هذه الالفاظ افعال خاصة تحولت من فعليتها الصريحة فتفرغت عن مادة الفعل من حيث الدلالة على الحدث المقترن بزمان ما للاعراب عن اسلوب خاص من أساليب الكلام ، وهو المدح أو الذم ولذلك فقدت التصرف فجمدت على حالتها المعروفة ، والقول بأنها فعل ماض غير سديد ، وذلك ان الافعال قصد من تحولها الى الجمود ، وتركيبها مع (ذا) افادة للمدح أو الذم ، وافادة هذا الاسلوب يعنى أنه من جملة الاساليب الانشائية ، ولا تستقيم هذه الاساليب مع الزمن الماضي •

أما القول بأن « ذا » فاعل فليس بسديد أيضاً ، وذلك ان تركيب «حب» مع « ذا » جعلها كلمة واحدة ، ولا يمكن ان تنصرف « حبذا » الى جملة • ولعل ابن درستويه كان على حق في اعتباره « حبذا » كلمة واحدة • ثم ان « حب » لم يتضح لنا انها اسندت الى « ذا » فيؤدي هذا الاسناد الى حصول فائـدة ما •

وبسبب من هذا التركيب وصيرورة هذا المركب كلمة واحدة مال المعربون في عصرنا هذا الى اشتقاق فعل من هذا المركب هو « حبَّذَ » بمعنى استحسن وفضَّل • واذا كان هناك فعل بوزن « فعَّل » فلابد أن يكون من ذلك سائر الافعال والمشتقات الاخرى نحو : يُحبّذ وحبِّذْ وتحبيذ ومحبِّذ وغير ذلك •

وبعد فان هذه الالفاظ قد اتجهت في العربية اتجاهاً خاصاً للتعبير عن فن من فنون القول • ومن المفيد ألا تدخل هذه في اختلاف النحويين وجدلهم فتضيع في متاهات الفاعل وضمير الظاهر ، والمبتدأ وخبره المحذوف أو الخبر ومبتدئه المحذوف • وان محاولتهم في ايجاد هذه المسميات في هذه الجمل التي افادت التعجب والتي أفادت المدح أو الذم اضاعة للغرض الذي أطلقت من أجله •

ومن المفيد أيضاً ان نكتب نحونا الجديد على شيء من هذا الفهم فنجنب الناشئين في عصرنا الذهاب في تلك الأوهام التي تبعد اللغة عن كونها حياة يحياها المعربون • ومن هنا يكون من مفاهيمنا أن اللغة ليست وسيلة يعبَّر بها عن الفكر ، بل اللغة هي الفكر في حركاته وسكناته وهي الفكر مكتوباً أو منطوقاً به •

وأعود فأقول ان دعوات أصحاب التيسير يجب ان تكون دعوات مفيدة فتيسر وتنبذ ماليس من طبيعة اللغة ، وان يكون النحو الجديد مادة تصف اللغة وصفاً بعيداً عن تعليل أو تأويل ، وبذلك يتم لاصحابنا القائلين بالتيسير والداعين اليه بمقترحاتهم وآرائهم منهج علمي جديد •

وقد تقول : ان النحو القديم في مصنفاته الضخمة يؤلف مادة من تراثنا فماذا نحن صانعون به ان اخذنا بآراء أهل التيسير التي تتنكر لكثير من العلم النحوي القديم ؟

ونجيب عن هذا السؤال فنقول : ان النحو القديم وهو من تراثنا الذي نجله ونقدره قدره ينبغي ان يظل في حلقة الدراسات التاريخية ندرسه ونفهمه بأصوله وفلسفته وعلله واحكامه ومناهجه التي اخذوا انفسهم بها وادى بهم ذلك الى اختلافات جوهرية وثانوية • والذي نعرفه أن العلوم

كافة تخضع للتطور والتجديد ، فالفلسفة الحديثة غير الفلسفة في القرون الوسطى وغيرها في أيام الاغريق • والعلوم الطبيعية في عصرنا جديدة كل الجدة بحيث انسلخت عن أصولها القديمة وربما انقلبت النظريات فالذى كان مقبولاً في العلم منذ قرن من الزمان لم يعد مقبولاً في أيامنا • ومثل هذا حدث في العلوم الاجتماعية جميعها كما حدث تطور عظيم في المفاهيم الفنية في الرسم والنحت والموسيقى وغير ذلك •

ثم ان الدراسات النحوية في اللغات الاوربية الحديثة تذهب في هـذا السبيل فهناك النحو الذي يتعلمه الدارسون ، وهو نحـو جديد مبني على الاستقراء والوصف للنصوص الفصيحة الموروثة دون التنكر للغات الحديثة وما جد فيها من التطور في الأصوات وفي تركيب الجـمل وسائر العناصر النحوية التي تغيرت عما كانت عليه في عصور سابقة • على ان لهذه اللغات نحو قديم يقبل عليه الدارسون المعنيون بالدراسات اللغوية التاريخية ليصلوا من ذلك الى الجديد المتطور الذي يقوله الناس ويكتبونه •

ومن الخير للعربية وابنائها ان نجرى في هذا السبيل لنأخذ بالاسلوب العلمي الذي يقوم على التطور وهو سنة الحياة في مظاهرها المختلفة •



المتعدي واللازم

لم أرد من الكتابة في هذا الفصل الا لأقرر جديداً أو أخالف رأياً جاء به الأولون أو أقول ما أراه فيما بدا لبعض المحدثين أن يقول في هذا الباب • الأفعال في العربية قسمان : متعدٍ : وهو ما لا يكتفي بمرفوعه بل يتعدى الى المفعول نحو ضرب وأخذ •

ولازم : وهو ما يكتفي بمرفوعه نحو : قام وقَعَدَ وفرِحَ وعظُم •

ومن الافعال ما لا يكتفي بمرفوعه بل يتعدى الى شيء آخر وذلك بوساطة حرف الجر نحو : رغب فيه أو عنه ، وذهب به • وهذا الصنف من الأفعال أدرجه النحويون في باب « اللازم » وكان حقه ان يكون صنفاً خاصاً •

ثم انهم أشاروا الى طائفة من الأفعال لا تنصب مفعولاً واحداً بل تنصب مفعولين ، كما أشاروا الى طائفة أخرى تنصب ثلاثة مفاعيل • وسنقول في حقيقة نصب المفعولين والمفاعيل الثلاثة •

ولم يهتم النحويون الاقدمون بالناحية التاريخية في هذه الأفعال وتطورها ، ولكنهم قدموا المتعدي في الذكر على اللازم وهذا قد يوحي لنا أنهم احصوا المتعدي فوجدوه أكثر من اللازم ، وهذا سبيلهم ابداً في مباحثهم اللغوية النحوية فهم يقدمون الاكثر على الأقل• وعلى هذا فان التقديم بالذكر لا يعني ابداً عندهم ان المتعدي اسبق من اللازم من الناحية التاريخية اذ ان هذا النوع من الدرس لم يخطر لهم ببال •

وقد بدا للدكتور مصطفى جواد في كتابه « المباحث اللغوية في العراق »

ان يرى رأيا في هذا الموضوع فيقول :

« وهذا تعدي الأفعال ولزومها لم يقل فيها أحد منهم « ان الاصل في الأفعال التعدي لان الحياة على اختلاف انواعها وتباين طرائقها تعتمد على التعدي ، وان اللزوم عارض طارىء ، وعلى هذا تكون الافعال التي يكثر فيها اللزوم مثل : « فرح يفرح » والتي يغلب عليها اللازم مثل : « سهل يسهل » حديثة الوجود بالنسبة الى غيرها من ضروب الثلاثي المجرد ، ويكون الضرب الذي خالف هذين الوزنين من الأفعال اللازمة مثل « دخل وخرج ونام » من باب العلاج الذاتي محدوداً بحيث يكاد يكون معدوداً »[1] . وهذا الرأي مما انفرد به الدكتور مصطفى جواد ولم يقل به غيره من المعنيين بالمشكلات اللغوية .

أقول : لو ان الدكتور مصطفى جواد ذهب الى هذا الرأي بعد وقوفه على وثائق لغوية أفادها مما وقف عليه في استقرائه الوافي أو مما سجله الباحثون في اللغات السامية لكان له ان يقول بهذا الرأي ، غير أنه ذهب الى رأيه المشار اليه بحجة « أن الحياة على اختلاف أنواعها وتباين طرائقها تعتمد على التعدي » ولست أدري ما المقصود بالحياة على اختلاف أنواعها وتباين طرائقها ؟ ثم ما علاقة اختلاف الحياة وتباين طرائقها بمسألة لغوية تاريخية ؟ ثم ما المقصود بالحياة القائمة على التعدي ؟ وما التعدي هذا وما طبيعته وحقيقته ؟ اظن أن هذه العبارة الغامضة لا تصلح ان تكون دليلاً على اثبات حقيقة لغوية تاريخية ، والحقائق اللغوية التاريخية لا يستدل عليها الا بالدليل المادي .

وعلى هذا فان « اللزوم عارض طارىء » على رأي الدكتور مصطفى جواد اعتماداً منه على قلته فهو غالب في باب (فعُل يفعُل) المضموم العين وفي باب (فرِح يفرَح) المكسور العين في الماضي مفتوحها في المضارع . واذا كان اللازم عارضاً طارئاً فكأن الفعل متعدٍ في أصله ثم يصار من ذلك الى اللازم ويبقى بعد ذلك طائفة قليلة أخرى معدودة محدودة تدخل في

---

(١) مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق ص ٧ .

صنف اللازم وهي نحو : دخل وخرج ونام وهي من « باب العلاج الذاتي »•

أقول : ان قلة اللازم في العربية ومجيئه على ابنية محدودة كالتي اشار اليها الاستاذ الجليل لا يمكن ان تجعل من هذا الفعل « عارضاً طارئاً » والذي أراه ان الفعل أصله قاصر لازم ثم يصار من هـذه الحـالة الى المتعدي وذلك جرياً على طبيعة العربية المتشبثة ابداً بالايجاز • والايجاز صفة الـكلام البليغ ، ألا تراهم قالوا : « البلاغة الايجاز » •

والتوفر على الايجاز هو الذي حمل المعربين ان يتخففوا من احرف الجر في كثير من الأحيان والشاهد النحوى القديم :

تمرون الديار ولم تعوجوا • • • • • • •

دليل على هذه الخفة المطلوبة قصداً في الايجاز وبهذا انتقل الفعـل (مرّ) من التعدى بالحرف الى التعدي المباشر • وما أظن ان الحفاظ على الوزن الشعري حمل الشاعر على هذا ، فلو كان كذلك لكان في وسعه ان يتخلص من هذه المشكلة بالذهاب الى صيغة الماضي ليسلم له الوزن وليعدي الفعل بالباء فيقول :

مررتم بالديار • • • • • • •

والمعلوم ان طائفة من الافعال تقتضي حرف جر خاص ومن ذلـك الفعل (دخل) فهو في الكثير الغالب يتعدى بـ « في » للتوفر على الظرفية فالدخول لابد ان يكون في ظرف حقيقي أو مجازي • اما الكائنون في ذلك الظرف فانه يتوصّل اليهم بـ (على) كما سنتبين •

وفي لغة التنزيل ايضاح لهذا التطور الذي طَرأ على الفعل دخـل من حيث التعدي واللزوم •

قال تعالى : ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً •

وقال تعالى : ادخلي في عبادي وادخلي جنتي •

وقال تعالى : كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا •

وقال تعالى : وقد دخلوا بالـكفر وهم خرجوا به •

وقال تعالى : وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه •

وقال تعالى : وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة •

وقال تعالى : ام حسبتم ان تدخلوا الجنة •

وقال تعالى : ولن ندخلها حتى يخرجوا منها •

وقال تعالى : كلما دخلت أمة لعنت اختها •

وقال تعالى : فان لم تكونوا دخلتم بهن •

وقال تعالى : ولما يدخل الايمان في قلوبكم •

وقال تعالى : يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة •

وقال تعالى : ولو دُخِلَتْ عليهم من اقطارها •

وأنا اجتزىء بهذا القدر من آيات الله الكريمة التي جاء فيها الفعل « دخل » وهي تبلغ سبعاً وسبعين آية •

ومن المفيد ان نلاحظ في هذا العدد الكبير من الآيات ان الفعل « دخل » جاء فيها متعدياً كثيراً ولازماً قليلاً • أما اللازم فقد تعدى الى مفعوله بحرف الجر « على » ان كان الدخول على « الأناسي » ، وبحرف الجر « في » ان كان الظرف الذي يصار اليه معنوياً كما في قوله تعالى : « يدخلون في دين الله »

وقوله تعالى : « ادخلي في عبادي » • وقوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافه » •

أو ان كان الداخل أمراً معنوياً فالتعدية بـ (في) أيضاً كقوله تعالى : ولما يدخل الايمان في قلوبكم •

وقد يعدل عن حرف « في » الى « الباء » التي تستعمل في موضعها كثيراً نحو قوله تعالى : وقد دخلوا بالكفر •

وقد تلتزم (الباء) ان كان الدخول خاصاً كدخول الرجل بزوجه نحو قوله تعالى : فان لم تكونوا دخلتم بهن •

أما مجيء هذا الفعل متعدياً الى مفعوله بصورة مباشرة فكثير جداً في لغة التنزيل • والذي نلاحظه أنه جاء كذلك كلما كان الظرف الذي يصار اليه حقيقياً كقوله تعالى : أم حسبتم ان تدخلوا الجنة •

ومعنى هذا ان الفعل يتعدى باسقاط حرف الجر « في » وذلك لظهور الظرفية التي يشير اليها الحرف بوجود ما هو ظرف حقيقة نحو : الجَنة والبيت والمحراب والمدينة والمسجد والقرية ونحو ذلك • واسقاط الجار في هذه الآيات بعد أن اتضحت الظرفية أمر يستدعيه الايجاز الذي جرت عليه العربية •

ومسألة نزع الخافض في العربية وانتصاب الاسم بعد سقوط الجـار شيء يشير الى ان الأصل في الافعال اللزوم ثم يتخفف في الاستعمال فيصبح الفعل متعدياً وقد مثلوا قوله تعالى : « واختار موسى قومه سبعين رجـلاً لميقاتنا » • والتقدير « اختار من قومه » •

ومثل « دخل » الفعل « أتى » فقد ورد كثيراً جداً في لغة التنزيل وهو في أغلب الآيات متعدٍ الى المفعول مباشرة نحو قوله تعالى :

« هل أتاك حديث موسى » •

وقوله تعالى : « فاتتْ به قومها تحمله » •

وقوله تعالى : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » •

وقوله تعالى : « اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد » •

كما ورد لازماً قليلاً جداً وذلك كما في قوله تعالى :

هل اتى على الانسان حين من الدهر •

وقوله تعالى : لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

وقوله تعالى : هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان •

وقوله تعالى : ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة •

كما ورد لازماً مكتفياً بمرفوعه قليلاً أيضاً نحو قوله تعالى :

« ولا يفلح الساحر حيث اتى » •

وقوله تعالى « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » •

ومثل هذين الفعلين الفعل (جاء) فقد ورد متعدياً الى مفعوله مباشرة في آيات كثيرة ، كما ورد متعدياً الى مفعوله بحرف الجر « الباء » في آيات قليلة معدودة وقد اكتفى بمرفوعه في آيات قليلة أخرى •

وورود اللازم في هذه الشواهد القرآنية على هذا النحو من القلة مدعاة للنظر • ومعنى ذلك ان هذا اللازم بهذه القلة يشير الى الأصل الذى درجت العربية على التخلص منه باسقاط الحرف طلباً للخفة واخذاً بالايجاز •

قال ابن يعيش فأما : « دخلت البيت » فقد اختلف العلماء فيه ، هل هو من قبيل ما يتعدى الى مفعول واحد أو من اللازم وسبب الخلاف فيه استعماله تارة بحرف جر ، وتارة بغيره نحو : دخلت البيت ودخلت الى البيت ، والصواب عندى أنه من قبيل الأفعال اللازمة وانما يتعدى بحرف الجر نحو : دخلت الى البيت ، وانما حذف منه حرف الجر توسعاً لكثرة الاستعمال • والذي يدل على ذلك ان مصدره يأتي على (فعول) نحو الدخول ، و (فعول) في الغالب انما يأتي من اللازم نحو : القعود والجلوس ، ••• »[٢]•

ويبدو أن اسقاط الجار أمر واضح في الأفعال التي تتعدى الى مفعولين• والتعدي الى المفعولين من باب التوسع في الكلام فاذا قيل : « اعطيت زيداً درهماً » فان الدرهم هو المعطى الى « زيد » وكأن التقدير « اعطيت الى زيد رهماً » •

جاء في « شرح المفصل » : وأما ما يتعدى الى مفعولين فهو على ضربين :
احدهما : ما يتعدى الى مفعولين ويكون المفعول الاول منهما غير الثاني •
والآخر : ان يتعدى الى مفعولين ويكون الثاني هو الاول في المعنى •
فأما الضرب الاول فهي أفعال مؤثرة تنفذ من الفاعل الى المفعول وتؤثر فيه نحو قولك :

« أعطى زيد عبدالله درهماً » و « كسا محمد جعفراً جبة » فهذه الأفعال قد اثرت اعطاء « الدرهم » في « عبدالله » و « كسوة الجبه في جعفر ، ولابد ان يكون المفعول الاول فاعلاً بالثاني ألا ترى انك اذا قلت : اعطيت زيداً درهماً ، فزيد فاعل في المعنى لأنه آخذ الدرهم وكذلك كسوت زيداً

---

(٢) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٦٣ •

جبة ، فزيد هو اللابس للجبة •

ومن هذا الباب ما كان يتعدى الى مفعولين الا انه يتعدى الى الاول بنفسه من غير واسطة ، والى الثاني بواسطة حرف الجر ثم اتسع فيه فحذف حرف الجر فصار لك فيه وجهان ، وذلك نحو قولك : « اخترت الرجال بكراً » وأصله من الرجال ، قال الله تعالى : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » أي من قومه » ومنه : استغفرتُ الله ذنباً أي : من ذنب •

قال الشاعر :

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

ومن ذلك : سميته بزيد ، وكنيته بابى بكر ، فانه يجوز التوسع فيه بحذف حرف الجر بقولك : سميته زيداً وكنيته أبا بكر[٣] •

ويتبين مما جاء في « شرح المفصل » ان مسألة تعدى الفعل الى مفعولين غير حاصلة في الواقع فالمفعول الاول للافعال : اعطى وكسا ومنح ليس في الحقيقة مفعولاً فالمفعول الحقيقي هو الدرهم والجبة والثوب اما زيد ومحمد وجعفر فهم المتسلمون لهذه الاشياء : المعطى والكسوة والممنوح •

اما الافعال الاخرى نحو : استغفر واختار فلا تتعدى الى المفعول الثاني الا بحرف الجر ثم توسع فيه فحذف حرف الجر فصار الفعل متعديا لاثنين • ونستطيع ان نذهب في الافعال الاخرى التى تنصب مفعولين اصلهما مبتدأ وخبر وهى ; حسب وظن وخال وعلم ورأى ووجد وزعم • فاذا قلت : ظننت زيداً عالما فكأن التقدير : ظننت العلم في زيد وهكذا في سائر الافعال فالمفعول الثاني هو المفعول الحقيقي ، اما المنصوب الاول فهو شيء يبعد المفعولية المباشر وانما توسع في التعبير فانتصب •

يقول ابن يعيش : فهذه الافعال المفعول الثاني من مفعوليها هو الاول في المعنى ، ألا ترى ان زيداً هو الاخ في قولك : حسبت زيداً أخاك وكذلك سائرها[٤] غير ان النحاة اعتبروا هذه الافعال داخلة على الجملة

---

(٣) المصدر السابق •
(٤) المصدر السابق ص ٦٤ •

الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر فنصبتها ولم يلتفتوا الى أن الفعل لا يمكن ان ينصب مفعولين ونصب المفعولين كما ورد في كتبهم هو ضرب من التوسع ولا يعقل ان يوقع الفعل على اسمين ايقاعاً واحداً •

اما ما ذهبوا اليه من الافعال المتعدية الى ثلاثة مفاعيل وهى : أعلم وأرى وانبأ ونبّأ واخبر وحدّث • فهى تتعدى الى مفعول واحد هو المفعول الثانى اما المفعول الاول فقد انتصب توسعاً وذلك باسقاط حرف الجر اما الثالث فهو نعت للمفعول الثاني نحو : أعلمت زيداً الخبر صحيحاً •

وفي هذا يقول ابن يعيش : « •••• فاذا قلت : انبأت زيداً خالداً مقيماً ، فالتقدير « عن خالد » لأن « انبأت » في معنى « أخبرت » والخبر يقتضى « عن » في المعنى فهو بمنزلة « امرتك الخير » والمراد « بالخير » لان الفعل في كل واحد منهما لا يتعدى الا بحرف جر ، فاذا ظهر حرف الجر كان الأصل ، واذا لم يذكر كان على تقدير وجوده واللفظ به ، لان المعنى عليه ، واللفظ محوج اليه ، وليس ذلك كالباء ولا كمن في قولك : « ليس زيد بقائم ، وما جاءني من أحد » لان اللفظ مستغن عنهما فادخلوهما زائدتين لضرب من التأكيد ، فاذا لم يذكر لم يكونا في نية الثبوت ، وليس كذلك (عن) في قولك : « اخرت زيداً عن عمرو » لان حرف الجر هنا دخل لان اللفظ محوج اليه ، فاذا حذفته كان في تقدير الثبوت اذ لا يصح اللفظ الا به مع ان (عن) لم ترد قط الا بمعنى يحوج الكلام اليه فاذا وجدناها في شيء ثم فقدناها منه علمنا أنها مقدرة »[٥] •

وبعد هذا العرض الوافي تبين لنا ان الفعل قاصر مكتف بمرفوعه نحو كرم زيد ، وحسن عمرو ، وقام بكر •

ولازم يتعدى الى مفعوله بحرف جر ثم يتوسع في هذا طلباً للخفة والايجاز سيراً مع العربية التى جرت على هذه الناحية فصارت سمة من سمات البلاغة • وبهذا كانت لنا الافعال التى تتعدى الى مفعولها من غير حرف جر •

---

(٥) المصدر السابق ص ٦٧ •

وهذا هو التطور اللغوي في استعمال الفعل من لازم الى متعد ، وبذلك كثر المتعدى في الافعال وقل اللازم وانحصر في ابنية خاصة فان الغالب في « فعل ، مضموم العين قاصر مكتف بمرفوعه ، وكذلك « فعِل » الدال على الصفات والاعراض نحو فرح وجزع •

ولابد أن نختم هذا الفصل بدليل أخر ، هو ان كثيراً من الافعال جاء في العربية واستعمل متعديا بنفسه أو بحرف الجر • ومن المعلوم أن التعدى بحرف الجر يكون لفائدة كان يقع الفعل على المفعول بتسلط أو علو ، من المعلوم ان الحرف الذى يأتى لهذا الغرض هو (على) نحو : علاه وعلا عليه ، وقبضه وقبض عليه وعضه وعض عليه ، واحتواه واحتوى عليه ، وداسه وداس عليه ، ووطئه ووطىء عليه ، وركبه وركب عليه ، وحضنه وحضن عليه ، واشتمله واشتمل عليه ، وحواه وحوى عليه ، واحتذاه ، واحتذى عليه ، وغلبه وغلب عليه ، وهذه الأفعال مما استشهد به الدكتور مصطفى جواد في كتابه « المباحث اللغوية »[٦] •

وعقب على هذه الافعال بأخرى تدل على حركة ودفع معاً وهي تتعدى بانفسها أو بحرف الجر « الباء » نحو : أدى الشيء وادى به ودفعه ودفع به ، ورماه ورمى به وحذفه وحذف به ، والقاه وألقى به ، وأحاله وأحال به ، وطوّحه وطوّح به وأذاعه واذاع به وأهواه واهوى به وادلاه وادلى به •

ومنها جواز تعدى الفعل (فَعِل يفعَل) لغير العيوب والاعراض بنفسه وبحرف الجر مثل « أمن منه وأمنه ، وخاف منه وخافه وخشي منه وخشيه وأنف منه وأنفه ، وسئم منه وسئمه ، وفرق منه وفرقه ، وظفر به وظفره ، وعلم به وعلمه ، ولحق به ولحقه ، وضجر منه وضجره •

ومن هنا يتبين ان حرف الجر (على) جاء لفائدة ومع حصول الفائدة به كما أشرنا وهى وقوع الفعل على المفعول بتسلط او علو ، فان العربية قد استغنت عنه طلباً للخفة والايجاز واخذاً بالتوسع الذى ادى اليه الاستعمال

---

(٦) مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق ص ٤٣ ـ ٤٤ •

الكثير • ومعلوم ان الفعل الذى يتعدى بحرف الجر (على) كان لفائدة ومن هنا كان هو الأصل والتعدى المباشر هو فرع عليه • وان افعال الطائفة الاخرى تعدت بالباء لفائدة أشير اليها ثم صقلت في الاستعمال طلباً للايجاز فتعدت مباشرة •

ومن المفيد أن ننقل الشواهد المفيدة التي استقراها الدكتور مصطفى جواد في استعمال الفعل (انف) وتعديه الى مفعوله دون حرف الجر (من) والفائدة التى حصل عليها من حذف الجر في هذا الفعل واشباهه •
قال الاستاذ مصطفى جواد في تعليقه على الفعل (انف) :

••• ولذلك لم يكن من الصواب تخطئة الشيخ ابراهيم اليازجي حين قال : « هذا أمر يأنفه الكريم » وذلك بقوله « والصواب : يأنف منه ، وقد جاء من هذا قول لسان الدين بن الخطيب :

قالوا لخدمته دعاك محمد فانفتها وزهدت في التنويه[٧]

وتابعه اسعد خليل داغر وقال في الكلام على « يستنكفه ويستنكف منه » ، « ويرتكبون هذا الخطأ نفسه في الفعل « أنف » فيقولون : أنف مجاراتهم في هذا الامر • • والصواب : أنف من مجاراتهم »[٨] • وقد قدمنا شبه القاعدة العامة فلا خطأ في تعديه بنفسه •

قال يزيد بن الحكم الثقفي :

تنبو بداه اذا ما قل ناصره ويأنف الضيم إن أثرى له عدد[٩]

وقال وهب بن الحارث :

لا تحسبني كأقوام عبثت بهم لن يأنفوا الذل حتى يأنف الحمر[١٠]

---

(٧) اليازجي ، لغة الجرائد ص ٢٦ (طبعة مطبعة مصر بالقاهرة) •
(٨) اسعد داغر ، تذكرة الكاتب ص ٧٩ •
(٩) الجاحظ ، الحيوان (تحقيق عبدالسلام هرون) ج ٣ ص ٤٥ •
(١٠) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٠١ •

وقال ابن زيدون :

ما عناني من سـابق يأنف المر بط في العنـق منه والتطهيم[١١]

وقال قاموس بن وشمكير :

ولى نفس حر تأنف الضيم مركباً وتكـره ورد المنهل المترنق[١٢]

وقال كمال الدين ابن النبيه في مدح الخليفة الناصر لدين الله « ٥٧٥-٦٢٢هـ »:

أنفت صوارم الجفـون فاصبحت بالنصر في قمم الخوارج تغمد[١٣]

فهذه شواهد من قديم الشعر ومولّده ومتأخره تثبت جواز استعمال « انف » متعدياً بنفسه ، فاتفق السماع والقياس ، هذا وان حذف حرف الجر من جملة هذا الفعل وامثاله معدود في البلاغة ، لان شروط البلاغة الايجاز »[١٤] . انتهى كلام الدكتور مصطفى جواد . ومن المفيد أنه أنهى شواهده فأشار الى ان الحذف مطلوب للايجاز ومعنى هذا ان الأصل هو التعدى بالحرف اي اللازم ثم يصار من ذلك الى المتعدى بنفسه للغـرض المشار اليه .

---

(١١) ديوان ابن زيدون ص ٥٢ .
(١٢) معجم الادباء ج ٦ ص ١٤٨ .
(١٣) ديوان ابن النبيه ص ٤ بيروت ١٢٩٩هـ .
(١٤) جميع هذه النقول من « المباحث اللغوية ص ٤٥ » .

صيغة ما يسمى بالمجهول من الافعال

وهو كما يقول النحاة : ما استغني عن فاعله فاقيم المفعول مقامه واسند اليه معدولا عن صيغة (فَعَل) الى (فُعِل) ويسمى فعل ما لم يسمّ فاعله[1] نحو : ضُرِبَ زيدٌ فان « زيد » هو المضروب ولكنه في هذه الجملة متحدث عنه كما نقول في « قام زيد » فالمتحدث عنه هو زيد •
ومعنى هذا ان بناء « فُعِل » يقتضي اسناده الى مرفوعه والمرفوع مسند اليه كما يسند (قام) الى (زيد) وزيد مسند اليه •

واذا امضينا في بحث البناء للمجهول من حيث علاقته بمرفوعه وهي علاقة اسناد في كثير من الافعال ، كنا قد ساوينا بين نائب الفاعل والفاعل وعلى هذا فان « ضُرِبَ زيد » مثل « قام زيد » من حيث أن « زيداً » في كلتا الجملتين مسند اليه •

وقد لمح النحاة الاقدمون شيئاً من هذا فقد جاء في شرح الكافية : « ان ما يسمى بالنائب عن الفاعل عند عبدالقاهر والزمخشرى فاعل اصطلاحاً »[2] •

على ان الكثير من النحويين لم يذهبوا هذا المذهب فقد اشاروا الى ان الفاعل ونائبه سواء من حيث ان كليهما مرفوع ، وان كلاً منهما اسند اليه فعل ، ولكنهم لم يغفلوا كون النائب عن الفاعل مفعولا به في الاصل •

---

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ٧/٦٩ •
(٢) الرضي الاسترابادي ، شرح الكافية ج١ ص٧١ •

جاء في « الكتاب » : « هذا باب الفاعل الذى لم يتعد فعله الى مفعول ، والمفعول الذى لم يتعد اليه فعل فاعل ، ولا تعدى فعله الى مفعول آخر ، فالفاعل والمفعول في هذا سواء ، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل ، لانك لم تشغل الفعل بغيره ، وفرغته له كما فعلت ذلك بالفاعل »(٣) .

أقول : ان بناء (فُعِل) اي ما سمي بالمجهول بناء كسائر ابنية الفعل يصار اليه في حالات عدة وذلك (١) اذا وقع الفعل على الفاعل واتصف به وهو بذلك كأنه صادر منه وهذا يحدث في ابنية كثيرة فيها المجرد وفيها المزيد فاذا قلت سقط الجِدار ومات زيد لم يكن الجدار فاعلاً للسقوط بالمعنى الحقيقي وكذلك مات زيد فان (زيد) ليس فاعلاً حقيقة ولكنه فاعل في الاصطلاح النحوي ومثل هذا « انكسر الزجاج » فالزجاج ليس فاعلاً حقيقة ولكنه فاعل في الاصطلاح النحوي . ومن هنا يبدو ان « كُسِر الزجاج » جملة فيها الفعل مبنياً على « فُعِل » وهذا البناء من حيث علاقته بالاسم المرفوع لا يختلف في شيء عن الافعال المذكورة . فكما ان الفاعل في « سقط » و « مات » و « انكسر » لم يقم بالفعل وهو ليس فاعلاً حقيقة فكذلك هنا .

وكأن النحويين أرادوا ان يفرقوا في اعتبارهم « الجدار » و « زيد » و « الزجاج » فاعلين بين فاعل يصدر منه العمل نحو « كتب زيد » وفاعل يتصف به العمل ويقع عليه فيسند اليه الفعل كما في هذه الافعال المتقدمة التي اشرنا اليها . وعلى هذا فان في « سقط الجدار » و « مات محمد » اسناد الفعل للمرفوع اسناداً لا يختلف عما في : قام عمرو وجلس بكر » .

وعلى هذا نستطيع القول : انه اذا كانت الافعال : سقط ومات وانكسر تفيد ان مرفوعها ليس فاعلاً حقيقة ولكنه اتصف بالحدث اتصافاً لازماً فهو مثل (كُسِرَ) الذى اتصف به مرفوعه الاتصاف نفسه ولم يكن فاعلاً في الحقيقة .

ولم يفرق النحاة بين المتعدي المبنى على (فُعِل) نحو « كُسِر

---

(٣) سيبويه الكتاب ج ١ ص ١٤ .

الزجاج » واللازم على البناء نفسه نحو : « سير يوم كامل » و « ذهب به » و « احتفل احتفال عظيم » ، وذلك لان في قولهم : « كُسِر الزجاجُ » اسناد الفعل لمرفوعه ، وفي قولهم : « سير يوم كامل » و « ذهب به » و « احتُفِل احتفال عظيم » جملاً لم يقصد بها الاسناد وان كانت جملاً فعليه ، والمراد منها تقرير الحدث ليس غير .

اما النحاة فسبيلهم في هذه الافعال انها لم تبنَ على (فُعِل) الا اذا كان نائب الفاعل ظرفاً متصرفاً مختصاً او جاراً ومجروراً او مصدراً متصرفاً مختصاً .

ولابد أن نفيد مما قال به النحاة لنؤيد ما نذهب اليه فقد جاء في شرح المفصل : « واما قوله « معدولاً عن صيغة فَعَل الى فُعِل » اشارة الى أن هذه الصيغة منشأة ومركبة من باب الفاعل ، وعليه الاكثر من النحويين ، ومنهم من يقول ان هذا الباب أصل قائم بنفسه وليس معدولاً عن غيره واحتج بأن ثم افعالاً لم ينطق بفاعليها مثل جُنّ زيدٌ ، وحُمّ بكرٌ »(٤) .

وقد ورثت العربية في هذا الباب استعمالات خاصة حيّرت النحويين فلجأوا الى اساليبهم المفتعلة في التأويل والتعليل ليجدوا مخرجاً ومن ذلك قوله تعالى في قراءة ابى جعفر يزيد ابن القعقاع : « ويُخرَج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا » فقالوا في ذلك : « انه ليس على اقامة الجار والمجرور مقام الفاعل ونصب الكتاب على انه مفعول به وانما الذي أقيم مقام الفاعل مفعول به مضمر في الفعل يعود على « الطائر » في قوله : « وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه » و « كتاب منصوب على الحال والتقدير : ويخرج له يوم القيامة طائره أي عمله كتاباً اي مكتوباً .

ومن ذلك قوله تعالى : « ليُجزَى قوماً بما كانوا يكسبون » فقالوا في ذلك : « ففيه اشكال وذلك انه أقام المصدر مقام الفاعل لدلالة الفعل عليه

---

(٤) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٧١ .

وتقديره (ليجزى الجزاء قوماً بما كانوا يكسبون) وهو شاذ قليل » •

ومن ذلك قوله تعالى : « وكذلك نُجيَّ المؤمنين » فقالوا فيه : « فقال قوم انه كالآية المتقدمة والتقدير « نجي النجاء المؤمنين » والصواب ان يكون نجي فعلاً مضارعاً والأصل « ننجي » بنونين فاخفيت النون الثانية عند الجيم فظنها قوم ادغاماً وليس به ويؤيد ذلك اسكان الياء واما قول الشاعر :

فلو ولدت قفيرة جرو كلب لسُبَّ بذلك الجرو الكلابا

فقد حمله بعضهم على الشذوذ من اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به وهو الكلاب وقد تأوله بعضهم بأن جعل الكلاب منصوباً بولدتْ ، ونصب (جرو كلب) على النداء ، وحينئذٍ يخلو الفعل من مفعول به فحسن اقامة المصدر مقام الفاعل ويكون التقدير : « فلو ولدت قفيرة الكلاب ياجرو كلب لسُبَّ السب بذلك »(٥) •

وهذه التأويلات في هذه الاستعمالات هي السبيل المتبع لدى النحويين كلما عرضت لهم مشكلة تخرج عن الاستعمال الشائع •

والوجه فيها ان هذه الاستعمالات دليل على ان في العربية في هذا العصر المتقدم شيئاً من عدم الاستقرار وخروجاً عن الكثير الشائع ، وهو من غير شك بقية من آثار المراحل السابقة لهذه الفترة التاريخية ، تلك المراحل التي لم تكن فيها العربية لغة تصرفها قواعد عامة ذات اسس ثابتة •

اما النحاة فلم يكن في منهجهم هذا النظر التأريخي ولم يلتفتوا الى ما نسميه في عصرنا بالتطور اللغوي •

وجاءت في العربية القديمة استعمالات « فُعِل » او ما سمي بالمجهول مسنداً الى مرفوعه مفسَّراً بالفعل نفسه على بناء « فَعَلَ » مسنداً الى مرفوعه أيضاً نحو قولهم : « أُسِرَ ذُؤابٌ أَسَرَه مُرَّةُ »(٦) •

أو يأتي بناء (فُعِل) مسنداً الى مرفوعه مفسراً بفعل آخر في معنى

---

(٥) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ •
(٦) الاغاني ج ٩ ص ٦ س ٢ •

الفعل الاول كقولهم : « قُتلَ النعمان رماه رَجل من أهل اليمن »[٧] •

ووضع هذين البنائين الى جوار بعضهما مفيد من الناحية اللغوية ففى الجملة الاولى اسناد لـ (فُعِل) المجهول الى الفاعل لغة المتصف بالحدث الواقع عليه الاسم وتفسير هذه الجملة بأخرى فيها الفعل على بناء (فَعَل) للمعلوم للكشف عن الفاعل الحقيقي • ومن هنا يتبين لنا ان الاتيان بـ « فُعِل » على المجهول لم يكن الغرض منه كما يقول النحاة الجهل بالفاعل او طيه عن عمد من القائل ، وانما هو طريقة في التعبير تؤدى غرضاً معيناً وقد أشرنا الى ذلك ، على أن اتباع هذا الاسلوب لا يعني أن البناء للمجهول (فُعِل) معدول عن البناء للمعلوم (فَعَل) ، بل على العكس من ذلك فهو يعنى ان (فُعِل) بناء آخر تلزم اضافته الى ابنية الفعل الثلاثي •

ونستطيع أن نقول : ان مجيء البنائين على هذا النحو في هذه الجمل يكثر في لغة التخاطب التى يلجأ فيها الى الايضاح والتفسير ، وأغلب الظن ان هذه الشواهد منقولة من لغة التخاطب أو هي حكاية لما كان يدور على ألسنتهم •

ومن المفيد أن نشير أن المبنى للمجهول لم يبق منه شيء في لهجاتنا العربية الدارجة وقد عدل عنه الى ما سمى بالمطاوع فيقال « انهزم » ولا يقال « هُزِم » ، ويقال « انكسر » ولا يقال « كُسِرَ » ، وبناء « انفعل » في لغة عامة العراقيين كثير فهم يصوغونه حتى في الأفعال التى لم يسمع فيها هذا البناء فهم يقولون : « انقتل » و « انجرح » وانمسك وانسرق ونحوه وأغلبه ما كان علاجاً كما يقول النحاة •

ويحسن بنا أن نختم هذا الفصل بالكلام على المطاوعة والمطاوع وهو ما اطلق على ابنية مخصوصه سنعرض لها •

ويعرض « الرضى » في شرح الكافية لمسألة المطاوعة فيقول :

---

(٧) نقائض جرير والفرزدق ص ١٥١ س ٣ وهذا الهامش والذى يسبقه عن :
H. Reckendorf, Arabische Syntax, Heidelberg, 1921, P. 259 .

« المطاوعة في اصطلاحهم التأثر وقبول أثر الفعل ، سواء كان التأثر متعدياً نحو : علمته الفقه فتعلمه ، فالتعليم تأثير والتعلم تأثر وقبول لذلك الأثر ، وهو متعد كما ترى ، أو كان لازماً نحو : كسرته فانكسر أي تأثر بالكسر ، فلا يقال في « تنازع زيد وعمرو الحديث » انه مطاوع « نازع زيد عمراً الحديث » ولا في « تضارب زيد وعمرو » انه مطاوع « ضارب زيد عمراً » لانهما بمعنى واحد ، كما ذكرنا ، وليس احدهما تأثيراً والآخر تأثراً ، وانما يكون تفاعل مطاوع (فاعل) اذا كان (فاعل) لجعل الشيء ذا أصله نحو : باعدته أي بعّدته ، فتباعد أي بعد ، وانما قيل لمثله مطاوع لانه لما قبل الأثر فكأنه طاوعه ولم يمتنع عليه ، فالمطاوع في الحقيقة هو المفعول به الذى صار فاعلاً نحو « باعدت زيداً فتباعد » المطاوع هو زيد ، لكنهم سموا فعله المسند اليه مطاوعاً مجازاً »[٨] .

أقول : خلص الرضي في آخر قوله الى ان « المطاوع في الحقيقة هو المفعول به الذى صار فاعلاً » هذا يؤكد ما ذهبنا اليه من انه لمح ان (زيداً) ليس فاعلاً في الحقيقة ولكنه تحول الى الفاعل الذى اتصف به اتصافاً يكاد يكون قسراً ، وفي هذا يقرب الرضي مما حاولنا ان نثبته من قرابة وشبه بين هذه الافعال التي اطلق عليها المطاوع وبين بناء (فُعِل) اى ما سموه بالمجهول .

ولابد من العود الى المطاوع لنثبت ان ما اجتهدوا فيه وتوصلوا اليه من ان (انكسر) قابل للاثر الذي احدثه (كَسر) نتيجة لم يتوصل اليها استقراءً للافعال العربية في استعمالات الكثيرة ، وذلك لاننا لم نشهد هذا الترتيب الذى بنوا عليه المطاوعة وهو ان فعلاً مؤثراً اثر الحدث في فعل آخر فقبل الثاني التأثر وتأثر به ، لم نشهد ما يؤيد ذلك في الاستعمال . ومعنى هذا أن قولنا : « تعلمه او تعلم الشيء » لا يقتضي بالضرورة ان يكون نتيجة مبنية على (علّمته) .

قلت : ان الاستقراء لا يؤيدهم في الشروط التي رسموها للمطاوعة

(٨) الرضي ، شرح الشافية ج ١ ص ١٠٣ .

وذلك أن « اجتمع » و « اغتم » و « اشتوى » و « احتبس » و « امتنع »[٩] لا تكون بالضرورة قابلةً للاثـر الذى احدثه فيها « جمع » و « غمّ » و « شوى » و « حبس » و « منع » • فقد تاتي الابنية المزيدة غير معتمدة على الافعال الثلاثية في شيء فضلاً عن انها نتيجة لتلك او قابلة للاثر الـذى احدثه الفعل الثلاثي • وكأن بناء (الفعل) عندهم « لازم مطاوع (فَعَل) ، وقد جاء مطاوع (أفعل) نحـو اسقفته فانسفق وأزعجتـه فانزعج قليـلاً ويختص بالعلاج والتأثير ومن ثم قيل « انعدم » خطأ »[١٠] •

ويقول الرضي : اقول : باب انفعل لا يكون الا لازماً وهو في الأغلب مطاوع (فَعَل) ، بشرط ان تكون (فَعَل) علاجاً ، أي من الافعـال الظاهرة ، لان هذا الباب موضوع للمطاوعة ، وهي قبول الأثر وذلك فيما يظهر للعيون كالكسر والقطع والجذب اولى واوفق ، فلا يقال : علمته فانعلم ولا فهمته فانفهم ، واما (تفعّل) فانه وان وضع لمطاوعة (فعّل) كمـا ذكرنا ، ولكنه انما جاز نحو فَهَّمته فتفهّم وعَلَّمته فتعلم ، لان التكرير الذى فيه كأنه أظهره وابرزه حتى صار كالمحسوس وليس مطاوعة (الفعل) لـ (فَعَل) مطردة في كل ما هو علاج ، فلا يقال : طردته فانطرد ، بل طردته فذهب •

اقول : اما قولهم في هذا : بشرط ان تكون (فَعَل) علاجاً فالاستقراء لا يؤيده فقد عرفنا أنهم عرفوا المطاوع في : « غممته فاغتم »[١١] كما جـاء في « شرح المفصل » وهذا في غير العلاج •

واذا أردنا ان نجري على نحو ما جروا في ترتيب (انفعل) على (فَعَل) مطـاوعه من الثاني للاول وقبـوله للتأثـير فاننـا نستطيع ان نرتب هذا المعنى على كثير من الابنية نحو : « أخرجته فخرج » و « ادخلته

---

(٩) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ١٦٠ •

(١٠) الرضي ، شرح الشافية ج ١ ص ١٠٨ ، وانظر : شرح تصريف الزنجاني ص ٧٤ •

(١١) وفي لسان العرب عن سيبويه أنه يقال « اغتم وانغم » •

فدخل » ولا اقول (اندخل) الذى ورد في « الكتاب » .

. . . . . . ولايدى في حميت السكن تندخل[١٢]

و « وقفته فوقف » و « رجعته فرجع » ، و « فهَّمته ففَهِم » .

والى مثل هذا توصل الاستاذ الدكتور مصطفى جواد في « المباحث اللغوية » فقال :

« .... والصحيح أنه ليس في العربية أوزان للمطاوعة ولا اثر للمطاوعة في هذه الاوزان التي ذكروها ، وقد قام الخيال الصرفي في هذه المسألة بدور كبير ، ونحن لم نجد عربياً فصيحاً استعمل في كلامه جملة « كسرت العود فانكسر » ولا امثالها ، ولا « حطمته فتحطم » فالعرب كانت تكتفى بان تقول : « كسرت العود وحطمته » وصورة الفعل تدل على نتيجته ، واذا ارادت ان تطوى ذكر الفاعل قالت « كُسِر العود وحطم » اما « انفعل » وما جرى مجراه من الافعال المزعوم انها للمطاوعة فهي في الحقيقة لرغبة الفاعل في الفعل أو ميله الطبيعي او شبه ميله اليه ، من غير تأثير من الخارج ولذلك لا يقتصر (انفعل) على المتعدي ولا تكون له صلة بالثلاثي احيانا مثل « انكدر » وفي القرآن الكريم في سورة التكوير : « اذا الشمس كُوِّرت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سُيِّرت ، واذا العِشارُ عُطِّلت واذا الوحوش حُشِرَت » ومعنى انكدرت « انقضت » والانكدار الاسراع والانقضاض ولا ثلاثي له . فانكدار النجوم لما كان معروفاً مشهوداً صار كأنه شبه ارادي كما تقول « تدلى ثمر الشجرة » و « انداح البطن » .

وبنيت الأفعال الاخرى في السورة لانها ليست معهودة ولا مشهودة فلا ميل طبيعياً فيها ولا اختيار ، وعلى هذا يقال : وقف ساعة ثم انصرف » ولم يصرفه احد بالبداهة . و « انطلق الى فلان » أي ذهب اليه ولم يأمره احد بالطلق » ان صح التعبير ، ولا حُبِس فاطلق ، وكذلك القول في

---

(١٢) سيبويه الكتاب ج ٢ ص ٢٣٨ .

« انحرف وانهوى وتحمل وتكلف وانماث الملح ، واندفع وآلوى أفعال اخرى ، وبهذا يظهر الفرق بين اوزان الافعال الارادية والفعل المبنى المجهول ، فلو كانت الافعال الارادية التي سميت غلطا افعال المطاوعة تؤدى معنى الفعل المبنى المجهول او كان الفعل المجهول يؤدى معنى هذه الافعال ما احتاج الواضع الا الى احدى الطريقتين منهما للتعبير ولم يأت بهما معاً»[١٣] •

في مقالة الاستاذ الفاضل جملة فوائد لابد من الوقوف عندها ، ومن ذلك أنه خلص الى نتيجة مفيدة هي انه ليس في العربية اوزان للمطاوعة ، ولا أثر للمطاوعة في الابنية التي قالوا بأنها تفيد هذه الفائدة وذلك لعدم وجود هذه الاستعمالات في فصيح العربية ، فلم يؤثر عن العرب أنهم قالوا : « كسرت العود فانكسر » وسبيل الأستاذ الباحث في هذه الناحية سبيل علمي مبنى على الاستقراء الشامل لكثير من الاستعمالات • ويعول الأستاذ على الشواهد التي يقف عليها في قراءاته الوافية للكثير من المظان الادبية والتاريخية واللغوية •

غير أن الاستاذ الدكتور مصطفى جواد قد وضع حداً لبناء (انفعل) وما جرى مجراه من الافعال المزعوم انها للمطاوعة فقال « هي في الحقيقة لرغبة الفاعل في الفعل أو ميله الطبيعي أو شبه ميله اليه ، من غير تأثير من الخارج » • وفي هذا الحد غموض وابهام فلا نعلم أن في « انقطع محمد الى عبادة ربه » وفي « انكشفت الحقيقة » و « انصرف فلان الى عمله » و « انطلق زيد نحو هدفه » هذه الرغبة من الفاعل في الفعل وكيف يتضح لنا الميل الطبيعي لـ « محمد » الى « الانقطاع » والميل الطبيعي أو قل « شبه الميل » للحقيقة نحو « الانكشاف » •

ثم ان في قوله : « من غير تأثير من الخارج » ابعاداً لما كان قد استقر في الاذهان من أن هذه الافعال متأثرة بغيرها وهى بذلك « مطاوعة » ولذلك عقب على ذلك بقوله : ان بناء « انفعل » لا يقتصر على المتعدى ولا تكون له صلة بالثلاثي احياناً •

---

(١٣) مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق ص ١٧ ــ ١٨ •

وكأن في هذا اراد ان يهدم الحد الذي وضعوه للمطاوعة • واحتج بقوله تعالى في سورة التكوير : « اذا الشمس كُوِّرَت ، واذا النجوم انكدَرَت ، واذا الجبال سُيِّرَتْ ، واذا العشار عُطِّلَت ، واذا الوحوش حُشِرَت » •

ومن المفيد ان نذكر الآيات الاخرى وهي : واذا البحار سُجِّرَتْ ، واذا النفوس زُوِّجت واذا الموءودة سئلت ، بأي ذنب قُتِلَت ، واذا الصحف نُشِرَت ، واذا السماء كُشِطَتْ ، واذا الجحيم سعِّرت واذا الجنة أزلِفَتْ ، والى آخر السورة •

ولو نظرنا الى الافعال في هذه الآيات المحكمات وجدناها على التوالي مبنية للمفعول الا الآية الثانية فقد جاء الفعل (انكدَر) على (انفعل) والانكدار الاسراع والانقضاض ومجيء هـذه الافعـال كلها على (فُعِل) لفائدة اتصاف فاعليها بها وتلبس الفاعلين بالحدث ، ولو لم تقتض الحكمة الاتيان بالفعل (انكدر) على (انفعل) لأتى فعل آخر على (فُعِل) مبنياً للمفعول ليتم التساوق بين هذه الافعال • غير ان الفعل (انكدر) لا يمكن ان يبنى على (فُعِل) وذلك للزومه ، واللازم لا يبنى للمفعول كما هو معروف •

أما قول استاذنا الفاضل : « انكدر » لا ثلاثي له فاغلب الظن انه قصد الى ان الثلاثي من هذه المادة لا يعنى الانقضاض والاسراع ولا هو قريب من هذا المعنى •

جاء في « أساس البلاغة » : « كَدِرَ الماء » عن ابن الأعرابى •••• ومن المجاز : كَدِر عيشه وتكدَّر وخذ ما صفا ودع ما كَدِر • وكَدَر عليَّ فلان • وعلى هذا فان الثلاثي من هذه المادة معروف موجود ، ومن المعلوم أن الزيادات في الافعال مواد تعطى الأفعال خصوصيات معنوية بل قد يجدّ من الزيادة في الافعال معانٍ جديدة • وهذا كثير يعرفه الاستاذ الباحث معرفة فائقة •

ويفسر الاستاذ مصطفى جواد ورود (انكدر) وحدها على هـذا

البناء في حين أن سائر الافعال وردت على (فُعِل) او ما يسمى بالمجهول – اى المجهول فاعله – ، بأن انكدار النجوم لما كان معروفاً مشهوداً صار كأنه شبه ارادي كما تقول : « تدلى ثمر الشجرة » و « انداح البطن » •

اما كونه معروفاً مشهوداً فان في الافعال الاخرى التي وردت في الآيات ما هو « معروف مشهود » ولكنه لم يأت على بناء « انفعل » بل جاء على « فُعِل » نحو : واذا العشار عُطِّلت ، واذا الوحوش حُشِرت ، واذا البحار سجرت ، واذا النفوس زوِّجَت ، واذا الموءودة سُئِلت ، باي ذنب قُتِلَت » فهذه الافعال كلها تشير الى أفعال ستشهد يوم القيامة وان جاءت الأفعال على بناء الماضي وهذا سبيل العربية في التعبير • على ان في قوله تعالى « اذا الشمس كُوِّرت » و « اذا الجبال سُيِّرت » و « اذا السماء كُشِطَت » و « اذا الجحيم سُعِّرت » حكاية لأحوال يوم القيامة وهي من المشهودات المرئيات في ذلك اليوم الذى يحشر فيه الناس وقد عُبِر عن تلك الاحوال المعروفة المشهودة ببناء (فُعِل) ولو كان ذلك سبباً يقتضي بناء « انفعل » ضرورة لما ورد (فُعِل) في هذه الآيات المحكمات •

وقد جعل الدكتور مصطفى جواد كونها معهودة مشهودة علة ولذلك قال : « وبنيت الأفعال الأخرى في السورة لانها ليست معهودة ولا مشهودة » وقد عرفنا ان هذه الافعال تعرب عن احوال يوم القيامة واحوال يوم القيامة مما يشهده الذين حُشِروا •

ولا أدري ما قصد الاستاذ الجليل في قوله ان الفعل « شبه ارادي » هل يكون الفعل ارادياً لان الفاعل يسعى له ويقصد اليه ، أو أنه كما قال في مطلع كلامه انه رغبة الفاعل في الفعل أو ميله الطبيعي أو شبه ميله اليه ، من غير تأثير من الخارج •

وقد وسم الدكتور مصطفى جواد هذه الافعال بانها « ارادية » وأنها بذلك تختلف عن الفعل المبني للمجهول •

ويختم الاستاذ كلامه بقوله : « فلو كانت الافعال الارادية (المطاوعة) تؤدي معنى الفعل المبني المجهول ، أو كان الفعل المجهول يؤدي معنى هذه

الافعال ما احتاج الواضع الا الى احدى الطريقتين منهما للتعبير ولم يأت بهما معـاً » •

وصدور هذا من الاستاذ الفاضل يسترعي النظر وهو العارف أن المعنى الواحد تتناوله ابنية عدة • ألا ترى ان « المطاوعة » على رأيهم تكون فـي الابنية « انفعل » و « افتعل » و « وتفعّـل » و « تفاعل » وغير هذا • وان معنى السلب يجيء وفي (أفعل) و (فعّـل) وغيرها ، ولو كان كل بناء مختصاً بمعنى لا يشاركه فيه غيره لما ورد هذا الذي ذكرناه في العربية •

ومن هنا نستطيع ان نخلص الى ان ما أسموه بالمجهول « فاعله » كما في « كُسِر الزجاج » مسند الى مرفوعه اسناد « انكسر الزجاج » وان « انكسر » ليس مطاوعاً لـ « كَسَر » ومرتباً عليه أو هو فعل قابل للتأثير من الاول • وان المعنى المتحصل من كلا التعبيرين واحد • وان اتصاف المرفوع بكل منهما على نحو واحد •

واذا عرفنا ان الاقدمين قد قالوا : « ان الفاعل عبارة عن اسم صريح أو مؤول به اسند اليه فعل أو مؤول به مقدم عليه بالأصالة واقعاً منه أو قائمـاً به »[١٤] وهذا الحد يشير الى ان من الفاعلين ما يمكن ان يكون متصفاً بالفعل قائماً به • والقيام به لا يعنى بالضرورة انه الفاعل الحقيقي بل ان ذلك يشير الى المرفوع الذي يسند اليه الفعل ويتصف به •

---

(١٤) ابن هشام ، قطر الندى (باب الفاعل) •

الفعل الثلاثي

يأتي الفعل الثلاثي على ستة أبنية ذكرها الصرفيون وتكلموا عليها واشاروا الى خصائص كل بناء وما ينصرف اليه من حيث التعدي واللزوم ومن حيث الدلالة ، ورتبوها حسب كثرة ورودها في العربية وهي :

(١)	فَعَل	يفعُل	نحو :	نَصَر	ينصُرُ
(٢)	فَعَل	يفعِل	نحو :	ضَرَبَ	يَضرِبُ
(٣)	فَعَل	يفعَل	نحو :	قَرَأَ	يقرَأُ
(٤)	فَعِلَ	يفعَل	نحو :	فرِح	يفرَح
(٥)	فَعُلَ	يفعُلُ	نحو :	كَرُم	يكرُمُ
(٦)	فَعِل	يفعِلُ	نحو :	حَسِبَ	يحسِبُ

وهذه الأبنية قد صنفت عليها أفعال العربية ولكن كتب اللغة تشير الى أن الأفعال في عصور ماضية لم تكن على هذا النمط من التصنيف التام . والنظر في « أدب الكاتب » لابن قتيبة يظهر أن ابنية الافعال لم تكن محصورة في هذه الصورة فقد ذكر في :

« باب فَعَلتُ وفَعُلت بمعنىً »[1]

« سَخَنَ يومنا » يسخُن و « سَخُنَ » ، و « صلَح الشيء » و

(١) ابن قتيبة ، أدب الكاتب ص ٤٦٨ .

« صَلُحَ » و « شَحَبَ لونه » يشحُب و « شَحُب » لغة ، و « خَثَر اللبن » و « خَثُر » والى آخره .

وحكى سيبويه عن بعضهم « جَبَن » يجبن و « جَبُن » ، « نَبَه » ينبه و « نَبُه » .

وذكر في « باب فَعِلت وفعُلت بمعنى »[٢] .

« سَفِه » يسفَه ، و « حَرِمَت الصلاة على المرأة » تحرَم و « حَرُمت تحرُم » و « سَرِيَ الرجل » يَسرَى ، و « سَرُو » يَسرو ، و « سَخِيَ » يَسخَى و « سَخُوَ » يسخو .

وروى سيبويه عن يونس ان بعض العرب يقول « لبُبْتُ ألُبُّ » ـ بالضم ـ وهذا حرف شاذ لا يعرف له مثل ، لانه يستثقل في المضاعف فعُلَ يفعُل .

وذكر في « باب فَعَلَ يفعُل ويفعِلُ »[٣] .

نحو « عَطَس يعطُسُ ويعطِس » و « عتَب يعتِب ويعتُب » من المعتبة وكذلك هو من المشي على ثلاث قوائم ، و « رَفَض يرفُض ويرفِض » و « هذَر يهذُر ويهذِر » و « فَسَقَ يفسِق ويفسُق » و « خرز يخرِز ويخرُز » وهو باب يشتمل على الكثير من الافعال مما يرد مضارعه على الوجهين المشار اليهما .

وذكر في « باب فَعَل يفعُل ويفعَل »[٤] .

ومنه « جَنَح يجنَح » اذا مال و « مَضَغ كمضُغ ويمضَغ » و « دبَغ ويدبُغ ويدبَغ » و « سلُخ يسلَخ » و « مَخَضَ يمخُض ويمخَض » .

وذكر في « باب فَعَل يفعَل ويفعِل »[٥] .

ومنه « مَنَح يمنَحُ ويمنِح » و « نَبَح الكلب ينَبحُ وينبِح »

---

(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق ص ٤٦٩ .
(٤) المصدر السابق ٤٧٣ .
(٥) المصدر السابق ص ٤٧٣ .

« نطح الثور ينطَح وينطِح »و« نَهق ينَهق وينهِق » وافعال كثيرة أخرى• ومجيء الفاعل على بناء خاص في المضي ومضارعه على بنائين كثير عندهم ، ومعنى هذا ان الفعل من الناحية التاريخية قد مر بفترات كان خلالها غير مستقر في بنائه الذي نعرفه في عهوده اللاحقة في النصوص الفصيحة •

وهذا يعنى ان هذه الفترة غير المستقرة كانت بقاياها معروفة بعد الاسلام الى القرن الثالث الهجري • وهذه الحال تعنى ان العربية كانت انماطاً شتى بالنسبة للجماعات التى كانت في شبه جزيرة العرب ، وهذه قبائل متفرقة في بقاع واسعة الارجاء مترامية الأطراف ، فلابد ان يحصل في هذه العربية الموزعة على هذه المجاميع البشرية أمارات خاصة تميز طريقة كل منها في هذه العربية ، حتى تهيأ لهذه المجاميع ان تتوحد في ظل الاسلام وتهيأ لهذه العربية ان تتوحد من انماط شتى الى نمط واضح مبين ظهر في عربية القرءان بعد ان جُمِع وتوحدت لغته •

وقد بدا لنفر من اللغويين أن يعزوا وجهاً من هذه الوجوه التي ذكرناها وهي تلك التي لم تشتهر الى لغة العامة •

ومن هؤلاء ابن السكيت في « اصلاح المنطق » فقد جاء فيه :

وباب ما جاء في فَعَلت بالفتح مما تكسره العامة أو تضمه وقد يجيء في بعضه لغة الا ان الفصيح الفتح »[٦] وقد اتى على أفعال مما ورد في « أدب الكاتب » والتي تقدم ذكرها •

ورووا أن سيبويه قال : بلغنا ان بعض العرب يقول « نَعِمَ ينعُم » مثل فَضِلَ يفضُل[٧] •

وقد فسر ابن جني في الخصائص تفسيراً خاصاً أسماه « تركب اللغات »[٨] فقال : واذا ثبت وجوب خلاف صيغة الماضي صيغة المضارع وجب أن يكون ما جاء من نحو سَلا يَسلَى ، وقلى يقلَى ونحو ذلك ، مما التقت

---

(٦) ابن السكيت ، اصلاح المنطق ١٨٨ •

(٧) ادب الكاتب ص ٤٧٧ •

(٨) ابن جني ، الخصائص ج ١ ص ٣٧٦ •

فيه حركتا عينيه منظوراً في أمره ، ومحكوماً عليه بواجبه • فنقول : انهم قد قالوا : قَلَيت الرجلَ وقلِيته • فمن قال : قَلَيته فانه يقول أقليه ، ومن قال قَلِيته قال : أقلاه •

وكذلك من قال : سلوته أسلوه ، ومن قال سلِيته قال أسلاه ، ثم تلاقى أصحاب اللغتين فسمع هذا لغة هذا وهذا لغة هذا ، فاخذ كل واحد منهما من صاحبه ما ضمه الى لغته فتركبت هناك لغة ثالثة ، كأن من يقول سلا أخذ مضارع من يقول سَلِي فصار في لغته سلا يَسلَى •

وهذا التفسير لهذه الافعال قريب من الاحتمال والذي يقويه عندي ان هذه الافعال التي جاءت على هذا النحو الغريب في جملتها قليلة وقلتها تدعو النظر اذ يكون من المحتمل أنها قد حدثت بسبب من هذا السماع واستقرت في العربية على أنها مخلفات لفترة تاريخية كانت فيها العربية تعاني عدم الاستقرار الى ان تهيأت لها صورة منسجمة في جملتها تقريباً •

بناء الثلاثي وأحرف المد

تدخل أحرف المد في بناء الفعل الثلاثي فتكون من أصوله • وهذا يعني أن الفعل في هذه الحالة مؤلف من أصلين من الأصوات الساكنة ثم يأتي حرف المد فيثلث الثنائي الصحيح فيصبح ثلاثياً •

اصطلح أهل الصرف على تسمية الأصوات بالحروف الصحيحة ، وأصوات اللين بأحرف العلة • وكان مصطلح « اللين » أو « احرف المد » من مصطلحات أهل الأصوات وهو العلم الذي انصرف الى حسن الأداء وهو ما دعي عند المتأخرين بالتجويد •

وقد كان أهل الصرف على حق في وسم هده الأحرف بالعلة وذلك ان الفعل ان كان في أصوله شيء منها كان على هيأة مخصوصة وقد أسموه بالفعل المعتل • وكونه معتلاً اصابته العلة في بنيته وهي اما واو واما ياء والواو والياء في هذه الأفعال لا تصح باختلاف الصيغ فقد تصبح الواو ياءً ، وقد تصبح الواو أو الياء ألفاً ، وقد تصبح الواو أو الياء همزة • ومن أجل هذا فان هذه الأحرف تعَلّ عندهم ، والاعلال في اصطلاحهم سلب العلة •

وكون الافعال المشتملة على هذه الاصوات معتلة ، فهي اذن ضعيفة عندهم وهي من أجل ضعفها لا تحتمل الحركة ، فاذا تحركت لابد ان يتخلص من الحركة •

واذا اجتمعت الواو والياء في بناء من الابنية فلابد ان يتخلص من هذا الاجتماع بطريقة من الطرق •

هكذا كان الصرفيون يجرون هذه المسائل ولذلك قيدوا مسائل الاعلال في مواضع ذكروها في كتبهم •

والذي يدل عليه الاستقراء ان ملاحظاتهم في الاعلال ليست قواعد ثابتة ، فهي لا تعرض لكثير من الالفاظ مما وردت فيه الواو أو الياء أو اجتمعت فيه الواو والياء • وعلى هذا فان قولهم ان هذه الأحرف ضعيفة لا تتحمل الحركة فشيء يحتاج الى كثير من القول •

أقول : ان هناك فرقاً بين أحرف اللين أو أحرف المد الساكنة (ويدخل في ضمن هذا ما ندعوه في كتبنا بالحركات الثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة) وبين الواو المتحركة والياء المتحركة • وهذان الحرفان ان تحركا فقدا صفة كونهما احرف لين أو مد وذلك فان الواو في (وَجَد) وفي (سرُوَ) وفي (حوِرَ) ، والياء في (يَسَرَ) وفي (أيِس) وفي (هوِيَ) ، أقول ان الواو والياء في هذه الافعال حرفان متحركان وهما في هذه الحالة لا يختلفان عن الحروف الساكنة الاخرى أو ما يدعى بالحروف الصحيحة •

وقد قلت : ربما كان (هل التجويد على حق في التزامهم بمصطلح اللين أو المَد •

وينبني على هذا أن ليس لنا أن نقول ان المد في (قال) آت من واو متحركة والأصل (قَوَل) وكذا في (باع) فانها من (بَيَع) • والحقيقة أن الفرق كبير بين هذا المد والواو المتحركة والياء المتحركة في (قَوَل) و (بَيَع) •وعلى هذا فلا يصح ان يكون أصل قال وباع (قَوَل) و (بَيَع) •

وعندي ان الواو المتحركة لا تختلف كثيراً عن الباء كما لا تختلف كثيراً عن النون ، ولا أريد بكونها لا تختلف ان هذه من طبيعة واحدة أو قل انها تنشأ نشوءاً واحداً وان أحيازها متفقة ، ولكني أريد أنها كهذه الاصوات الساكنة ، وربما كان بسبب من هذا ان بين الواو المتحركة والباء أو النون يقع كثير من الابدال نحو : « نبَّه » و « نوَّه » و « قبَّب » و « قوَّب » ،

وقد حصل من هذا الشيء الكثير في العربية ، نحو : « وشر » و « نشر » و « وقص » و « نقص » ، ومثل هذا كثيراً أيضاً ، ومثل هذا قد حصل للياء المتحركة .

والابدال بين الاصوات مادة تدخل في موضوع اختلاف الدلالة ، فالابدال الذي يعرض للأصوات يؤدي الى خلق معان جديدة .

ونخلص من هنا الى ان حرف اللين أو المد انما يحتفظ بهذه الصفة ان لم يكن متحركاً ، ومن هنا فان الواو المتحركة والياء المتحركة شيء آخر .

أقول ان قولهم : « قال » أصلها (قَوَل) و (باع) أصلها (بَيَع) على هذا النحو من التحديد غير صحيح .

واذا كانت الواو المتحركة المفتوح ما قبلها تقلب ألفاً ومثل ذلك الياء المتحركة ، فلِمَ لم تقلب الواو ألفاً في (عَوِر) و (حَوِر) ولِمَ لم تنقل حركة الواو الضعيف الى الصحيح الساكن قبلها كما في : (اعوَل)[1] و (اغيَل)[2] و (استحوَذ)[3] و (أجوَدَ)[4] و (أطيَبَ)[5] و (اغيمت السماء)[6] ومثل هذا كثير .

ولم قالوا : « غَزوة » و « غَزَاة » و « طعام مزيت » و « مزيوت » و « مبيع » و « مبيوع » .

وقد صرنا الى قلب الواو ياء لمناسبة الكسرة السابقة كما في (صِيام)

---

(١) يقال : اعول الرجل والمرأة وأعيلا ، اذا كثرت عيالها ، ويقال أعول أيضا اذا رفع صوته بالبكاء .

(٢) يقال أغالت المرأة ولدها أو اغيلته أي سقته الغيل وهو لبن المأتية أو الحبلى ، قال امرؤ القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فالهيتها عن ذى تمائم مغيل

(٣) قال تعالى (واستحوذ عليهم الشيطان) ويقال استحاذ .

(٤) وأجود الفرس في العدو بمعنى أجاد فيه .

(٥) يقال : أطيب الشيء اذا وجده طيبا ويقال : أطاب .

(٦) يقال : أطول وأطال بمعنى : قال عمر بن ابي ربيعة :

صددت فاطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

(٧) يقال : اغيمت السماء وأغامت صارت ذا غيم ، ومثلها (أخيلت) تهيأت للمطر .

و (نِيام) و (صِيانة) و (حِيال) و (قياس) و (حِياض) جمعا (قوس) و (حوض) ولكن العربية لم تجر على هذا فقد قالوا (صِوان) كما قالوا (صِيان) وقالو (قِوام) وقالو (حِوار) و (صِوال) و (صِيال) •

وحمل ما خرج عن قواعدهم المقررة على الشذوذ أو على اعتبار علة أخرى من عللهم الكثيرة غير مقبول •

وربما فاتهم ان يلاحظوا أن هذه المسائل في اجتماع الاصوات من امارات اللهجات الخاصة •

وربما استطعنا أيضاً أن نتخذ مما يقع في لهجاتنا الدارجة شيء يفيد في هذا الموضوع ألا ترى أن الكثير منا يقول : (عامود) في حين أن بيننا من يقول : (عمود) • وقد أشار الاقدمون الى ان القصر والمد يعرض لكثير من الأبنية كما في (مخيَط) و (مخياط) و (مِسعَر) و (مسعار) وهذا كثير لا حصر له • ومن الطبيعي ان الذي يستعمل (مخيَط) بالقصر لا يستعمل (مخياط) بالمد وكذلك العكس • ومعنى هذا ان هذا مما يحصل في اللهجات •

وطبيعي ان هذه المسائل التي تتعلق باللهجات قد تنكر لها اللغويون الاقدمون ، وقد بلغ بهم الأمر أن حملوا على الخطأ والتجاوز الشيء الكثير الذي خرج عما رسموه أو تخيلوه حسناً •

قال سيبويه : سمعنا جميع الشواذ المذكورة مُعَلَّة أيضاً على القياس ، الا (استحوذ) و (استروح الريح) و (اغيلت) •

واذا كان على المتخصص في هذا الفن أن يعرف الأصول في اللفظ وكيف يعرض لها التبدل والتغير فما أجدرنا ان نبعد الشداة عن حفظ قواعد آلية لا سبيل الى ان يدركوها الا بالحمل والقسر • ومن الأحسن ان يقال لهم : أن (قال) و (باع) مضارعهما (يقول) و (يبيع) بالواو والياء ومصدرهما (قول) و (بيع) واسم الفاعل منهما (قائل) و (بائع) واسم المفعول منهما (مقول) بابدال ياء المضارعة ميماً مفتوحة و (مَبيع) بابدال حرف المضارعة ميماً مفتوحة وان نجنب الطالب القول أن (مبيع) اصلها

(مبيوع) لان الذي يقول (مبيع) غير الذي يقول (مبيوع) • ومعنى هذا ان الصيغتين وجدتا في وقت واحد وان المستعمل لاحدهما لا يستعمل الاخرى وليست الثانية بداية تاريخية للاولى على أنهما بمعنى واحد •

وقد قالوا ان الواو ضعيف لا يتحمل الحركة ولذلك اما ان يحذف الواو أو يتخلص من الحركة بطريقة ما •

والحقيقة ان الواو ليس ضعيفاً وأنه يتحمل الحركة غير ان الواو يحذف في ألفاظ كثيرة اذا عرض له الكسر أو الفتح فنقول عِدة وسَعة وجِهة ومثل هذا كثير جداً • وليس لنا ان نقول مقالة الصرفيين : بان الواو حذفت وعوض منها تاء في الآخر ، وذلك لان التاء في هذه الكلمات تفيد التأنيث الذي قد ينصرف الى القلة والوحدة في الفاظ كثيرة •

والواو من المواد المتشابهة في ابنية كثير من الافعال ، ولذلك ترد الافعال بالواو والياء بمعنىً • وأغلب الظن أن الفعل اذا كان بالواو فهو لغة خاصة واذا كان بالياء فهو لغة أخرى •

ذكر ابن قتيبة في « أدب الكاتب » باب فَعَلت ـ بفتح العين ـ في الواو والياء بمعنىً واحد[٨] •

يقال : كنوت الرجلَ وكنيته ، ومحوت الكتاب أمحوه أمحاه ، وحثوت التراب أحثوه وحثيته أحثيه ، وحَنوَت العود وحنيته ، ونقوت العظم ونقيته : اذا استخرجت نقيه وهو المخ ، وعزوت الرجل وعزيته : اذا نسبته الى ابيه ، وهذوت وهذيت ، وقنوت الغنم وقنيتها ، ولحوت العصا ولحيتها : اذا قشرتها ، فأما « لحيت الرجل » من اللوم فبالياء لا غيرُ ، وجبيت الخراج وجبوته جباية وجباوة ، وزقوت للطائر وزقيت ، وطغوت يا رجل وطغيت ، وصغوت وصغيت ، وقلوت الحب وقليته ، ومنوت الرجلَ ومنيته اذا اختبرته ، وشأوت القوم شأواً وشأيتهم أي سبقتهم ، وسحوت الطين عن الأرض ، أي قشرته وسحيته ، وكذلك تقول في القرطاس ، وطهوت اللحم وطهيته ، وأتيته وأتوته أتياً وأتواً ، وما أحسن يَدَيِ الناقة واتيَ يديها ، ومأوت

(٨) ابن قتيبة ، أدب الكاتب ص ٤٦٤ •

السقاء ومأيته : اذا مددته حتى يتسع وطلوت الطَلى وطليته بمعنى ربطته ، وحلوت المرأة وحليتها اذا جعلت لها حلياً ، وحزوت الطير وحزيتها ، وأثوت بـه أثيـت إثـاوة وإثايـة اذا وشـيت به ، ورثيـت الرجـل ورثوتـه ، ورثأت أيضاً ، وسخوت النار فأنا أسخوها سخواً وسخيتُ اسخى سخياً ، وذلك اذا أوقدت فاجتمع الجمر والرماد ففرجته ، ولخوت الصبي ولخيته اذا سعطته • ويعقب ابن قتيبة على هذا الباب فيذكر طائفة أخرى من الافعال جاءت بالياء والواو بمعنى واحد فيذكر منها :

تحيزت الى فئة وتحوّزت أي انحزت ، وتوهّت الرجل وتيهّته ، وطوّحته وطيّحته وتبوّغ الدم بصاحبه وتبيَّغ وتصوّح وتصيّح اذا هاج ، وتهوّر الجرف وتهيّر اذ انهار وتضوع ريحه وتضيّع ، وشوّطه وشيّطه ودوّختهم تدويخاً وديَّختهم ولا توجَل ولا تيجل ولا تاجَل بغير همز وقد همزه قوم ، و « ما أعيج من كلامه بشيء » ما أعبأ به ، وبعضهم يقول « ما اعوج بكلامه » أي ما التفت اليه •

وقد ترد الأفعال مهموزة حيناً وبالواو أو الياء حينا آخر • ومعلوم ان الطريقتين في ورود هذه الأفعال ترجع الى اختلاف القائلين •

ومن ذلك: « أرّشْت بينهم وورّشت » ، و « وكَدتُ عليهم وأكدّتُ » قال الله تعالى : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » و « ورّخت الـكتاب وأرّخته » و « وقّتُ وأقّتُ » من الوقت و « آكفت الحمار وأوكفته » وهو الاكاف ، و « أوصدت الباب وآصدته » وقرىء « موصَدَة » بالهمزة وغير الهمز •

ويقال : ناوأت الرجل وناويته ، و « روّأت في الأمر » و « روَّيت » و « أرجأت في الأمر » وأرجيت • وأوميت الى فلان واومأت ، واخطأت وأخطيت و « اطفـأت » و « أطفيـت » و « رفـأت الثوب » و « رفـوت » و « أرفأت السفينة » و « أرفيت » •

وهذه الافعال قليل من كثير مما ضبطه اللغويون ولم يفصلوا القـول فيه • ولم ينسبوا هذه الطرائق الكلامية الى أصحـابها لغلبة لغـة فصيحة

وشيوعها حتى ادى ذلك الى الاجماع عليها • ولعل في لغة الكتاب العزيز السبب الجوهري في انحياز هذه اللغات الخاصة الى اللغة الفصيحة العامة كما بدت في نمطها البليغ الموحد •

وقد اتخذت العربية من الياء والواو وسيلة لصرف الالفاظ الى معان مختلفة ، ومعنى ذلك ان الانتقال من معنى الى معنى صحبه الانتقال من الياء الى الواو أو العكس نحو : البين واصله الظرف المكاني (بين) ثم انتقل الى الفراق والبعد والوضوح وكلها مستفادة من الظرف وهو الأصل • ولما استفيدت هذه المعاني من الظرف قالوا : بان يبين وفرقوا في المصدر فقالوا للبعد : البين ، وللوضوح البيان •

ثم انتقل بالكلمة انتقالاً آخر فقالوا : بَون بفتح الباء وضمه وهو المسافة ما بين الشيئين • قال الخليل : يقال بينهما بَون وبُون بالفتح والضم•

ومن هذا القبيل الغيث المطر • والغيث من الفاظ القرآن الكريم كما أن المطر من الفاظه أيضاً ، غير أن الغيث قد انصرف للخير والرحمة في الاستعمال القرآني ، وان المطر انصرف للشر والعذاب •

وقد تحولت العربية من الغيث وهو المطر الى الغوث بالخروج من الياء الى الواو للدلالة على المساعدة والخير والنجدة ومنه جاء غاث يغوث ، واغاث يغيث ومثل هذا طير وطور وشيب وشوب ، ومَيْت وموت ، وغُول وغيل •

بين المضعف والمعتل :

ما زلنا نحمل على الخطأ أو على طريقة العوام في لهجتهم الدارجة قولهم (استمريت) باسناد الفعل المضعف الى تاء الفاعل • وفي العربية الفصيحة شيء من هذا وهو قليل • ولعل قلته راجعة الى انه من البقايا اللغوية القديمة التي تشير الى مرحلة لغوية قديمة قد سبقت الفصيح المعروف الماثل في لغة التنزيل • والى هذا ذهب المبرد في شرح كلمة « التقضي » في قول العجاج :

تقضيَ البازي اذا البازي كَسَر

والتقضي الانقاض والعرب تبدل الياء من أحد التضعيفين فيقولون (تظنيت) والأصل (تظننت) لأنه من الظن[9] . ومنه (قصصت) و (قصّيت)[10] .

ونستطيع ان نتعقب الصلة بين المضعف والمعتل في كثير من الافعال ومن ذلك : « تسرّى » أي اتخذ سرية أي جارية كما تجد تسرّر » .

و « تقصّى » الأمر أي تقرّاه وتتبعه وهذا المعنى ملحوظ في « تقصّص » .

و « دسّى » كما في قوله تعالى « قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها » وهذا المعنى ملحوظ في « دسّس » وهذا يشير الى الصلة .

وفي قوله تعالى (ثم ذهب الى أهله يتمطّى) وهو من غير شك من المضعف يتمطّط وهو ملحوظ في (يتمدّد) الذي استحال في عاميتنا الدارجة (يتمدّى) .

وفي قوله تعالى : (فليكتب وليملل الذي عليه الحق) وقوله تعالى : (اولا يستطيع ان يمل فليملل وليه بالعدل) .

وهو الفعل نفسه (أملى) كما في قوله تعالى : (فهي تملي عليه بكرة وأصيلا) .

ومن هذا الباب :

الدّبْي وهو المشي البطيء و (دب) بمعنى .

و (الضر) بفتح الضاد وضمها و (ضير) بمعنى ومنه ضار يضير .

و (حنّ) من الحنين و (حنا) من الحنو .

و (غضّ) و (أغضى) .

و (دك) أي دقّ و (داك) بمعنى .

---

(٩) المبرد ، الكامل ٢/٧٦٠ .

(١٠) ابن السيد البطليوسي ، الاقتضاب ١٣٧ ، ويبدو ان (انسان) و (ايسان) من هذا الباب . فالاصل (اس) وهو صوت يشير الى الموجود ، وفك التضعيف ينتهي الى التعويض وهذا يتم اما بالنون أو بالياء . ومثل هذا حصل لهذه الكلمة في العبرانية فان ايشون وتعني الرجل وهي بالياء .

و (غم) و (غام) بمعنى •

و (طمّ) الماء (وطمى) يطمي أي علا ،

و (الدجج) الظلام الشديد و (الدجو) بمعنى ومنه دجا يدجو •

وهذه الشواهد تهدينا الى أن نقول :

ان المعاني العربية تؤدي بحرفين صامتين فالكاف والنون في (كن) تشير الى الوجود والكون ، وقد ينجم عن هذا معنى التخفي والاستتار • وهذا الثنائي بمعنى (جن) التي استحالت بالتضعيف (جنّ) •

واذا نظرنا في اللغة العبرانية وجدنا مادة « كن » كما هي في العربية ومثله مادة فر ، ومادة در • فهذه المواد تؤدي المعاني وهي بحرفين ، وما الحرف الثالث الذي لصق بها كسعاً suffix الا لاكمال الاثنين وصيرورتها على ثلاثة ،وهذه المرحلة الثلاثية متأخرة بالنسبة للأولى ، والفرق بين المرحلتين بعيد جداً •

أقول ان هذا الثالث الطارىء على طريقة التضعيف زيادة في الكلمة وليس بأصل ، ذلك أن أحد هذين الحرفين يتغير على طريقة الابدال مثال ذلك :

كنّ العربية وكنن العبرية تصبح كهن •

وهذا الابدال وسيلة لايجاد معان جديدة مع ابقاء شيء من المعنى القديم في هذا المستحدث الجديد لمحاً للأصل • ففي مادة كهن مازالت فكرة الاستتار والخفاء موجودة ، ومادة (درّ) تصبح « دهر » في العربية وكذلك في العبرانية والفكرة في الدهر هي الدوران ، ومن أجل هذا شبهوا الدهر بالفلك الذي يدور •

ثم ان المضعف ولّد على طريقة الابدال والتعويض الفعل الاجوف،ولذا فاننا نستطيع ان نتعقب الافعال فنقول ان (كنّ) اصل لـ (كان) وكذلك (غبّ) اصل لـ (غاب) ، وان (صرّ) أصل لـ (صار) •

وهناك أفعال معتلة جوف كثيرة لا سبيل الى معرفة اصلها المضعف وذلك لفقدان استعماله وبعد العهد به ، فانقطعت الصلة ، وأصبح لمحه من

الامور الصعبة • ومن الادلة التى نسترشد بها في معرفة هذه الاصول المضعفة جملة مصادر احتفظت بها العربية لهذه الافعال الجوفاء وفي ابنيتها ما يؤيد هذا المذهب الذى ذهبنا اليه وهى كما يأتي :

الفعل	المصدر
كان	كون وكينونة
دام	دوم ، دوام ، ديمومة
بان	بين ، بينونة
صار	صير ، صيرورة
سار	سير ، سيرورة
غاب	غياب وغيب وغيبة وغيبوبة
قال يقيل	قيلولة
حال	حول حؤول حيلولة

هذه الافعال الجوف لها مصادرها المعروفة الشائعة في الاستعمل نحو « كون » و « دوم » اما الكينونة والديمومة فهي تشير الى الاصل المضعف الذى انتهى الى الفعل الاجوف •

على أن هذا التحول من المضعف الى المعتل لا يقتصر على الفعل الاجوف فان هناك من الدلائل ما يشير الى ان من الفعل الناقص ما جاء من المضعف على طريقة فك التضعيف ثم التعويض فالفعل (كنى) في العربية و (كنه) في العبرية هما من هذا الباب • ولابد من الاشارة الى ان الهاء المعوض في العبرانية يقابله شيء كثير في العربية ، فالكنه بمعنى الحقيقة هو من هذا الباب أيضاً •

ومن هذه الافعال الناقصة التي كان لها مضعف في معناها ما يأتي :

تمطىّ ، مطّى وهو من مطّ وقد سبقت الاشارة الى ذلك •

ربّى وهو من ربّ

سرّى وهو من سرّ على الخلاف اليسير في المعنى بين البنائين •

ذرّى وهو من ذرّ

تظنّ   وهو من تظنن وقد سبقت الاشارة اليه •
تلعّى   وهو أكل اللعاع من الكلأ والمقصود به الهندباء •
تقضّى   من الانقضاض

وما دمنا نرى ان المضعف أصل لهذه الافعال على هذه الطريقة ، أو على طريقة التعويض • فلابد من الاشارة الى ان كثيراً من الافعال المصدرة بالنون قد استفادت النون بهذه الطريقة من المضعف الذي هو أصل نحو :

نفر   من   فرّ كما ان هناك افَرَ
و نتَلَ   من   تلّ
و نثل   من   ثلّ
و نشر[11] من   شرّ ، يقال : شر اللحم ، وما زلنا نقول : في لغتنا الدارجة: شر الثوب بمعنى نشره ليجف
و نقص   من   قصّ وهناك (وقص) •

وبعد فهذا عرض سريع للافعال التى تعرض لها أحرف المد فتجعلها أفعالاً خاصة ليست كالافعال الثلاثية الاخرى التي تتألف من الاصوات الساكنة •

وربما استطعنا ان نقول : ان هذه الافعال تشعرنا بالثنائي القديم الذى ابتدأت به الالفاظ العربية ثم انتقلت الى مرحلة الثلاثي التي صارت من ميزات العربية كما هى الحال في سائر اللغات السامية •

(١١) ونشر الخشبة ويقال : وشرها ، ولهذا جاء منشار وميشار للآلة المعروفة •

أفعال خاصة[1]

نريد ان نبحث في هذا الفصل ما أسماه النحويون الاقدمون بأسماء الافعال • وهى عندهم أسماء قامت مقام الافعال في العمل • وهي غير متصرفة فلا تتصرف تصرف الافعال اذ لا تختلف ابنيتها لاختلاف الزمان ، كما لا تتصرف الأسماء اذ لا يسند اليها فتكون مبتدأة أو فاعلاً ولا يخبر عنها فتكون مفعولاً بها أو مجرورة وبهذا القيد خرجت الصفات والمصادر فانها وان قامت مقام الأفعال في العمل الا أنها تتصرف تصرف الأسماء فتقع مبتدأة وفاعلاً ومفعولاً[2] •

وقد لمحوا فيها الفعلية فقالوا : ان «رويد» متعد لانفعله « امهل » فيقال: رويدَ زيداً ، و « صه » لازم لان فعله اسكت وفاعل كليهما مضمر[3] • وقالوا : هيهات زيد بمعنى « بَعُدَ زيدٌ » • وهكذا اثبتوا لهذه المواد كثيراً من الصفات الفعلية • وقد اكتفى الكوفيون بهذه الصفات الفعلية في استعمال هذه المواد فقالوا : بفعليتها • ذكر السيوطي : « وزعمها الكوفية أفعالاً » لدلالتها على الحدث والزمان • وقال جمهور البصريين باسميتها • مدلولها لفظ الفعل لا حدث ولا زمان بل تدل على ما يدل على الحدث والزمان • وقيل : بل تفيدهما •

---

(١) تندرج تحت هذه التسمية جملة مواد : منها أسماء الافعال ، وافعال خاصة أخرى •

(٢) السيوطي ، همع الهوامع ٢/١٠٥ •

(٣) المصدر السابق •

وقالوا : دلالتها على الزمان بالوضع لا بالطبع وعلى هذا فهي اسم لمعنى الفعل وهو ظاهر كلام سيبويه • وهى اسماء المصادر ثم دخلها معنى الفعل وهو معنى الطلب في الأمر أو معنى الوقوع بالمشاهدة ودلالة الحال في غير الأمر •

اما التنوين الذى يعرض لطائفة من هذه المواد فهو لدلالة التنكير بمعنى انه اذا وجد دل على تنكير الحدث المفهوم من اسم الفعل •

ومنها ما أصله ظرف أو جار ومجرور • قال الرضي في « شرح الكافية » وهذا النوع لا يستعمل الا متصلاً بضمير مخاطب نحو « مكانك » بمعنى اثبت و «عندك ولديك ودونك» بالثلاثة بمعنى خذ • و (وراءك) بمعنى تأخر • و « امامك بمعنى تقدم • و « اليك » بمعنى « تنح » • و « عليك » بمعنى الزم ولا تقاس هذه في الأصح بل يقتصر فيها على السماع •

وعلى هذا فان جميع اسماء الأفعال منقولة اما عن المصادر الاصلية او المصادر الكائنة في الأصل أصواتاً او عن الظروف أو عن الجار والمجرور[٤]• وجعلوا من هذا الباب ما جاء على « فَعال » للدلالة على الامر كقولهم : نزالِ ودراكِ بمعنى : انزل وأدرك •

وقد رأينا ان الكوفيين اعتبروا هذه المواد مواد فعلية و فعليتها جاءت على الوجه الذى استفيد في الاستعمال •

والحق أنها مواد فعلية قديمة جمدت على هيأةٍ مخصوصة فلم يتصرف فيها تصرف الأفعال على اننا ينبغي أن ننظر اليها افراداً وذلك لان لكل طائفة منها بناءً خاصاً وطريقة في الاستعمال :

(١) ما كان من أسماء الاصوات فاستعمل استعمال الافعال حكاية لتلك الاصوات نحو : « صه » بمعنى اسكت و « مه » بمعنى اكفف وايه بمعنى حدّث و « أف » بمعنى اتضجر و « اوه » بمعنى أتحسر •

والاعراب عن هذه المعانى يتأتى بهذه الأصوات وما زلنا نستعمل في لغاتنا العامية شيئاً من ذلك فنعرب عن الحسرة حكاية بصوت « آه » وما أشبه•

---

(٤) الرضي ، شرح الكافية ٢/٦٦ •

ثم ان السكوت يستفاد من حكاية صوت السين او الصاد فاذا طلب السكوت جئنا بهذين الصوتين كأن نقول « إس » او « أص » ومجيء الهمزة شيء يقتضيه اخراج الصوت لان الصوت لا يقوم وحده فالهمزة واسطة يدرك بها الصوت الذي يأتي بعدها ، ومثل هذا جرى في فصيح العربية . فالصاد في « صه » هو حكاية لصوت السكوت او طلب له ، اما الهاء فقد جيء به ليكتمل لهذا الصوت المطلوب حرفان فيدخل في بناء الكلمات واقل بنية للكلمات حرفان ثم يصار من ذلك الى الثلاثة ولعل التنوين الذي أشاروا اليه في « صه » و « مه » و « ايه » مفيد هذه الفائدة فهو ينقل الثنائي الى الثلاثي الذي جرت عليه العربية كما جرت عليه سائر اللغات السامية .

وما قلناه في « صه » نقوله في « مه » بمعنى « اكفف » و « ايه » بمعنى « حدّث » . والتنوين الذي يعرض لهذه الأدوات ليس علماً للتنكير كما زعموا اذ لا معنى لكونها نكرة ، كما ان التنكير يقتضي ان يكون مقابلاً للتعريف . وينبني على هذا ان هذه الادوات ان عريت عن التنوين كان عريها ذاك دليلاً على انها معارف ولا نعرف وجهاً لكونها معرفة كما لا يعرف وجه تنكيرها .

وقولنا « اف » في معرض الضجر و « اوه » في معرض الحسرة والتألم جار على هذا النحو فهما صوتان يحكيان هذه الاحوال النفسية ، وما زال شيء منها باقياً في لهجاتنا الدارجة في كثير من بلادنا العربية . وأكثر هذه المواد بمعنى الأمر ولذلك نجد فيها :

« هات » بمعنى « أعط » وتتصرف بحسب المأمور افراداً وتثنية وجمعاً نحو : هاتِ ، هاتيا هاتوا ، هاتي ، هاتين . وقال الخليل : « أصل هاتِ آتِ من آتى يؤتي ايتاءً »[٥] .

و « هلم » بمعنى « أقبل » او « ايت » أو « أحضر » وقد خلّطوا في حقيقتها تخليطا فزعموا انها مركبة من (هل) و (أمّ) . أو أنها مركبة من (ها) التنبيه و (لمّ) كما ذهب الخليل[٦] وليس من دليل لغوي

---

(٥) المصدر السابق ٢/٧٠ .

(٦) المصدر السابق ٢/٧٢ .

تأريخي يشير الى ذلك ، والذي يؤيده الاستعمال أنها تعنى الافعال الطلبية المشار اليها .

وقد جاء في كتب النحو ان « هلم » تلزم حالة واحدة فلا يلحقها من الضمائر ما يشير الى المأمور مفرداً أو مثنى أو جمعاً نحو : هلم يا زيد ، هلم يا هند . وقالوا ان هذه لغة أهل الحجاز ، وبها جاءت الآية : « قل هلمَّ شهداءكم » وقال تعالى « والقائلين لاخوانهم هلم الينا » . وذكروا ان لغة بنى تميم تستعمل « هلم » استعمال الامر المتصرف فيقال : هلمّ يا رجل وهلمي يا فلانة وهلموا يا رجال وهلممن يا نساء . وقد قالوا بتركيب « حيّهل » وهو من « حي » بمعنى « هلم » و « هل » بمعنى حثيثي فصارت كلمة واحدة[7] .

ومن هذه المواد « تعال » بمعنى أقبل ويلحقه الضمائر المختلفة للاشارة الى المفردة والمثنى والجمع .

(٢) ما كان مصدراً في الأصل ثم استعمل هذا الاستعمال للدلالة على الطلب نحو « رويدَ » و « تيدَ »[8] بمعنى أمهل .

وربما استطعنا حمل « فَعالِ » نحو « نزالِ » و « نزاكِ » على هذا الباب فهي أحداث استعملت استعمالَ الأمر فنقلت الى الفعلية الصريحة . فاذا قلت حَذارِ العدوَ كأنك قلت احذر العدو .

وليس من دليل الى ما ذهب اليه السيد المخزومي من أنها تفيد طلب ايقاع الفعل فوراً[9] .

كما نستطيع الحمل على هذا الوجه : « شتان » بمعنى « افترق » ، و « بطآن » بمعنى « بطؤ » و « وشكان » بمعنى « أسرع » .

(٣) أما هيهات فلم نستطع ان نهتدى الى أصلها ، وقد حكى الصنعاني ستاً وثلاثين لغة فيها ومنها هيهات وأيهات وهيهان وأيهان وغيرها .

وقد جاءت مستعملة للاعراب عن البعد نحو هيهات الأمل أي بَعُد .

---

(٧) لسان العرب : حرف الحاء .

(٨) السيوطي ، الهمع ٢/١٠٥ .

(٩) المخزومي ، في النحو العربي ص ٢٠٦ .

ومثل هذه « هيت » بفتح الهاء وكسرها وضمها •

وقد قلنا أنهم اعتبروا من اسماء الافعال ما كان ظرفاً نحو : دونك ومكانك ووراءك ، وما كان جار ومجروراً نحو : اليك وعليك وهذه تستعمل استعمال الافعال وان كانت غير أفعال ، وهى لا تشبه اسماء الافعال الاخرى وذلك لانها من لوازم الافعال •

ويبدو أنها استعملت استعمال الافعال من افادة التعدى واللزوم نحو : « دونك الكتابَ » بمعنى اثبت و « وراءك » بمعنى تأخر وذلك لتعلقها بالافعال كثيراً حتى ادى بها الاستعمال الى الاستغناء عن متعلقاتها فنابت عنها • ولم يكن هذا الاستغناء عن الافعال الا التماساً للايجاز الذى تقصد اليه العربية في كثير من الاساليب • والذي يسَّر الاستغناء عن الافعال وقيام الظرف مقامه ما يستدل عليه من احوال الجملة فهذه الظروف النائبة عن الفعل والقائمة مقامه لا يتأتى لها هذا الا اذا وقعت في سياق جملة طلبية • فيطاب بها شيئاً والمأمور هو المخاطب وعلى هذا فان مجيئها على هذه الصورة كان من اسباب الاستغناء عن الفعل والابقاء على الجملة الطلبية مكتفية بالظرف او الجار والمجرور •

وعلى هذا فان هذه المواد تختلف عما دعي بـ « اسماء الأفعال » التي عرضنا لها ، فان تلك مواد قديمة حفلت بها العربية للاعراب عن حاجات نفسية وحكاية لها ثم توسع فيها فاستعملت استعمال الافعال • وهي من أجل ذلك بداية ظهور الافعال في العربية في مراحل نشوئها وتطورها •

أما هذه الظروف التى قامت مقام الفعل فليس في شيء من ذلك فهي تقع في حيز الطلب فيكون لها شأن غير شأنها وهى ظروف منقطعة الى الظرفية فقولنا « مكانك » بمعنى أثبت غير قولنا « مكانى متسع » و « ووراثي المدرسة » • وعلى هذا فانه لا يؤمر بهذه الظروف المتكلم فلا يقال : دوني كما لا يؤمر بالجار والمجرور: اليّ وعليّ ونحو ذلك ، وذلك لانتفاء الحاجة الى هذا النوع من الطلب لان المتكلم لا يأمر نفسه الا في مجالات معينة أخرى ليس هذا سبيلها •

ولا يؤمر بهذه الادوات الغائب فلا يقال : مكانه ، واليه ، ودونه وعليه

لعدم تيسر هذا النوع من الطلب .

وقد تناول الدكتور المخزومي هذه الظروف في كتابه « في النحو العربى »[١٠] فقال : « وهذه الظروف من متعلقات الافعال ، ولكن كثر استعمالها وحدها ، لتؤدى الاغراض التى تؤدي بالافعال في أقصر لفظ ، وأسرع دلالة ، فكأنها تحملت معاني الافعال التى تعلقت بها ، وليست هي الافعال ولا بأسماء الافعال ، ولكنها ظروف استعملت حيث تستعمل الافعال التي لم يصرح بها بدلالة قرائن القول ومناسباته ، كما تقول لمن تراه يسدد سهماً : القرطاس وكأنك تقول له : ارم القرطاس ، ولا تجد فرصة ان تقول : ارم ، لان السهم يوشك ان ينطلق من قوسه ، ولا تجد فرصة تسمح لك بالتصريح بلفظ الفعل ، ولا تجد لزاماً عليك أن تصرح بالفعل ، لان ملابسات القول تشعر به ، وتشير اليه فكذلك اذا قلت له : مكانك مثلا . وكأن تقدير الكلام : اثبت مكانك ، ولكنك لم تجد فرصة للتصريح بلفظ الفعل ، فقد يقع المخاطب في خطر قبل ان تنتهى من اللفظ بالفعل ، أو لم تجد ما يلزمك بالتصريح به ، لان ملابسات القول ، وتهيؤ المخاطب بالتحرك مما يدل على الفعل ، ويشير اليه فلا حاجة بك الى اظهاره .

قال المخزومي : انها كثرت في الاستعمال ، وهذا صحيح ، ثم نص على استعمالها الكثير « وحدها » وكلمة « وحدها » يريد أنها غير مفتقرة الى فعل يسبقها ومجيئها « وحدها » مكّنها من أداء الاغراض التى تؤدى بالافعال في أقصر لفظ وأسرع دلالة ، فكأنها تحملت معاني الافعال التى تعلقت بها .

وبهذا اللطف وهذه الدقة التدريجية في العرض يريد أن يقول الاستاذ المخزومي ان هذه الجمل لا حاجة بها الى الافعال وكأنه يخشى ان يقال له : انه متعلق بالعمل الذى يسببه العامل والعامل هو الفعل فراح ينكره بلطف وكأنك تشعر أن الفعل عنده حاضر وهو صاحب العمل ، ألا تراه يقول : فكأنها تحملت معاني الافعال التى **تعلقت بها** .

وانت تشعر بسيطرة الفعل وقوته وعمله في عرض السيد المخزومي

---

(١٠) المخزومي ، في النحو العربي ص ٢٠٤ .

في المثل الذى ضربه فقال : كما تقول لمن تراه **يسدد سهماً** : القر وكأنك تقول له : ارم القرطاس ، ولا تجد فرصة ان تقول : ارم ، لان السهم يوشك ان ينطلق من قوسه ، ولا تجد فرصة تسمح لك بالتصريح بلفظ الفعل •

وفي هذا القول خشية من تقدير الفعل صراحة لئلا يقال : ان الباحث يثبت قوة الفعل وأصالته في العمل •

واذا قلنا : « دونك الكتابَ » لابد أن نقدر فعلاً استغنى عنه لمعرفته ولكثرة استعماله وفي هذا الاضمار تحقيق للايجاز الذى تتطلبه العربية في كثير من مجالات القول ، وليس ان المتكلم لا يجد فرصة للتصريح بلفظ الفعل (خذ) ولان المخاطب يوشك ان يأخذ الكتاب • هـذه التفسيرات والتأويلات شيء لا يمكن ان يحصل في جميع هذه الاستعمالات • ثم ان المخزومي ابتدأ كتابه قائلاً ينبغي ان يكون النحو الجديد بعيداً عن التأويلات والتقديرات كما ينبغي ألا يلجأ الى استخدام المنطق والعقل في هذه المادة اللغوية والسبيل الصحيح هو المنهج الوصفى •

وأنا ارى ان هذه التفسيرات التى جاء بها ليقول ان الفعل غير موجود ولا مقدر في هذه الاستعمالات ، بعيدة عن المنهج الوصفي الذى اراد ان يأخذ به في هذه المباحث النحوية •

وقد أكد الاستاذ المخزومي هذا المنحى وهو اضمار الفعل في فصل آخر فأعاد قوله : « القرطاسَ » لمن يسدد سهماً ، وكأن التقدير « ارم القرطاس » وفي هذا عدم تقدير فعل ناصب واستشهد بما جاء في «الكتاب»[11] من قولهم : « اتميمياً مرة ، وقيسياً اخرى ؟ فلم ينسب (تميمياً) او (قيسياً) الى فعل ناصب بعينه محذوف ، ولم يرد الى تقدير ذلك الفعل •

قال سيبويه « انما هذا انك رأيت رجلاً في حال تلون وتنقل • فقلت : اتميمياً مرة وقيسياً اخرى ؟ كأنك قلت أتحول تميمياً مرةً وقيسياً اخرى ، فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له ، وهو عندك في تلك الحال في

---

(١١) سيبويه ، الكتاب ١/١٧٢ •

تلون وتنقل ، وليس يسأله مسترشداً عن أمر هو جاهل به ، ليفهمه اياه ، ويخبره عنه ، ولكنه وبخه بذلك » .

وأنا ارى ان هذه المسألة التى عرض لها الخليل حجة على السيد المخزومي فقد أوّل هذه الجملة بقوله كأنك قلت : أتحول قيسياً مرة ...الخ ومعنى هذا ان الجملة استغنت عن الفعل لمعرفته ولتردد ذكره .

وقد حمل الاستاذ المخزومي على هذا التأويل مسائل عدة منها :

(١) المنصوبات التي تقع في سياق فعلي ، من نهي أو أمر كما مر من قوله تعالى : « انتهوا خيراً لكم » .

(٢) المنصوبات التى تقع في سياق فعلى ليس نهياً ولا أمراً ، كقولهم : أخذته بدرهم فصاعداً ، وقولهم : مرحباً وأهلاً .

(٣) المصادر المنصوبة على الدعاء نحو : سقياً ورعياً .

(٤) المصادر المنصوبة على غير الدعاء ، كأن تكون في سياق (حمد نحو : حمداً وشكراً ، أو سياق تعجب نحو : عجباً ، نحو : بهراً في قول ابن ابى ربيعة :

قال قوم : تحبها ؟ قلت : بهراً عدد الرمل والحصى والتراب

(٥) المصادر المنصوبة على التشبيه نحو قولهم : فاذا له صوتٌ صوتَ حمار ، ومررت به فاذا له صراخٌ صراخَ الثكلى ، فانما نصب (صوتَ حمار) و (صراخَ الثكلى) لانك مررت به في حال تصويت وصراخ ، وكأنك قلت : يصوت أو يصرخ ، ولم ترد الى ان تجعل من صوتٍ او صراخ صفة لما قبله ، او بدلاً منه ، « ولكن لما قلت : له صوت علم انه قد كان ثم عمل »[١٢] .

(٦) المصادر غير المتصرفة مما يلزم النصب ، ويمتنع عن (أل) نحو قولهم : سبحان الله ومعاذ الله .

(٧) المشتقات الجارية مجرى الافعال المنصوبة على التنبيه نحو قولهم : أقائماً وقد قعد الناس ؟ أقاعداً وقد سار الركب ؟ وقد فسر سيبويه

(١٢) المصدر السابق ١٧٨/١ .

هذا بقوله : « اتقوم قائماً وأتقعد قاعداً » وهـذا التفسير يبتعد كثيراً عن التأويلات التي جاء الاستاذ المخزومي في مسألة « القرطاسَ » التي ذكرها ، وذلك لان سيبويه لا ينكر تقدير الفعلالذى حاولانكاره المخزومي بتفسيره وتأويله مخافة أن يؤخذ عليه تمسكه بالعمل الذى هو أصيل في الفعل كما يقولون ٠

(٨) الامثال المنصوبة على التحذير نحو قولهم : اياك اياك ان تجادل في غير الحق وقولهم : اياك والكذب ، وقوله تعالى : « ناقة الله وسقياها » ٠

(٩) الاسماء المنصوبة على الاغراء نحو قوله :

أخاك اخاك ان من لا اخاله كساع الى الهيجا بغير سلاح

(١٠) الاسماء المنصوبة على التخصيص ، او الاختصاص ، نحـو قولهم : نحن العرب اقرى الناس للضيف ٠

(١١) الاسماء الجارية مجرى المشتقات منصوبة على التربنج كما مر من نحو قولهم : اتميمياً مرة وقيسياً اخرى ٠

(١٢) الصفات المنصوبة على (الشتم) نحو قوله تعالى : « وامرأ حمالةَ الحطب » او على الترحم كالذى ذهب اليه الخليل في تفسير نصب (المسكين) في قولهم : مررت به المسكينَ ٠

(١٣) المصادر المنصوبة على الأمر كقوله تعالى : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضربَ الرقاب وقول الشاعر وهو قطري بن الفجاءة :

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيـل الخلـود بمستطاع

وفي هذه المواضع جميعها جاءت المنصوبات دون تقدير فعل ناصب لها ٠ هذا ما يقوله المخزومي وذلك لان ما يحيط القول من « ملابسات وقرائن وتوفر الطلب كل ذلك ادى الى النصب ٠

يقول الدكتور المخزومي في الأمثال المنصوبة في بابالتحذير نحو : اياك والكذب وما يشبه ذلك : المقام في هذه المواضع نصب ، لانها داخـلة في سياق طلب ، غير محمولة على اسناد وعلى اضافة ، وانما تقول مثل هذا حين ترى رجلاً يهم بالقيام بعمل ما ، وتدرك ان فيما يقدم عليه خطر ، تريد

الى ان تنبهه الى ما يواجهه ، وتحذره منه ، في أقصر لفظ ، وأوجز عبارة فلا ترى لزاماً عليك ان تذكر فعلاً بعينه ، بل لا تجد فرصة ان تذكر فعلاً بعينه ، فيضمر الفعل اكتفاءً بقرائن الخطاب ، والملابسات المحيطة بالقول . فالاسماء في مثل هذه المواضع منصوبة على التحذير ، والتحذير اسلوب يعتمد على القرائن والدلالات التي تكتنف الخطاب ، ويكتفى فيه بذكر ما يراد الى التحذير منه ، فلا يذكر معه فعل »[13] .

أقول : ان هذا التفسير وهذا الايضاح شيء قريب من الخيال والتصور، ذلك ان المتكلم يرى رجلاً يهم بالقيام بعمل فيدرك الخطر فيخطر له ان ينبهه باقصر لفظ وأوجز عبارة ، فلا حاجة الى فعل في هذه الحالة لانه لا يجد فرصة تكفي ان يذكر الفعل . وعلى هذا فماذا يصنع المتكلم في الاغراء ان وجد الفرصة مواتية وليس في السياق ما يشير الى قرب وقوع خطر ؟

أقول : هذا تفسير لا حاجة اليه في مسائل لغوية مادتها الالفاظ . وعلى هذا فاننا نقول بتقدير الافعال لان الجمل جمل فعلية وقولنا بفعلية هذه التراكيب لا يفرض علينا ـ ونحن باحثون وفق منهج جديد ـ ان نتمسك بتأثير هذه الافعال وعملها ، وان نصب هذه الاسماء الكثيرة لا يثير في انفسنا حاجة للبحث عن عامل فليس ذلك من منهجنا . فاننا نكتفي بالاشارة الى ورود هـذه الاسماء منصوبة ولا نقول بالعامل الناصب لها ، ذلك ان المنهج الذى نأخذ انفسنا هو وصف الكلام الذى يستعمله المعربون .

أما الذهاب الى امثال التفسيرات التى جاء بها الاستاذ المخزومي فأمر يأباه منهج جديد لا يكتفى بوصف العلاقات بين الكلمات في الجملة . كما انه ليس من العلم في شيء ان نتتبع تفسيرات الخليل الفراهيدى الذى كان له منهجه في عصر بعد عن عصرنا الحاضر بمراحل طويلة .

وفي كتاب سيبويه مادة كثيرة تتعلق باضمار الفعل ومن ذلك قوله:[14]

« هذا باب ما جرى من الامر والنهى على اضمار الفعل المستعمل اظهاره اذا علمت ان الرجل مستغنٍ عن لفظك بالفعل » وذلك قولك : زيداً

---

(١٣) المخزومي ، في النحو العربي ص ٢١٢ .
(١٤) سيبويه ، الكتاب ١٢٨/١ .

وعمراً ورأسه ، وذلك لانك رأيت رجلاً يضرب او يَشتم أو يقتُل فاكتفيت بما هو فيه من عمله فقلت : زيداً أي أوقع عملك بزيد ، أو رأيت رجلاً يقول : أضربُ شر الناس ، فقلت : زيداً • أو رأيت رجلاً يحدِّث حديثاً فقطعه ، فقلت : حديثَك أو قدم رجلٌ من سفَر ، فقلت : حديثك ، استغنيت عن الفعل بعمله أنه مستخبرٌ فعلى هذا يجوز هذا وما أشبهه •

وأما النهي فانه التحذير كقولك : الأسدَ الأسدَ ، والجدارَ الجدارَ والصبيَّ الصبيَّ ، فانما نهيتَه أن يقرب الجدارَ المخوفَ المائل ، أو يقرب الأسد أو يوطيء الصبي • وان شاء أظهرَ مع هذه الأشياء ما أضمر من الفعل فقال : اضربْ زيداً ، واشتم عمراً ، ولا توطيء الصبيَّ ، واحذر الجدارَ ، ولا تقرب الأسدَ • ومنه ايضاً قوله : الطريقَ الطريقَ ، ان شاء قال : خلِّ الطريق أو تنحَّ عن الطريق • قال جرير :

خلِّ الطريق لمن يبني المنارَ به   وابرُزْ ببَرزَةَ حيث اضطرك القدرُ

ومن هذا القبيل ما جاء في الكتاب :

« هذا باب ما يضمر فيه الفعل المتعمل اظهار من غير الامر والنهي » وقوله : « هذاباب ما يضمر فيه الفعل المستعمل اظهاره بعد حرف »(١٥)•

ونريد ان نعرض في هذه « الافعال الخاصة » لطائفة من الافعال قد تم لها البناء الفعلي بطريقة خاصة ومن هذه الافعال :

(١) هرق

يبدو أن هذا الفعل قد جاء من « هراق » وهذا الفعل الاخير ليس من ابنية الافعال الشهيرة ، وعلى هذا فلابد أن يكون أصله « أراق » ، والنظر في كتب اللغه المطولة يدل على هذا الابدال الغريب • وهذا الابدال قد عرض لهذا الفعل في لغة عربية قديمة فجاء في شعر المتقدمين والجاهلين ، مما يدل على أن الهاء المبدلة من الهمزة في هذه الكلمة لغة من اللغات الخاصة وان لم نفد ذلك من كتب اللغة •

---

(١٥) المصدر السابق ١/١٢٩ ، ١٣٠ •

قال الازهري : هراقت السماء ماءها وهى تهريق والماء مُهَراق ، الهاء في ذلك كله متحركة لانها ليست بأصلية انما هى بدل من همزة أراق ، قال : وهرقتُ مثل أرقتُ والأصل أرقتُ[(١٦)] .

ويبدو أن من هذا الابدال حروف قليلة هى : هَرحَتُ الدابة وأرحتُها ، وهنرت النار وأنرتُها . كما يبدو أنهم توهموا أصالة الهاء فقالوا : أهرقتها فزادوا همزة في اول الفعل مرةً أخرى ، وقولهم مُهْراق ومهراقة هي من باب توهم أصالة الهاء فكأنها غير مبدلة . انشد ابن بري :

رُبَّ كأس هَرَقتُها ، ابنَ لؤيٍ حذرَ الموت ، لم تكن معراقَه

وانشد للنابغة : . . . . وما هُريقَ على الانصاب من جسدِ

وقال امرؤ القيس :

وان شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارسٍ من معوَّل

وقد حكى سيبويه أهرَق الماء يُهرِقه اهراقاً كما حكى أَهراقَ يُهريق ، ومن ذلك قول كثير :

فأصبحت كالمهريق فضلة مائه لضاحي سرابٍ بالملا يترقرق

وقد جاء المصدر من هذا الفعل في قول ذى الرمة :

فلما دنت اهراقة الماء أنصتت لأعزلةٍ عنها وفي النفس أن أثنى

وهكذا فان أصول هذا الفعل قامت على زيادة الهمزة في الاول ، ثم ابدلت الهاء من الهمزة ، ثم توهمت هذه الهاء من اصول الكلمة ثم خُرم من الفعل شيء من أصوله وهو عين الكلمة الاصل فصار هَرَق .

(٢) اتخم

يقال : اتخمه الطعام ، ومن غير شك أن التاء توهمت حرفاً من اصول الفعل وهى في الحقيقة من تاء المصدر « تُخمة » وتاء المصدر مبدلة من الواو ، ومادة الكلمة (و خ م) .

(٣) اتهم

اتهمته فهو متهم ، وقد توهّمت التاء الاولى التى ادغمت في تاء افتعل

---

(١٦) لسان العرب (هرق) .

اصيلة في الفعل . واغلب الظن ان ذلك جاء من تاء المصدر « تهمة » وتاء المصدر مبدلة من الواو ايضاً ، ومادة الكلمة « و هـ م » .

(٤) تقى

وهو فعل جاء على صورة قضى يقضي فيقال : تقى يتقي ، وفعل الامر : تقِ قال الشعبي :

تقِ الله لا تنظر اليهن يا فتى   وما خلتني في الحج ملتمساً وصلا

وهذا الفعل قد حصل من باب توهم أصالة التاء في « اتقى » المزيد على (افتعل) ثم خرم على هذا النحو فصار تقَى يتقي . وكأن الواو غير موجودة في بنائه في الأصل .

(٥) تخذ

وهو فعل لابد ان يكون من أصل (اخذ) ثم بني على (افتعل) فصار (اتخذ) ثم خرم على هذا النحو فصار (تخذ) وكأن هذا الفعل صار بعيداً نوعاً عن أصله فجاء على (فعِل) بكسر العين بعد توهم التاء اصيلة في بنائه وهكذا قرىء في لغة التنزيل : لتخِذتُ عليه اجراً .

(٦) خَنْثى

يقال خنثاه يخنثه اذا صيره كالخنثى . وهذا بناء خاص في ابنية الافعال ومن غير شك ان الالف الاخيرة زائدة ، وهو من باب صوغ الفعل من الاسم لضرورة خاصة . وقد توهمت الالف الزائدة الاخيرة اصيلة كما في بيت المتنبى :

خنثى الفحول من الكماة بصبغه
ما يلبسون من الحديد معصفرا

وهذا النوع من التوهم حاصل في الافعال كثيراً ، وليس هذا مما يعنينا في هذا الباب .

هذا ما وددت ان اعرض له في هذا الباب الذى بدا لي أن اقول فيه ما عندى مما أختلف فيه مع النحويين الاقدمين كما اختلف فيه مع طائفة من الباحثين في عصرنا هذا .

بناء الرباعي

اسهب الصرفيون الاقدمون في مادة الفعل ، فذكروا الفعل الثلاثي وابنيته وما ينصرف اليه من خصوصيات معنوية تخص وزناً دون آخر . ثم بحثوا في مزيد الثلاثي ومعاني الزيادات ، وبحثوا في الرباعي المجرد . وختموا هذا الباب بالكلام على الابنية الغريبة من الافعال .

وقد فاتهم أن يبحثوا في كيفية بناء هذه الأفعال ، وكيف نشأت ، وهل كان الثلاثي اصلاً في البناء ، وما علاقة الثلاثي بالمادة الثنائية . كل هذا اغفله الأقدمون ، فكان على أهل هذا العصر أن يتموا ما لم يعرض له اولئك الأقدمون .

غير أنه لابد من الاشارة الى أن أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ قد أشار الى بناء الرباعي عامة في الافعال والاسماء وذهب الى أن الكثير من ذلك حصل بالنحت . والنحت تركيب بطريقة خاصة لا قياس فيها ، ومثل لهذا النحت في « الصاحبي »[١] بقول العرب للرجل الشديد « ضِبَطْر » من « ضَبَطَ » و « ضَبَر » . وفي قولهم : « صَهْصَلِق » من « صَهَل » و « صلق » وفي « الصِلدِم » انه من « الصَلْد » و « الصَدم » . وملاك الأمر في هذا النحت أن الرباعي المنحوت يأتي من مادتين ثلاثيتين على هذا النحو من الاعتباط في البناء .

وشذَّ أحمد بن فارس من اصحاب المعجمات في ذكره لطريقة بناء

---

(١) ابن فارس ، الصاحبي ص ٢٢٧ .

الرباعي في « مقاييس اللغة » وسأتتبع الرباعي في هذا المعجم لاتبين قول ابن فارس في طريقة البناء .

ويفرد ابن فارس لما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة احرف أبواباً يذكرها بعد استيفاء الثلاثي . ومما جاء من ذلك وأوله باءقوله(٢) :

اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس ، يستنبطه النظر الدقيق . وذلك أن أكثر ما نراه منه منحوت . ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ . والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم : حَيعَل الرجل اذا قال حيَّ على .

ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم « عبشَمي » وقوله :

وتضحك مني شيخة عبشَمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

فعلى هذا الأصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي فنقول : انَّ ذلك على ضربين : أحدهما المنحوت الذي ذكرناه ، والضرب الآخر الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس .

فما جاء منحوتاً من كلام الرباعي أوله باء :

(البُلعوم) مجرى الطعام في الحلق . وقد يحذف فيقال « بُلعُم » . وغير مشكل أن هذا مأخوذ من « بَلِعَ » ، الاانه زيد عليه ما زيد لجنس من المبالغة في معناه وهذا ما اشبهه توطئة لما بعده . انتهى كلام ابن فارس .

أقول : ليس في « البلعوم » نحت على النحو الذي ذكره ابن فارس من كون المنحوت آتياً من مادتين ثلاثيتين وحقيقته أن الميم زيدت على المادة الثلاثية « بلع » كما تزاد الميم في أواخر كثير من المواد للغرض نفسه . أما الواو فلا يدخل في مادة البناء فهو نوع من أنواع المد .

ثم ذكر ابن فارس :

ومن ذلك « بُحتُر » وهو القصير المجتمع الخلق . فهذا منحوت من كلمتين من الباء والتاء والراء ، وهو من بترته فبتر ، كأنه حُرِم الطول فبُتِر

(٢) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ١/٣٢٨ ـ ٣٣٦ .

خَلْقه • والكلمة الثانية الحاء والتاء والراء ، وهو من حَتَرَتُ وأحتَرتُ ، وذلك ان لا تفضل على أحد يقال : أحترَ على نفسه وعياله أي ضيَّق عليهم • فقد صار هذا المعنى في القصير لأنه لم يُعطَ ما اعطيه الطويل •

أقول : التوصل بلطف ودقة الى الأصلين اللذين جاء منهما المنحوت لا يخلو من افتيات واصطناع ، وذلك أننا لا نلمح المعنى لكل من الثلاثيين بيسر ووضوح ، ولابد من التعليل والتأويل حتى يتم وينسجم لنا المعنى المتحصل الذي تحمله المادة الرباعية المنحوتة • وربما كان لمح الأصل في « بُحتُر » أسهل من غيره كما سنرى في الأمثلة التي سيأتي ذكرها •

ثم قال :

ومن ذلك (بَحثَرتُ) الشيء ، اذا بَدَدتُه • والبَحثَرة الكَدرَ في الماء • وهذه منحوته من كلمتين : من بحثت الشيء في التراب ـ وقد فسر في الثلاثي ـ ومن البَثْر الذي يظهر على البدن وهو عربيّ صحيح معروف • وذلك انه يظهر مفرقاً على الجلد •

أقول : ربما صعب على الباحث أن يرد هذا الفعل الرباعي الى أصليه الثلاثيين للعلاقة الضعيفة بين المعنى المتحصل في الرباعي « بحثر » وبين المعنى المتحصل من كل من الثلاثين • وسنجد أن سلوك هذا السبيل في أغلب المواد التي ذكرها ابن فارس لم يُسلمه من الشطط والتزيد • وربما شعر بذلك ابن فارس نفسه فاحتاط في عبارته كما ستتبين ذلك •

وسأعقب هذا القسم المتعلق بالمواد التي جاءت في مقاييس اللغة بالمواد الرباعية التي سجلتها في العامية العراقية لاتبين طريقة البناء • ومن المفيد أن أذكر هنا ان الفعل « بحثر » معروف في عاميتنا البغدادية على القلب المكاني[٣] فهو « بَحرَث » فماذا كان يقول فيه ابن فارس لو جاء هذا الفعل

---

(٣) أقول : ان القلب المكاني الذى قال به اللغويون الاقدمون شيء من ألوان الكلام في اللغات العامية • وعلى هذا فانى استرجح أن تكون »جبذ« و « صاقعة » وما الى هذا من الكثير الذى ورد في باب القلب ، من باب اللغات الخاصة أي ما يصطلح عليه اليوم ب اللهجات • ذلك ان كلام العرب جرى على الفصيح المشهور وهو « جذب » و « صاعقة » • ومما يؤيد هذا النظر

على الطريقة من القلب في كلام العرب • أتراه يرده الى أصليه « بحث » و « بثر » أم تراه يقول : من « بحث » و « حرث » •

ثم قال :

ومن ذلك (البَعْثَقَة) وتفسيره خروج الماء من الحوض • يقال تبعثَقَ الماء من الحوض اذا انكسرت منه ناحية فخرج منها • وذلك منحوت من كلمتين : بَعَق وبَثَق ، يقال انبعق الماء تفتحَّ وبثقت في الماء وقد مضى ذكره •

أقول : ذكر ابن فارس ان « بثق » مضى ذكره ويقصد في باب الثلاثي ولكنه لم يذكر معناه هناك واكتفى بذكر المادة وكأنها من المشاهير • وحقيقة البثق خروج الماء •

ثم قال :

ومن ذلك (ابلندَحَ) وتفسيره اتسع • وهو منحوت من كلمتين : من البداح وهو الأرض الواسعة من البَلَد وهو القضاء البَراز وقد مضى تفسيرهما •

ثم قال :

ومن ذلك قولهم (بلطح) الرجل اذا ضرب بنفسه الارض • فهي منحوته من بُطِح وأُبلِط اذا لصِق ببلاط الأرض •

أقول : أجرى ابن فارس هذا الفعل على أنه منحوت • والنحت عنده مادة ضخمة تدخل في الكثير مما زاد على الثلاثي • وكأنه لا يريد أن يقول ان اللام في هذه المادة طارئة وهي ابدال من الطاء في « بطَّح » بالتضعيف ، فانه حيث فك التضعيف حصل الابدال • وهذا لون من الوان بناء الرباعي كما سنرى •

ومن ذلك قولهم (بزمخ) الرجل اذا تكبر • وهي منحوتة من قولهم زمخ اذا شمخ بانفه ، وهو زامخ ، ومن قولهم بَزِخَ اذا تقاعس ومشى

أننا نجد هذا القلب كثيرا في عاميتنا بالقياس الى الفصيح المليح نحو « دحق » وفصيحه « حدق » ، و « يواسى » وفصيحه « يساوى » ، وغيرها •

متبازخاً اذا تكلف اقامة صلبه •

أقول : ان النحت قد يلمح في « بزمخ » للعلاقة بين « زمخ » و «بزخ» دون أن يكون في سلوك هذا السبيل من شطط •

وقال :

ومن ذلك قولهم « تبلخَصَ لحمه » اذا غَلُظ • وذلك من الكلمتين ، من اللخص وهو كثرة اللحم ، يقال ضرع لخيصٌ ، ومن البَخَص ولحمة الذراع والعين وأصول الأصابع •

وقال :

ومن ذلك (تبزعَرَ)(٤) أي ساء خُلقُه • وهذا من الزَّعَر والزَّعارة ، والتبزُّع ، وتبزَّع الغلام ظرف •

أقول : ان لمح النحت في هذه المادة بعيد ، ذلك ان المادتين الثلاثيتين لا تعينان على تكوين هذا المعنى الجديد الذي لا يُلمح الى الظرف وما يقاربه في المعنى •

ومن ذلك (البهنسة) التبختر فهو من البَهس صفة الأسد ، ومن بَنِسَ اذا تأخر • معناه انه يمشي مقارباً في تعظم وكبر •

أقول : ليس في هذه المادة الرباعية ما يقوي القول بالنحت ذلك انه لا سبيل الى المح مادة (بنس) في الرباعي (تبهنس) •

وقال :

ومما يقارب هذا قولهم (بَلْهَسَ) اذا أسرع • فهو من (بَهَس)

---

(٤) لم ترد هذه المادة في اللسان ، بل جاءت في القاموس • واغلب الظن أنها من الكلام العامي الذي يجد في عصر دون آخر • فمن الجائز أنها لم تكن معروفة مستعملة في عصر ابن مكرّم الافريقي صاحب اللسان ، او قل انها لم تكن معروفة في العامية المصرية او الافريقية بوجه عام في ذلك العصر ، بل كانت معروفة في المشرق ولهذا ذكرها المجد الفيروزابادي الذى عرف كثيرا من ديار المشرق • كما ذكرها ابن فارس من قبل •

ونريد ان نعلق على هذه المواد مثل (بزمخ) و (تبلخص) و (تبزعر) وذلك أنها ترد الفاظا يتيمة في المعجم وهي تفتقر الى النصوص المستعملة المأثورة ولم ترد حتى في أراجيز الرجّاز • وهذا يقوى عندى عاميتها وانها موضوعة مصنوعة •

ومن (بَلِهَ) وهو صفة الأبله •

ومنه (بَلأْصَ) بمعنى هرب غير أصل لان الهمزة مبدلة من هاء والصاد مبدلة من سين •

أقول : يريد أن يقول ان (بلْهس) تحولت بالابدال الى (بلأَص) • ولا أرى وجهاً للنحت من (بَهَس) و (بَلِه) لان مادة (بله) لا تلمح في المادة الرباعية المنحوتة • .

ثم ذكر ابن فارس باباً آخر من الرباعي فقال[٥] :

ومن هذا الباب ما يجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ما ذكرناه ، لكنهم يزيدون فيه حرفاً لمعنى يريدونه من مبالغة ، كما يفعلون في (زُرْقُم)[٦] و (خَلْبَن)[٧] لكن هذه الزيادة تقع أولاً وغير أول •

وقال :

ومن ذلك (بَلْذَمَ)[٨] اذا فَرِقَ فسكت • والباء زائدة ، وانما هو من لَذِمَ اذا لَزِم بمكانه فَرِقاً لا يتحرك •

أقول : ان بين الثلاثي والرباعي علاقة بينة ، وقد تكون هذه الزيادة مقوية للمعنى أو موضحة له بشكل خاص • على ان الفعل رباعيّه وثلاثيّه من النوادر التي لم يعرف لها استعمال ، وما أكثر ذلك في المعجم القديم •

وقال :

ومن ذلك (برعم) النبت اذا استدارت رُؤُسُه • والأصل بَرَع اذا طال •

وقال :

ومن ذلك (البَرْكَلَة) وهو مشي الانسان في الماء والطين ، فالباء زائدة وانما هو من تَرَكَّلَ اذا ضَرَب باحدى رجليه فأدخلها في

---

(٥) معجم مقاييس اللغة ١/٣٣٢ ـ ٣٣٥ •

(٦) الزرقم الزاء والقاف الشديد الزرقة •

(٧) الخلبن بفتح الخاء والباء والخرقاء ، انظر مادة (خلبه) في اللسان •

(٨) في المجمل بالدال والذال •

الأرض عند الحفر ٠

قال الأخطل :

رَبَتْ وربا في حجرها ابن مدينة   يظل على مِسحاته يتركّل

أقول : ان المعنى الجديد المتحصل بالزيادة لا يمكن ان يكون نوعاً من المبالغة للمعنى الاول ٠

وقال :

ومن ذلك قولهم (بَلسَمَ) الرجل كرّه وجهه ٠ فالميم فيه زائدة ، وانما هو من المُبلِس ، وهو الكئيب الحزين المتندم ٠ قال :

* وفي الوجوه صُفرة وابلاسْ *

أقول : ان زيادة الميم كسعاً في الكلمة Suffixe كثير في الرباعي من الافعال والأسماء نحو صِلدِم ، وزُرقُم و بَلعَمَ وحَلقَم وزَرْدَمَ ٠

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (تعثرت نفسي) فالعين زائدة ، وانما هو في الباء والثاء والراء ٠

أقول : لا أدري كيف علل الرباعي بزيادة العين في هذا الفعل ، في حين أنه قال بالنحت في (بَحثَر) من مادتي (بحث) و (بثر) ٠

وليس هذا هو الصواب عندي ٠ فان كلا الفعلين مادة واحدة فان (بعثر) هي (بحثر) والمسألة تتعلق بالابدال بين الحرفين ٠ وعلى هذا فان الأصل (بحثر) ثم حصل الابدال ٠

ثم يعقب ابن فارس هذا الباب بباب آخر يعرّفه بانه وضع وضعاً[٩] ٠

وهذا التعريف المقتضب يشير الى حيرة ابن فارس في فهم هذا النوع من الرباعي ، ذلك أنه لم يعرف الأصل الذى جاء منه ويمثل له بجملة من الأمثلة التي أولها الباء ومنها :

البهصُلُة : المرأة القصيرة ، وحمار بُهصُل قصير ٠ والبُحْتُق : البُرْقُع القصير ،

---

(٩) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ١/٣٣٥ ٠

البَلْعَث : السيء • البَهْكَثَة السرعة • بَرْشَطَ(١٠) اللحم شرشره •

بَرْشَمَ الرجلُ اذا وَجَم •

وذكر ابن فارس في كتاب الثاء من معجمه في « باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله ثاء موادّ منها :

(الثُرمُطة) ، وهي اللثَق والطين • وهذا منحوت من كلمتين من الثَرْط والرَمْط ، وهما اللطخ • يقال ثُرِط فلان اذا لطخ بعيب وكذلك رُمِط •

أقول : وهذه من النوادر أيضاً وما أكثر ذلك في الرباعي والخماسي •

ويبدو أن الوضع أو الاصطناع قد فشا في الابنية التي على أكثر من ثلاثة أحرف •

وقال :

ومن ذلك (اثبجرّ) القوم في أمرهم ، اذا شكوا فيه وترددوا من فزع وذعر • وهذا منحوت من الثَبَج والثُجْرة •

أقول : والثبج معظم الشيء ووسطه ، وثَبَجَ الرجلُ اذا أقعى على أطراف قدميه • اما الثُجرة في الوادي فهي وسطه وما اتسع منه • ويتبين من هذا أن كلتا المادتين يفيدان شيئاً واحداً وهو الاتساع والشمول ، ولست أدري كيف تم النحت على قول ابن فارس ، وهل يشعر المنحوت بشيء من هذا المعنى ، وعلى هذا فليس من الصواب القول بالنحت في (اثبجرّ) ، واكبر الظن أنه من الموضوعات التي وضعت دون أن يكون هنالك اتصال بمادة ثلاثية •

ويوجز ابن فارس الكلام في كتاب الجيم من معجمه على ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله جيم فيقول(١١) :

وذلك على أضرب : فمنه ما نحت من كلمتين صحيحتي المعنى مطردتي القياس • ومنه ما أصله كلمة واحدة وقد الحق بالرباعي والخماسي بزيادة

(١٠) لم ترد هذه المادة في اللسان •
(١١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ١/٥٠٥ ـ ٥١٣ •

تدخله • ومنه ما يوضع كذا وضعاً •

فمن المنحوت قولهم للباقي من أصل السعفة اذا قطعت (جُذمُور) قال[١٢] :

بناتين وجذموراً أقيم بها صدرَ القناة اذا ما آنَسوا فَزَعا

وذلك من كلمتين : احداهما الجِذم وهو الأصل ، والأخرى الجِذْر وهو الأصل •

أقول :

وكأن ابن فارس قد وجد في هذه الكلمة صدق ما ذهب اليه من وجود النحت في هذه المادة فقال : وهذه الكلمة من أدلّ الدليل على صحة مذهبنا في هذا الباب وبالله التوفيق •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك قولهم للرملة المشرفة على ما حولها (جمهور) • وهذا من كلمتين من جَمَر ، وقد قلنا ان ذلك يدل على الاجتماع ، ووصفنا الجَمَرات من العرب بما مضى ذكره ، والكلمة الأخرى جَهَر ، وقد قلنا ان ذلك من العلو • فالجمهور شيء متجمع عال •

أقول : ان (الجمهور) يدل على التجمع وعلى هذا فهو ألصق بـ(جمر) ولا أرى وجهاً أن يكون في (جمهور) مادة (جهر) التي تفيد العلو ، ذلك ان العلو لا يلمح في الكلمة المنحوتة •

والذي يبدو لي أنه من (جُمّور) بتشديد الميم وتعويض الهاء من احدى الميمين ، وهذه طريقة سنجدها في كثير من المواد الرباعية •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك قولهم للأرض الغليظة (جَمْعَرة) • فهذا من الجمع ومن الجمر •

---

(١٢) البيت لعبدالله بن سبرة يرثي يده وكانت قد قطعت • اللسان مادة (جذمر) •

أقول : هذه مادة تشعر بالنحت من الأصلين الثلاثيين اللذين ذكرهما ابن فارس • وسأورد من الرباعي العامي هذه المادة وهي (جَعْمَرة) وهي تختلف عما اثبته ابن فارس بما نسميه بـ (القلب المكاني) •

غير أن ابن فارس يعود ثانيةً الى هذه المادة فيذكر أنها منحوتة أيضاً • ولكنها في هذه المرة من (جمع) و (مَعَر) والمعر وهو الأرض لانبات بها •

وهذا القول الثاني يدل بوضوح أن ابن فارس في حيرة ، ولهذا فهو متخبط متردد ، ذلك أن القول بالنحت أمر يلمح بالنظر الصائب ، واللطف في تناول المواد وان افتقر الى القياس والتقدير ، ولهذا فقد كان على من يبحث أن يكون حذراً دقيق النظر في القول بالنحت فلا يقول به الا متى اشعر بذلك بوضوح وجلاء •

ويعود ابن فارس فيقول :

ومن ذلك قولهم للقصير (جَعْبَر) وامرأة جَعْبَرة قصيرة • قال[١٣] :

* لا جعبريات ولاطهاملا *

فيكون من الذي قبله ، ويكون الراء زائدة •

أقول : ذكر ان (جَعْبَر) من مادة ذكرت قبلها وهي (جَرْعب) التي جاءت من الجَعْب وهو التقبض والجرع التواء في قوى الحبل ، والراء زائدة • وفي كلتا الكلمتين الراء زائدة ، واراد ان يقول : ان القلب المكاني قد دخل في هذه المادة • غير أن (جرعَب) معناها الجافي ، وهو معنى بعيد كل البعد عن معنى (جعبرَ) • وما أظن ان القلب المكاني يغير في معاني الالفاظ على هذا النحو من البعد •

والذي أراه أن (جَعْبَر) للقصير و (جَعْبَرة) للقصيرة لم تخرج

---

(١٣) الرجز لرؤية في ديوانه ١٢١ واللسان (جعبر طهمل) •
ويبدو لي أن مقالة الاقدمين بنسبة الوضع الاصطناعي اللغوي لرؤبة وأبيه العجاج لها ما يقويها ، وهو أن كثيرا من الغريب الذى جاء في ارجازهما لم يعرف عند غيرهما ، وان الكثير منه من ابنية غريبة ليست مشهورة في فصيح العربية وربما افتقرت الى خصائص الفصاحة الاخرى •

عن مادة (جعمر) والباء في (جَعْبَر) مبدلة بالميم .

وذكر ابن فارس :

ومن ذلك قولهم للحجر (جَنْدل) . فمن أن يكون نونه زائدة ، ويكون من الجَدْل وهو صلابة في الشيء وطَيّ وتداخل ، يقولون حلق مجدول . ويجوز أن يكون منحوتاً من هذا ومن الجند ، وهي أرض صلبة. فهذا ما جاء على المقاييس الصحيحة .

أقول : قوله : ان يكون نون (جَندل) زائدة ليس بصحيح فهي تعويض من الدال في (جدّل) بالتشديد . فان فك الادغام يؤدي الى هذا العوض وهو كثير في الفصيح وأكثر منه في العامي . وسنرى ذلك عند الكلام على الرباعي العامي .

ثم يختم ابن فارس كتاب الجيم بالمواد التي وضعت وضعاً وهي تلك التي لا يقول في بنائها شيئاً ومنها :

المجُلنظي الذي يستلقي على ظهره ويرفع رجليه ،

أقول : هذا البناء من الابنية الغريبة فان (اجلنظي) ليس على صيغة معروفة مشهورة وهو من الفرائد الرائب . ومثل هذا قولهم (اسلنقي) في المعنى نفسه واحبنطى للمنتفخ بطنه . والذي أراه ان هذه الافعال مما لا تدع شكاً في ان الوضع والاصطناع قد حدثا في العربية وان شيئاً كثيراً من ذلك كان من صنعة اللغويين .

ومثل هذا المُجلعِبّ والمُجلخِدّ للمستلقي أيضاً .

ويذكر ابن فارس في كتاب الحاء مما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة احرف(١٤) ما يأتي :

ومنه (الحُلقوم) وليس ذلك منحوتاً ولكنه مما زيدت فيه الميم ، والأصل الحلق . والحَلقَمة . قطع الحُلقوم .

أقول : هذا صحيح وزيادة الميم في هذه المادة واضحة ولكن ما بال ابن فارس لم يقل هذه المقالة في (بلعوم) وحسبها مما زيد فيه الواو والميم

---

(١٤) معجم مقاييس اللغة ١٤٣/٢ ـ ١٤٨ .

وليس كذلك فان حروف المد لا تعتبر من الاصول في ابنية الاسماء اذ لو كانت منها لكانت حلقوم خماسية وليست رباعية وهذا خلاف ما اتفق عليه •

وقــال :

ومنه (المُحلَنْقِين) من البُسر وذلك أن يبلغ الا رطاب ثلثيه • وهذا مما زيدت فيه النون ، وانما هو من الحلق ، كأن الا رطاب اذا بلغ ذلك الموضع منه فقد بلغ الى حلقه • ويقال له الحلُقان ، الواحدة حلُقانة•

أقول : كما يزاد الميم في آخر المواد الثلاثية لتكون رباعية كذلك يزاد النون في مواد كثيرة من اجل هذا • والفصيحة في هذا مثل العامية كما ستتبين ذلك في عرضنا للرباعي العامي •

وقــال :

ومن ذلك (احرنجم) للا بل ، اذا ارتد بعضها على بعض ، واحرنجم القوم اذا اجتمعوا • وهذه فيها نون وميم ، وانما الأصل الحرَج ، وهو الشجر المجتمع الملتف•

أقول : وهذا الفعل من الافعال التي كثر الاستشهاد بها في كتب الصرف واللغة ، ولكنها افتقرت الى الاستعمال المشهور ، والزيادة كما ذهب ابن فارس واضحة بينة • وأريد أن أزيد شيئاً وهو أن الفعل معروف في العامية البغدادية ، وعند العامة ان (حرجم) معناه ثبت في مكانه دون حراك لا يقوى على عمل أي شيء ، وفي هذا المعنى لمح لشيء من معناه في اللغة الفصيحة •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (تحترش) القوم : حشدوا والتاء فيه زائدة وانما الاصل الحرش والتحريش • وفيه ايضاً أن يكون من حتَر وأصله حتار الخيمة وما اطاف به من اذيالها فكذلك هؤلاء تجمعوا واطاف بعضهم ببعض فقد صارت الكلمة اذاً من باب النحت •

أقول : لم يكن ابن فارس على بينة من هذا الفعل ، فبينا هو قال بزيادة التاء عاد فمال الى القول بالنحت وللتوصل الى القول بالنحت سلك سبيلاً غير ممهد وتشبث بالضعيف من العلاقات المعنوية • وعندي أن زيادة التاء

أمر صحيح يدل على أنهم قالوا : حرَّشتَ بينهم اذا اغريتَ وألقيت العداوة •

ومن المفيد أن نذكر ان الفعل (تحترش) موجود في العامية العراقية ومعناه قريب من (حرَّشَ) المذكور وهو التقرب من احد من الناس بقصد الاذى واثارة العداوة والبغضاء •

وقال ابن فارس في كتاب الخاء مما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة احرف[١٥] : ومنه (المخرنطم) الغضبان • وهذه منحوته من خطم وخرط ، لان الغضوب خروط راكب رأسه • والخطم : الأنف ، وهو شمخ بأنفه • قال الراجز في المخرنطم :

ياهَيء مالي قَلِقَت محاوري وصار أمثال الفَغا ضرائري
مخرنطمات عُسُراً عواسري

والمخرنشم مثل المخرنطم •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (خردلت) اللحم : قطّعته وفرقته • والذي عندي في هذا أنه مشبه بالحب الذي يسمى الخردَل ، وهو اسم واقع فيه الاتفاق بين العرب والعجم وهو موضوع من غير اشتقاق • ومن قال خَرْذَل جعل الذال بدلاً من الدال •

أقول : هذه طريقة من طرائق صوغ الرباعي وهو اشتقاقه من أسماء الأعيان كما اشتق (خَرْدَلَ) من الخردل ، و (فَلْفَلَ) من الفُلفُل ، و (نَرجَس) من النرجس و (يَرْنأ) من اليَرْناء •

وقـال :

ويقولون (خَلْبَصَ) الرجل ، اذا فرَّ والباء فيه زائدة وهو من خَلَصَ • وقال :

لما رآني بالبَراز حصحصا في الأرض منّي هَرَباً وخَلْبَصَا

---

(١٥) معجم مقاييس اللغة ٢/٢٤٨ ـ ٢٥٤ •

أقول : يبدو لي أن الباء غير زائدة ، وان اللام هي الزائدة والأصل خَبَص لا خَلَص ، وفي (خَبَص) معنى الخلط والحيرة والذى يخبص هو الذى اختلط عليه الأمر • وقول الراجز :

• • • • • •   في الأرض مني هَرَباً وخَلْبَصا

يتخرج على هذا المعنى من الخلط والحيرة لا فرّ •

وبعدُ فالكلمة مما يستعمله عامة العراقيين في عصرنا في هذا المعنى الذى أشرت اليه •

وقـــال :

ويقولون (الخَنْبَصَة) : اختلاط الأمر • فان كان صحيحاً فالنون زائدة وانما هو من (خَبَص) ، وبه سُمِّيَ الخبيص •

أقول : وهذا من المادة السابقة والابدال بين اللام والنون كثير في العربية •

وقال ابن فارس :

و (الخرطوم) معروف ، والراء زائدة ، والأصل فيه الخطم •

أقول : هذا هو الوجه ، ولكن لِمَ قال بالنحت في (مخرنطم) و (مخرنشِم) وكلها متساوية في كونها من أصل ثلاثي زيدت فيه الراء •

وعندى أن الراء في هذه المواد جاءت تعويضاً من احد من حرفين بعد فك ادغامهما • ألا ترى ان (خطّم) بالتشديد حين يفك الادغام يحصل فيه هذا التعويض ، كما سنعرض لذلك في كثير من الافعال •

وفي كتاب الدال يذكر ابن فارس في باب ما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثـــة احرف موادّ على نحـو ما ذكـره في الحـروف الأخرى •

وهذه المواد بصورة عامة تحملني على القول : ان معجمات العربية في هذا الباب حفلت بالغريب المهجور الذى لم يسلم من الوضع والاختراع فانت واجد في هذا الباب كلمات يتيمة وأقصد باليتيمة ما لـم تدخـل في الاستعمال المشهور الفصيح ، ثم انها بعد ذلك غريبة الابنية تفتقر الى شيء

كثير من تناسق الاصوات وانسجامها •

لقد شك أهل البلاغة في لفظة (الهعخع) وذلك أن الكلمة الفصيحة عندهم ما تباعدت فيها مخارج الحروف كما قال الخليل • وفاتهم ان يقولوا شيئاً في اجلنظى واحرنبى واسلنقى والجلنفع والجخدب والبحزج والبرعس والبرقطة والحزنبل والحبوكر والحبلق واحبنطى والخبثعة والخثارم والدلمص والدملص والدفنس والادرنفاق والادعنكار والدهكم والدغفل ومثل هذا كثير نجده في جميع كتب اللغة المطولة •

وعندى ان جل هذا مما اصطنع اصطناعاً فبقي حبيساً في هذه المطولات• غير انى اخترت من مجموع هذا ما توسمت الصحة فيه ولا سيما ما وجد نظيره في لغتنا الحديثة فصيحة ام عامية •

ومما ذكره ابن فارس من كتاب الدال من هذا الباب : (الدعبل) وهو الجمل العظيم(١٦) وهو منحوت من كلمتين من دبلت الشيء اذا جمعته ومن عبل •

أقول ان هذه المادة ما زالت في عاميتنا (دعبل) ومعناها كور الشيء فصار كالكرة التى تتدحرج • وفي هذه الدلالات ما يشعر ولو قليلاً بالفصيحة القديمة •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (الدعثور) وهو الحوض الذى لم يتنوق في صنعته • وهذا مما زيدت فيه العين ، وهو من (دثر) • ويجوز ان يكون من (دعث) •

أقول : وعندي أنه من (دثر) أولى ، وذلك لان (الدعث) الحقد وبعيد هذا عن المعنى المتحصل بالزيادة • والذى يقوي عندى هذا المعنى ان المادة موجودة في عاميتنا الحاضرة (دعثر) والدعثرة في لسان اهل هذا العصر عدم التنوق في الملبس كقولهم علان مدعثر (بالبناء للمفعول) •

---

(١٦) الدعبل في المعجمات المطولة : الناقة القوية أو الشارف •

وذكر ابن فارس في كتاب الراء من هذا الباب[17] :

(رَعْبَلْتُ) اللحمَ رَعْبَلةً اذا قطعته • قال :

ترى الملوك حوله مُرَعْبَلَه[18] •

فهذا مما زيدت فيه الباء ، وأصله من رَعَل ، والرَعْلة ما يقطع من اذن الشاة ويترك معلقاً ينوس •

أقول : ان هذه المادة حية في العامية المتداولة في العراق (رَعبَل) ومعناها فقدان الحسن والتنوق في الملبس بحيث يبدو الرجل (مُرَعبَلا) فاقداً للرشاقة والانسجام أميل الى الضخامة والاتساع • وجملة هذه المعاني تقوى عندي ان هذا الفعل العامي صيغ على طريقة النحت من رَبَل وعَبَل وكلا الفعلين يدلان على التجمع والكثرة والانضمام ، وشيء من هذا المعنى ثابت لهذه المادة في المعجمات المطولة فالرِعبِلة ما أخلق من الثوب وثوب مُرعبل ممزّق ، وثوب رعابيل أخلاق •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (المُرجَحِنّ) وهو المائل ، فالنون زائدة لأنه من رَجَح •

أقول : وهذا صحيح وزيادة النون معروفة للمصير الى الرباعي •

وذكر ابن فارس في كتاب الراء من هذا الباب[19] :

فمن المشتق الظاهر اشتقاقه قولهم (الزُرْقم) ، أجمع أهل اللغة أن أصله من الزرق ، وان الميم فيه زائدة •

أقول : ان زيادة الميم في الآخِر مما جرت عليه العربية وهو في الكثير الغالب يراد به نوع من المبالغة فان (زُرقم) كما ذكر الليث[20] الشديد الزرقة ، قال : يقولون اذا اشتدت زرقة عين المرأة : انها لزرقاء زُرْقم • وزيادة الميم في آخر الكلمة مما جرت عليه العربية طبيعةً وذلك ان الميم مما يحسن أن يوقف عليه •

---

(١٧) معجم مقاييس اللغة ٢/٥٠٩ ــ ٥١٠ •

(١٨) ويروى أيضا مغربلة كما في اللسان (غربل) •

(١٩) معجم مقاييس اللغة ٢/٥٢ ــ ٥٥ •

(٢٠) اللسان (زرقم) •

وكما تزاد الميم في الآخر تزاد في حشو الكلمة نحو : (ازمَهرّ) في قولهم ازمهرّت الكواكب اي ازهرت ولمعت •

ومثل هذا (زمجر) فهي من غير شك من (زجر) •

وفي كتاب السين مما ذكره ابن فارس جاء :

(اسلَهَمّ) اذا تغير لونه فاللام فيه زائدة ، وانما هو من سَهُم وجهه يسهُم اذا تغير والاصل السُهام •

أقول : مثل هذا الفعل ما نجد في العربية الحديثة وهو (سَلْهَم) والمعنى واحد •

ومن ذلك (السِرْطِمْ) الواسع الحَلْق والميم زائدة وانما هو سَرَطَ اذا بلع •

أقول : هذا يؤيد ما ذهبنا اليه من زيادة الميم في الآخر للمبالغة •

وهكذا يستمر ابن فارس في ذكر ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف مبوباً ذلك على الأحرف التى تبدأ بها المواد •

وقد قلت : ان ابن فارس قد قال بالنحت في كثير من المواد ، ولكنه مع ذلك يقف حائراً في مواد كثيرة ايضاً ينعتها بأنها وضعت وضعاً ، ومعنى ذلك أنه لم يَر وجهاً من وجوه البناء وصيرورتها على أكثر من ثلاثة أحرف •

ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من الافعال الرباعية مما جرى على ألسنة العامة في بغداد أو في غيرها من صنع المعربين • أقول من صنعهم لانه لا نستطيع ان نعرف أصول تلك الافعال الرباعية ولا ما يقرب منها في الفصيح المشهور ، فقد ينطلق أحدهم ببناء من اربعة احرف على « فعلَلَ » يتصور فيه صاحبه ان عدة هذه الاصوات على هذا النحو تفيد اللغط والهذَر او ما اشبه ذلك • ربما كان هذا المعنى من باب حكاية الاصوات التى جرى بها اللسان •

وأنا لا اشك في أن الغرائب من المواد في العربية التى لم تخرج الى الاستعمال المشهور مصنوعة موضوعة ، وعلى هذا نستطيع ان نفسر كثيراً

من الرباعي العامي الذى ينطلق به اللسان ثم يكتب له الشيوع •

واذا أجلنا النظر في (جمهرة)[٢١] ، ابن دريد وجدنا مادة غريبة ذات ابنية غريبة وأن معنى واحداً تتوارد عليه مئات من الالفاظ • فاذا اخذنا شدة الخلق وقوة البناء في الانسان والحيوان كالجمل والناقة على سبيل المثال ، وجدنا طائفة كبيرة من الالفاظ تتناول هذا المعنى • وليست (الجمهرة) بدعاً بين كتب العربية فهي كلها تحوى من هذا الغريب الشيء الكثير •

ويبدو أن شيئاً كثيراً من هذا الغريب الذى لا يدل الا على معان يسيرة موضوع مفتعل •

وقد اورد السيوطي[٢٢] طائفة من هذا مما روي ولم يصح ولم يثبت ، والسبب في عدم ثبوت هذا النوع عدم اتصال سَنَده لسقوط راو منه ، أو جهالته ، او عدم الوثوق بروايته لفقد شرط القبول فيه • والسيوطي ينقل هذه الالفاظ من « الجمهرة » •

وكان ابو منصور الازهري صاحب « التهذيب » قد ذكر في « مقدمته »[٢٣] : « وممن الف في زماننا الكتب فرمي بافتعال العربية ، وتوليد الالفاظ ، وادخال ما ليس من كلام العرب في كلامها : ابو بكر محمد بن دريد صاحب كتاب « الجمهرة » وكتاب « اشتقاق الاسماء » ، وكتاب « الملاحن » وقد حضرته في داره ببغداد غير مرة فرأيته يروي عن حاتم والرياشي وعبدالرحمن بن أخي الأصمعي • وسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة عنه فلم يعبأ به ، ولم يوثقه في روايته • والفيته أنا على كبر سنه سكران لا يكاد يستمر على الكلام من سكره ، وقد تصفحت كتابه الذي أعاره اسم « الجمهرة » فلم أرِد ، لا على معرفة ثاقبة ، ولا قريحة جيدة ، وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة انكرتها ولم اعرف مخارجها فاثبتها في كتابى في مواقعها منه ، لأبحث أنا وغيري عنها » •

---

(٢١) ابن دريد : الجمهرة ، الجزء الثالث •
(٢٢) السيوطي ، المزهر ١/١٠٣ •
(٢٣) الازهري ، مقدمة التهذيب •

وقد دافع عنه السيوطي في « المزهر »[٢٤] فقال :

« معاذ الله هو بريء مما رمي به ، ومن طالع « الجمهرة » رأى تحريه في روايته » • غير ان السيوطي حين أثبت في « المزهر » ان في العربية ما لم يصح ولم يثبت ، أتى بشواهد كثيرة أخذها من « الجمهرة » • وسئل عنه الدار قطني[٢٥] : أثقة هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه »[٢٦]•

وقال حمزة : سمت ابا بكر الابهري المالكي يقول :

جلست الى جنب ابن دريد وهو يحدث ومعه جزء فيه ما قال الأصمعي ، فكان يقول في واحد : حدثنا الرياشي ، وفي آخر : حدثنا ابو حاتم ، وفي آخر حدثنا ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي ، كما يجيء على قلبه »[٢٧] •

وقال المسعودي في « مروج الذهب »[٢٨] : « وانتهى « ابن دريد » في اللغة وقام مقام الخليل بن احمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين » •

وبعد فاذا كان هذا مما يؤيد القول ان في العربية الفصيحة كما اثبتتها معجمات اللغة افتعالاً واصطناعاً وكذباً فحقيق بنا أن نقول : ان عامية اليوم لا تخلو من اصطناع وافتعال •

غير أن الافتعال في عاميتنا الحاضرة لم يكن كالافتعال الذى تعمده اللغويون الأقدمون وقصدوا اليه اظهاراً للعلم وادعاءً بالمعرفة ، بل ان هذا مما يجرى به اللسان عفواً وبداهةً •

وسأعرض للافعال الرباعية في العامية العراقية مبوباً المواد على النظام

---

(٢٤) السيوطي ، المزهر ١/٩٣ •

(٢٥) هو علي بن عمر ابن أحمد بن مهدي أبو الحسن البغدادي المعروف بـ الدارقطني الحافظ المشهور المتوفى سنة ١٣٨٠ ، انظر الخطيب البغدادي ١٢/٣٤ ، ابن خلكان (نشر محمد محي الدين عبدالحميد) ٢/٤٥٩ •

(٢٦) القفطي ، انباه الرواة ٣/٩٥ •

(٢٧) شرح مقصورة ابن دريد للخطيب التبريزي (دمشق ، المكتب الاسلامي) المقدمة •

(٢٨) المسعودي ، مروج الذهب ٤/٢٤٧ •

الابجدي ، شارحاً كيف تمت هذه الابنية موضحاً الطرق العامة التى جرت عليها العامية في بناء الرباعي •

حرف الباء

ومما جاء من الافعال الرباعية على ألسنة العامة مما أوله باء ما يأتي :

(بحرث) ومعناه يبحث عبثاً ويقابله في الفصيح « بحثر » كما أشرنا اليه عند الكلام على (بحثر) الفصيح • والعامية تجرى على القلب المكاني Métathèse لما كان من الفصيح ، وقد اسلفنا الكلام على هذا • وقد ذهب ابن فارس الى ان « بحثر » جاء من « بحث » و « بثر » • ولكنه عد في « بعثر » وقال انه ثلاثى « بثر » زيدت فيه العين وهي في الحقيقة مبدلة من الحاء •

ومن ذلك (بَحوَشْ) ومعناه في العامية حفر باصبعه قليلاً قصداً في البحث عن شيء •

ويبدو لي ان في هذا الفعل طريقة في بناء الرباعي وهي زيادة الواو ثالثة في البناء فالاصل الثلاثي هو « بحش » وهو من غير شك من (بحث) الفصيح على طريقة الابدال بين الشين والثاء •

ومن ذلك (بحلق) ويقابله في الفصيح (حملق) والحملقة معروفة في الفصيح وهى دوام النظر وتثبيته • والفعل العامي (بَحلَق) هو صورة من الفصيح بابدال الباء بالميم في الصيغة الفصيحة وبالتزام القلب المكاني •

ولابد من القول في طريقة بناء هذا الفعل ، ولما كانت الصورة الفصيحة هى التي ولدت الفعل العامي ، فان معنى ذلك ان الميم زيدت على الثلاثي (حلق) ، وهذا الميم صار باءً في العامية • والدلالة المعنوية التى يضيفها الفعل (حلق) لتكوين الرباعي هي ان دوام النظر يستدعي هذا الفعل الذي يفيد الاستدارة حتى يكون النظر شاملاً وافياً •

ومن ذلك (بَخنَقْ)(٢٩) ويرد في الاستعمال مزيداً بالتاء (تبخنق)

(٢٩) القاف الفصيحة تلفظ بالعامية بالكاف المفخمة التي تنطق كما ينطق الحرف اللاتيني G •

والمعنى هو وضع البُخْنُق وهو البرقع القصير • والفعل معروف في فصيح العربية • ويبدو أنه من الثلاثي (خنق) زيدت عليه الباء •

ومن ذلك (بربج) بمعنى استقر في فغدته واسترخى ، والتربُخ في فصيح العربية شيء مثل هذا • وليس من شك ان الفصيح هو (ربَخ) ولكن العامية تزيد كثيراً في صدر الفعل والزيادة من جنس عين الكلمة • ومن ذلك (بَربَع) بمعنى أكل حتى شبع ويستعمل مجازاً بمعنى أفـاد وانتفع • وهو كالفعل السابق آتٍ من الثلاثي (ربع) ومصدره « الربيع » ودلالته في العامية الزمان والمكان الذى يعمر فيه الربيع من خضرة وخير وفير • ثم زيد الباء في الاول وهو من جنس عين الكلمة •

ومن ذلك (بربد) بمعنى قوّض وحطم ولا نعـلم كيف تم هـذا الرباعي ذلك اننا لا نستطيع ان نقرب بينه وبين الثلاثي (ربد) الفصيح •

ومن ذلك (بربش) بمعنى يحاول النظر فلا يبصر بوضوح وكأن جفنيه يرمشان • ومن غير شك ان الاصل الثلاثي هو (رمش) ثم حصل الابدال بين الباء والميم وهذا كثير • ثم زيد الباء في الاول وهو من جنس عين الكلمة • ومن ذلك (برطل) بمعنى (رشا) من الرشـوة والاصل هو الاسم (البرطيل) اي الرشوة • والعامية كالفصحى تشتق الافعال من الاسماء •

ومن ذلك (بَرْطَم) بمعنى أن يُدلي الرجل شفتيه على نحـو ينبيء بعدم الرضا والغيظ • والبِرطام والبُراطم في فصيح العربية الرجل الضخم الشفة • وشفة بِرطام ضخمة • والبُرطُم في العامية الشفة الضخمة• وعلى هذا فالفعل مأخوذ من الاسم وما اكثر ما تصاغ الافعال من اسماء اعضاء الجسد في الانسان في الفصيح والعامي •

ومن ذلك (برقع) والقاف في النطق العامي كاف غليظة كما بينا • والفعل يعنى ألقى عليه البُرقُع ، والبُرْقُع معروف • ومثل هذا ما استعمل في الفصيح ، واشتقاق الفعل من الاسم •

ومن ذلك (بركش) وهو بمعنى خدع واحتال ، وليس لنا فعل فصيح يقرب من هذا • وأظنه مقلوب (كربس) مع الابدال بين السين والشين ،

والكربسة في العامية ان تدفع الرجل فتوقعه في هُوَّة • وليس شيء من الفصيح يقرب من هذا فالكِرْباس ثوب وهو فارسي معرب • ومن ذلك (بَسمَر) وهو بمعنى دق المسمار او سمر أو مسمر والباء ابدال بالميم والفعل مصوغ من الاسم وهو مسمار •

ومن ذلك (بعلج) وهو بمعنى أن يشتكى الرجل من ألم في بطنه • واظنه من (بعج) الفصيح وبعج البطن شقه • ثم زيدت اللام في العامية • ومن ذلك (بلبس) بمعنى صيره محتالاً شيطاناً ومن غير شك أنه مأخوذ من (ابليس) ثم زيد الباء في الاول ليجانس عين الفعل كما رأينا في انعال أخرى وهذا سبيل من سبل العامية في بناء الرباعي •

ومن ذلك (بَلْعَم) واستعماله بزيادة التاء في الاول (تبلعم) وهو بمعنى صار يبلع ريقه وذلك دليل على أنه مُحرَج لا يحير جواباً • واشتقاقه من البُلعوم وهو مجرى الطعام في الحلق وبلعم اللقمة أكلها •

ومن ذلك (بهـذل) بمعنى حقّر ووبّخ وهـو من (بذل) وفي الفصيح المشهور الابتذال والتبذّل ، وابتذال الثوب وغيره امتهانه • والتبذُّل ترك التصاون والمِبْذَلة الثوب الخَلَق والمبتذل لابسه •

وكأن العامي (بهذَل) من هذا بزيادة الهاء • وقيل انها منحوتة من (بَهـَل) و (بَذَل) وليس يثبت عندى هذا القول •

وفي كتب اللغة (البهذَلة) بالذال المهملة وتعني الخفة كما وتعني ضرباً من الطير أخضر وليس الفعل العامي من هذا ولا قريباً منه •

وقد يكون الهاء في (بهذل) العامية تعويضاً من الذال اذ الأصل في (بهذَل) (بذّل) بالتشديد ثم فك الادغام ثم عُوِض وهذه طريقة في بناء الرباعي في العامية كما سنرى •

وقد آثرت أن الحق الفعل (پرچم) وهو بالباء الفارسية المقابلة لـ P . اللاتينية وبالجيم الفارسية • وكان الطبيعي ان يلحق هذا الفعل بالافعال المبدوءة بالفاء ولكني الحقته بالافعال المبدوءة لان هذا الحرف يرسم بالباء كما في الفارسية • وهو من (پرچيم) الفارسية ومعناه عند النجارين ضبط الألواح بالمسامير •

حرف التاء

ومما جاء من الافعال الرباعية في العامية مما اوله تاء ما يأتي :

(ترخم) واظنه من (تركَم) وهذا من الركْم وهو جمع الشيء فوق شيء تجعله رُكاماً والرُكام الرمل المتراكم والسحاب المتراكم •

والفعل العامي يفيد ما يجتمع في الصدر من اخلاط عند الاصابة بالزكام • والخاء في العامية قد تقابل الكاف في الفصيح على سبيل الابدال •

ومن ذلك (تَشْرَن) وتشرن جلد الانسان أصابه نوع من الورم والتشقق نتيجة للبرد وربما جاء هذا من لفظة (تشرين) من اسماء الشهور •

ومن ذلك (تَرْيَع) وهو من (رَجَع) ومعناه تَجَشَّأَ وهو معروف وصيرورة الفعل رباعياً كان بزيادة التاء في الاول •

ومن ذلك (تَنْحَر) بمعنى الانتفاخ من الغضب وعدم الرضا •

حرف الجيم

ومن ذلك (جَرْبَن) بمعنى ادَّعى وتظاهر والحقيقة على عكس ذلك • وهو من (الجِراب) الكيس المعروف • وصوغ الرباعي كان بزيادة النون وقد رأينا ان الفصيح قد اعتمد هذا السبيل في بناء الرباعي •

ومن ذلك (جرذم) بمعنى سبب الجذام وهو الداء المعروف •

واظن ان الراء جاءت تعويضاً من الذال في (جذَّم) بالتشديد •

ومن ذلك (جعمر) وجعمر الشيء لم يعمله بضبط وانسجام فالشيء المجعمر هو الضخم الذى يفتقر الى التنوق والانسجام • وربما قاربه في الفصيح (جَعْبَر) والجَعْبَر القَعْب الغليظ الذى لم يحكمْ نحته •

وبين الفصيح والعامي ابدال بين الميم والباء •

ومن ذلك (جلفط) وهو من الجُلْفُطَّة وجمعها الجَلافيط وهي قطع اللحم التي لا تؤكل لاشتمالها على العروق والالياف والعصب • والفعل المصوغ من الاسم يستعمل مجازاً بمعنى لم يحسن الكلام نطقاً ومعنىً •

ومن ذلك (جَلْوز) بمعنى تكلم بما يحمل على الملق والزُلفي وهو

من الجلواز وهو فارسي معرب •

ومن ذلك (جَنْدل) وأصله من (جَدَّل) بمعنى اسقط. ولكن العامية تعوض من الدال الاولى بعد فك الادغام نوناً وهذا التعويض كثير في العامية قليل في الفصحى •

وقد آثرت ان الحق الافعال المبدوءة بالجيم الفارسية بهذا الحـرف للتشابه في الرسم • ومن ذلك (چقلب) وهو من (قَلَبَ) الفصيح زيد هذا الصوت الدخيل في أول الفعل • وهذا الفعل العامي معروف في غير العراق من البلدان العامية غير ان الحرف الزائد فيه هو الشين كما هي الحال في سورية ولبنان فيقولون (شقلب) •

ومن ذلك (چنگل) وهو رباعي مصوغ من الاسم (چنگال) بمعنى الكُلاّب •

حرف الحاء

ومن ذلك (حترش) واستعماله مزيداً بالتاء هو الغالب (تحترش) ويتحترش بغيره يتحرّش بهم أي يحتك بهم قصد اثارتهم او اغضابهم • وفي اللغة الفصيحة : تحترش القوم : حشدوا ، ويقال : سعى فلان بين القوم فتحترشوا عليه فلم يدركوه أي سعوا وعدوا عليه • امـا بناؤه على هيأة الرباعي فكان بزيادة التاء ثانية •

ومن ذلك (حترف) واستعماله مزيداً بالتاء كنظيره (حترش) هو الغالب • يقولون فلان يتحترف أي لم يستقر فهو متحرك لا يسلك سلوكاً مقبولاً فكأنه يثير هذا على ذلك متسبباً في احداث بلبلة وعدم استقرار •

وفي المعجم : حرف عن الشيء يحرِف حرفاً وانحـرف وتحرّف عَدَل •

ومن ذلك (حرجم) بمعنى ثبت في مكانه حائراً مندهشاً لا يحير جواباً ، وأكثر ما يكون ذلك من الغبي • وعندى أن هذا الفعل جـاء من (حرج) ثم زيدت عليه الميم في الآخر كما رأينا في غير هذا المكان • وفي

فصيح العربية حَرجَمَ الابل ردّ بعضها على بعض واحرنجمت اذا رددتَها فارتد بعضها على بعض واجتمعت •

ومن ذلك (حَكْرَش) واستعماله مزيداً بالتاء فيقولون فلان يتْحَكْرَش ويقصدون به ماقصدوا بـ (يتحترف) السابق • واظنه مقلوب (يتحركش) ، واذا كان هذا فهو من (حرك) وزيادة الشين في الآخر ذات دلالة معنوية مهمة • وهذه أول مرة نعرض فيها لمثل هذه الزيادة فالشين تشير الى كلمة (شيء) وهذه الكلمة ترمز للقلة ، ومعنى ذلك انه يتحرك حركةَ مّا ، أي حركة قليلة ، وهذا من سبل العامية المعروفة في تكوين الرباعي وغير الرباعي • وربما كان شيء منه في الفصيح غير ان اهل اللغة لم يعرضوا لهذا بشيء من البحث • الا ترى ان الفعل العامي (دَقَّش) بنطق القاف كالكاف الثقيلة يعني انه دقّ قليلاً قليلاً • ولذلك يستخدمون هذا الفعل للمبتديء في تعلم مهنة من المهن او مادة من المواد او درس من الدروس •

ومن ذلك (حلفص) بمعنى تحرك • يقولون (فلان ما يحلفص) على سبيل العامية اى لم يعد في طوقه الحركة والهروب • واظنه من (خلص) مع الابدال ثم زيدت الفاء حشواً •

ومن ذلك (حَصْرَم) فيقولون : الدم يحصرم في الاصبع أي يتجمع ويظهر من خلال الجلد نتيجة لرض الاصبع او سقوط شيء ثقيل عليه مثلا • وهذا من غير شك من مادة (حصر) ثم زيدت الميم وقد تكون من الحِصرِم وهو حب العنب قبل ان ينضج • وقد يرد في الاستعمال مقلوب هذا الفعل وهو (حَرْمَص) •

ومن ذلك (حَسقَل) فيقولون : فلان يحسقل القضية أي أنه لا يبذل في الصرف • فهي شيء من (بَخِلَ) والكلمة مأخوذة من (حسقيل) من الاعلام العبرانية التي اختص بها اليهود قديماً وحديثاً • وكأن في هذا اعترافاً ضمنياً ان (حسقيل) رمز لليهودي بصورة عامة الذى من خلقه الاقتصاد والبخل •

ومن ذلك (حقرص) وتنطق القاف كافاً ثقيلة • وفلان يتحقرص أي لايثبت في قعدته ، وليس بينها ومادة (حرقص) الفصيحة علاقة

فالحرقوص في الفصيحة دوّيبة صغيرة تقرص وتشقق الاغشية الجلدية .
ويبدو أن في المادة الفصيحة الاصل الثلاثي (قَرَص) ثم زيدت الحاء اولاً مع شيء من القلب .

ومن ذلك (حَنْبَط) بمعنى اظهر الانتفاخ من الغضب ، وهو بزيادة النون ، وقد يكون النون تعويضاً من الباء بعد فك الادغام في (حبَّط) ومادة (حبط) في الفصيح تعنى الانتفاخ ، وحبِط جلده وَرِمَ .

وعندهم : احبنطأ الرجل انتفخ بطنه . قال ابو زيد المُحبَنْطِيء مهموز وغير مهموز الممتلىء غضباً .

ومن ذلك (حَنْدَل) واستعماله مزيداً بالتاء (يتحندل) هو الكثير الغالب . ومعناه (يتعلق) و (يتأرجح) يقال للطفل الذى يعلق نفسه على حامل من خشب او حديد . والنون فيه تعويض من الدال بعد فك الادغام في (حدّل) ومادة (حدل) الفصيحة تفيد الميلان بصورة عامة فالاحدل هو المائل كما قال الفرّاء وربما كان بين العامي والفصيح نوع من العلاقة .

ومن ذلك (حَنْفَش) يقولون حنفش الولد على صاحبه بمعنى توثب وانتصب كما يفعل الديك مثلاً حين يتهيأ لمخاصمة ديك آخر . والنون من غير شك زائدة . وفي الفصيح احرَنْفَشَ الديك تهيأ للقتال وأقام ريش عنقه . وقد يكون الفعل العامي من كلمة (حنفيش) التي تعني الحيّة العظيمة الضخمة الرأس .

حرف الخاء

ومما جاء من الافعال الرباعية مما أوله خاء ما يأتي :

(خربش) واظن أن الباء فيه مبدلة بالميم فالاصل (خرمش) وزيادة الراء فيه واضحة والأصل (خمش) . وربما كانت الراء تعويضاً من الميم في (خمّش) بالتشديد بعد فك الادغام . ومعنى الفعل لا يخرج عن معنى الثلاثي (خمش) فيقولون : يخرمش الصغير باظافره كما تخرمش القط .

ومن ذلك (خربص) وهو من الخبص بمعنى الاختلاط نحو : تخربص الخيط ، بمعنى اختلط فلم يعرف رأسه • والراء زائدة وقد تكون تعويضاً على نحو ما أشرنا اليه في الفعل السابق •

ومن ذلك (خربط) ومعناه يقرب من الفعل السابق والخَرْبطة الفوضى وعدم النظام • وبناء الفعل اما يكون على طريقة النحت بين (خلط و (خبط) بعد ابدال الراء من اللام الاصلية • وأما ان يكون الراء تعويض من الباء في (خبّط) بالتشديد بعد فك الادغام •

ومن ذلك (خرخش) بمعنى احداث صوت يشعر به من اجتماع الخاء والشين فالاصل (خشّ) ثم زيدت الراء والخاء •

ومن ذلك (خرطش) ومعناه (خرط) والخرط نزع الاوراق من الشجرة او نزع القشور او ما أشبه • والاصل الفصيح (خرط) ومجال استعماله واحد فيقال خرط العود والشجر واللحاء وما اشبه ذلك •

وزيادة الشين في الآخر ترمز لـ (شيء) والشيء يرمز للقلة فكأن (خرطش) أقل من (خرط) في المعنى •

ومن ذلك (خرطم) وهو من (خرط) بزيادة الميم ومعناه خرط ولكن بغير انتظام فكأن العنقود المخرطم هو الذى لم يخرط جميع حبه • وربما استعمل في مجالات أخرى كأن يقال في طفل مليء وجهه بالبثور والدمامل (تخرطم وجهه) • وفي فصيح العربية (خرطمه) اصاب خرطومه او عوّجه والمخرنطم الغضبان المتكبر والأصل في الرباعي الفصيح الاسم (خُرطوم) •

ومن ذلك (خَرْمَش) وقد أشرنا اليه في (خَرْبش) •

ومن ذلك (خنزر) ومعناه خَزَرَ بقوه وليس من شك ان النون تعويض من الزاء في (خزّر) المضعف بعد فك الادغام • والتعويض بالنون كثير في العامية قليل في الفصيح كما سنتبين •

ومن ذلك (خَنْطَل) يقال خَنْطَل) الولد بمعنى كُسِف وكسرت نفسه • والنون من غير شك كالنون في الكلمة السابقة فهي تعويض • والأصل الفصيح قد يبتعد عن هذا المعنى فان (الخَطْل) هو المضطرب •

اما الخنطيلة فهى القطعة من الابل والبقر والسحاب وهذا شيء آخر .

ومن ذلك (خنفر) بمعنى تفتح منخرا الرجل في وضع خاص يحمل على الدهشةوالانفعال او الخوف او الغضب . والنون من غير شك تعويض من الفاء في خفَّر بالتشديد بعد فك الادغام . ومقلوب هذا الفعل (فنخر) في معناه . والاصل الفصيح (خفر) لا يعين على هذا المعنى المتحصل في الرباعي العامي . غير ان في معجمات العربية (خُنافْر) اسم رجل .

ومن ذلك (خَرْوَط) وهو بمعنى (خرط) والواو من غير شك زائدة حشواً .

حرف الدال

ومما جاء في كلام العامة مما أوله دال من الافعال الرباعية ما يأتي :

(دحلب) بمعنى دلف الى مكانه دون أن يشعر به . والأصل الثلاثي هو (دلب) والحاء زيدت حشواً و (دلب) هي (درب) بابدال اللام بالراء وفي الفصيح (ادرب) اي دخل الدرب وقد يكون في هذا المعنى شيء نستطيع به فهم الفعل العامي .

وربما استطعنا لمح أصل هذا الفعل في (دَحَبَ) . وفي اللغة الفصيحة يعنى هذا الفعل (دَفَعَ) ، ودحب الرجل دفعه ، والفعل (دحَبَ) فصيح عامي ولكنه في العامية يكون (دحم) ، ولهذا كان من اعلام العامة (دحّام) بتشديد الحاء على (فعّال) وكأنه صيغة مبالغة . وهذا الاسم لا يكون الا عند العوام ذوى الاصول البدوية .

ومن ذلك (دربك) وهى تعنى دق الطبل او الطبطبة بصورة عامة . والاصل الثلاثى هو (دَبَك) والراء زائدة وزيادتها حاصلة من التعويض من الباء في (دبَّك) بالتشديد بعد فك الادغام .

ومن ذلك (دَرْدَش) بمعنى تحدث بصوت خافت في شؤون شتى . ولا نعلم اصله الثلاثي فليس هناك علاقة بين المتحصل من الرباعي وبين الثلاثي الفصيح (دَرَد) والدَرَد في اللغة ذهاب الاسنان .

ومن ذلك (دَرْدَم) ومعناه هو معنى الفعل السابق • ولا نستطيع أن نتبين اصله الثلاثي بوضوح • فقد يبدو أنه منحوت من (دَرَدَ) أي ذهبت اسنانه و (دَرِم) ومعناه تحاتت اسنانه • ويتخرج عن هذا أن من ذهبت اسنانه وأتحاتت لا يفصح في الكلام • وفي (دَرْدَم) العامي شيء من هذا المعنى •

ومن ذلك (دَرْدَق) وهو يعنى حكاية صوت الضحك ، او حكاية صوت الماء ينصب من مكان الى آخر •

ولم اهتد الى أصل ثلاثي يرجع اليه هذا الرباعي ، وربما كان موضوعاً على أربعة احرف قصداً في حكاية هذا المعنى •

ومن ذلك (درفَع) ومعناه (دفع) والراء فيه زائدة وهي تعويض من الفاء في (دفّع) بالتشديد بعد فك الادغام •

ومن ذلك (درمك) يقال : درمَك الثوبَ بمعنى وسّخَه بحيث صارت فيه بقع من القذر والوسخ • ولم اهتد الى شيء من أصل ثلاثي لهذا الفعل •

ومن ذلك (دَعْبَل) ومعناه جعل الشيء على هيأة الكرة ودحرجة هذا الشيء أيضا • والاصل الثلاثى لهذا الفعل هو (دَبَل) ، وفي فصيح العربية دَبَل الشيءَ جمعه ، كما تجمع اللقمة بأصابعك ، والتدبيل تعظيم اللقمة وازدرادها • وربما كان هذا الاصل الذى جاء منه (دَعْبَل) العامي، ومعنى ذلك ان العين زائدة • وليس من علاقة بين (دِعْبِل) ويعنى الناقة المسنة وهذا الرباعي العامي •

ومن ذلك (دعثر) بمعنى لم يُعن بلباسه من حيث النظافة والنظام • وأكبر الظن ان الاصل الثلاثي هو (دثر) والعين زائدة • وفي فصيح العربية (سيف داثر) بعيد العهد بالصقال والدَثَر بفتحتين الوسخ وقد دَثَر دثوراً اذا اتسخ •

ومن ذلك (دلغم) بمعنى عبس وتجهم وجهه ، والاصل الثلاثي لهذا هو (دغم) ثم زيد اللام • وفي فصيح العربية الدُغْمة والدَغَم من الوان الخيل : ان يضرب وجهه وجحافله الى السواد مخالفاً للون سائر جسده •

والادغم في العامية ما مال الى السواد وهو لون غير حبيب الى النفوس •
ومن ذلك (دَنْبَس) بمعنى شَكَّل بالدَبوّس والدَبوّس معروف • ومن غير شك ان الفعل مأخوذ من اسم هذه الآلة ، ومعلوم ان العامة تفك ادغام الباء في (دبّوس) وتعوض النون من الباء الاولى فيكون (دنبوس) ثم اشتق الفعل الرباعي من هذه الصيغة فظهرت النون فيه •

ومن ذلك (دنفش) بمعنى انتفش مزهواً • ويبدو أن الاصل الثلاثي هو (نفش) ثم زيدت الدال في اول الفعل •

ومن ذلك (دَهْرَب) ومعناه (دحرج) والأصل الثلاثي هو (دَرَبَ) والفعل مشتق من الاسم (دَرْب) والكلمة من الاصول المشتركة بين الفصيح والعامي • والهاء فيها زائدة أو انها تعويض من الراء في (درّب) بعد فك الادغام •

حرف الذال

ومما جاء من الرباعي في العامية العراقية مما أوله ذال ما يأتي :
(ذَرْبَن) ومعناه فسد واتسخ وهو من الذَرْب وفي اللغة الفصيحة : امرأة ذَرْبَة او الذَرِبة الصخّابة السليطة اللسان الفاحشة • وفي هذا الاصل الفصيح قرب من الفعل العامي •

ومن ذلك (ذَرْنح) وأكثر استعماله مزيداً بالتاء (تَذَرنَح) ومعناه تكلف الضعف والعجز وعدم الاستطاعة •

حرف الراء

ومما جاء من الرباعي مما اوله راء في هذه العامية ما يأتي :
(رَسْمَل) ومعناه معروف ، فهو من الفاظ التجارة أي أن البضاعة المبيعة لم تخسر ولم تربح وبلغت رأس المال • وطريقة بناء هذا الفعل أنه اخذ من هذا الاسم المركب ، وذلك لان العامة او قل أهل هذا الفن قد ركبوا الاسم حتى ظهر التركيب في الرسم فقالوا (راسمال) بغير همز (راس)

ومن هذا المركب جاء الرباعي فعلاً شهيراً في الاستعمال الحديث •

أقول : ان هذا المركب اعتبر كلمة واحدة ولذلك جمعه أهل التجارة والباحثون في علم الاقتصاد الحديث على (**رساميل**) •

ومن ذلك (رَعْبَل) والمرعبل بزنة اسم المفعول هو من لا يعنى بلباسه وهيأته بصورة عامة • وفي اللغة الفصيحة رَعْبَل الثوب فترعبَل : مزّقه فتمزق ، والرعبولة : الخرقة المتمزقة وثوب مُرَعْبَل ممزق • وامرأة رَعْبَل أي ذات خُلْقان •

ولست على يقين من الاصل الثلاثي لهذا الفعل الرباعي ذلك أن (رَبَلَ) الثلاثى بعيد في معناه عن الرباعي واستعماله •

ومن ذلك (رَعْوَط) بمعنى (شقّ) مع إحداث صوت واضح هو صوت الشق والمشقوق الذى يناله هذا الفعل هو القماش والجلد ونحوه •

والاصل الثلاثي هو رعط ومعناه (شق) والواو زيدت حشواً فيه • وأظن أن هذا الفعل من حكاية صوت الشق وليس له اصل فصيح •

ومن ذلك (رقطش) وتلفظ القاف كافاً ثقيلة كالكاف الفارسية • ومعناه (يرقّط) أي يحدث النقاط والبقع على القماش او الجلد او نحوه بقصد التزيين وهى من الفاظ أهل الصناعة • والشين زيدت في آخر الفعل لحاجة معنوية فقد تكون رمزاً لـ (شيء) والشيء يشير الى القلة في العامية في افعال عدة • وقد يكون الفعل منحوتاً من (رقط) و (رقش) •

ومن ذلك (رَهدَن) والرَهْدَنة الأناة والتروي ، والمُرَهْدَن هو المستقر في مكانه والمرتب في اموره عامة • اما (الرَهْدَن) الفصيح فهو الاحمق ، وهذا من العجب في البعد بين العامية والفصيحة •

ومن ذلك (رَهْوَل) أي سال منه اللعاب • وهو الرُوال من الفصيح بمعنى اللعاب • وعندي ان الهاء تعويض من الواو في (روّل) بالتشديد بعد فك الادغام • ومن العجيب ان الفعل الفصيح (روّلَ) لا يعنى (سال اللعاب) اذ يقال : روّل الخبز بالسمن والوَدَك ترويلاً اي دلكها دلكاً شديداً •

ومن الافعال الرباعية التي اولها زاء مما جرى في العامية ما يأتى .

(زحلف) بمعنى أزاح قليلاً وهي من (زحف) واللام زائدة حشواً • والفعل مما شاركت به العامية الفصيحة واستعماله في الفصيح كاستعماله في العامية •

ومن ذلك (زحلق) والقاف تنطق كافاً ثقيلة كأنها حرف G اللاتينية • والزحلقة مثل الزحلفة ، وهى الدحرجة قليلاً • وهى فصيحة ايضا • واللام فيها زيدت على الأصل الثلاثي •

ومن ذلك (زَعْبَل) يقال (الطفل يزعبل بلُعَبه) اي يعبث ويكسّر ويتلف • ويزعبل الرجل اي لا يعمل عملاً منظماً مثمراً • والزعبلة الاتساخ والفوضى • واظن ان الفعل اقيم على مادة (زبل) والزِبْل والزبالة الفضلات التى تُرمى عامة ، وفي الفصيح الزِبْل : السرقين • وقد تكون العين تعويضاً من الباء في (زبّل) بالتشديد بعد فك الادغام •

ومن ذلك (زغلط) يقال زغلط في اللعب بمعنى لم يصدق في اللعب • والفعل منحوت من (ز غل) و (غلط) • وليس شيء منها في الفصيح •

ومن ذلك (زنبر) يقال (زنبر وجهه) أي احمرّ والتهب من تأثير الحرارة او الشمس • وهو من (زبّر) بالتشديد والنون تعويض من الباء بعد فك الادغام •

من ذلك (زنعر) أي صاح بصوت يشبه صوت الحمار • وهو من (زعّر) والنون تعويض من العين بعد فك الادغام •• ويبدو أن (زَعَر) الثلاثي هو من (زأر) بالهمزة ثم حصل الابدال •

ومن ذلك (زهلق) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة • والمزهلق بزنة اسم الفاعل ما علته الزهلقة وهي لزوجة كريهة علامة فساد الشيء ان كان مما يؤكل •

ومما جاء من الرباعي مما أوله سين في عاميتنا الحاضرة ما يأتي :
(سربت) وهو بمعنى صرف وطرد وأبعد ، يقال : سربت الرجل الخادم أي صرفه وأبعده • ومن غير شك أن الأصل الثلاثي في هذه المادة هو (سرب) والسارِب في فصيح العربية الذاهب على وجهه في الأرض ، والسُرْبة بالضم المذهب والطريقة • ونتبين من هنا ان التاء زيدت للمصير الى الرباعي • وزيادة التاء كسعاً واردة في العامية •

ومن ذلك (سربس) وهو بمعنى جعله يسرب في الماء أي يسري على سطح الماء • وهذا الفعل كنظيره الفعل السابق من أصل ثلاثي هو (سرب) وقد اسلفنا الكلام عليه • والسين الاخيرة زيدت كما زيدت التاء في الفعل السابق • ومن ذلك (سروط) وهو بمعنى (استرط ومعنى ذلك أن الأصل الثلاثي هو (سرط) ومعناه معروف ، والواو زيدت حشواً •

ومن ذلك (سريف) ومعناه ترطب كثيراً وجرى ماؤه • ويبدو أن الأصل الثلاثي الذي ابنى عليه الرباعي هو (سرف) • وفي استعمال مادة (سرف) الفصيحة شيء يثبت هذا الاصل الثلاثي ، فقد جاء : ذهب ماء الحوض سَرَفاً أي فاض من نواحيه • وعلى هذا فان الياء زيدت حشواً للتصير الى الرباعي •

ومن ذلك (سكتر) وهو بمعنى (سربت) الذي سبق ذكره أي صرف وأبعد وطرد • ولم نستطع أن نعرف الأصل الثلاثي الذي جاء منه على كثرة ما قلّبناه على وجوهه كلها •

ومن ذلك (سلطن) أي جعله سلطاناً أو صيره سلطاناً ، والسلطان هنا ليس مصدراً كما في اللغة الفصيحة أي بمعنى السلطة بل هو بمعنى صاحب السلطة أي ما يقابل الملك أو الأمير كما استعمل عند العثمانيين في هذه الدلالة •

وكان ينبغي أن اعرض لهذا الفعل مع الأفعال التي اشتقت من اسماء الأعيان وسيأتي الكلام عليها • ولما كان لهذا الفعل العامي فعل فصيح

يشترك واياه في المادة نفسها (سلط) آثرت أن ادرجه هنا .

وقد زيدت النون على الثلاثي فصار رباعياً وهي النون في (سلطان) نفسها . ومثل هذه النون ما سيأتي ذكره في أفعال رباعية أخرى .

ومن ذلك (سلقط والقاف فيه تلفظ كافاً ثقيلة جرياً على العامية العراقية . وهو بمعنى (اسقط) أو (ألقى) . ومن هنا يتبين أن الأصل الثلاثي هو (سقط) ثم زيدت اللام حشواً في الفعل .

ومن ذلك (سلهم) يقال (سلهم العين) بمعنى كان ناعس الطرف ، والأصل الثلاثي بنى عليه الرباعي (سهم) والسهوم في العربية العبوس ، ورجل مسهم الجسم ذاهبه في الحب . ويتبين من هذا ان اللام زيدت حشواً كما هو الحال في الفعل السابق .

ومن المفيد أن نشير الى ان (سَلْهَم) كجعفر : الضامر والطويل . والناقة من المرض ، وليس هذا مما نحن فيه من العامية (سلهَمَ) . ولكن هذا (المسلهِمّ) المتغير . وقد اسلهَمَّ لونه .

ومن ذلك (سَنْكرَ) وهو يقال لمن كان في سورة الغضب يبدو وكأنه في سكرة . والأصل الثلاثي هو (سكر) والنون زائدة وقد تكون تعويضاً من الكاف في (سكرّ) بتشديد الكاف بعد فك الادغام .

حرف الشين

ومما جاء من الرباعي مما أوله شين في اللغة العامية ما يأتي :

(شخبط) وهو بمعنى أحدث خطوطاً غير منتظمة وكتابات غير مفهومة .

والنحت واضح في هذا الرباعي ، فهو من (شخط) و (خبط) ومعنى (شخط) مثل (خطّ) الفصيح ويبدو أنه من باب حكاية الصوت لعملية الخط . والخبط معروف وهو الضرب .

ومن ذلك (شربك) بمعنى ربط وأعاق وهو منحوت من (شرك) و (شبك) ومعنى (شرك) في العربية الفصيحة حبائل الصيد التي تنشر فيقع فيها الطائر مربوطاً ، وشبك شيء يشبه هذا .

ومن ذلك (شعبط) بمعنى مزّق وشقّق وهو منحوت من (شعط) و (عبط) والفعل الاول حكاية للصوت الذي يحدث من شق الجلد أو القماش • ومعنى (عبط) شيء مثل هذا ، ففي فصيح العربية : عبط الذبيحة نحرهـا •

ومن ذلك (شعوط) يقال شعوط الخبزَ أو اللحم أي مسّه الشعواط ، والشعواط في لغتنا العامية رائحة الاحراق ، فكأن (شعوط الخبز) احرقه بحيث ظهرت رائحة الحرق • ومنه (شوّط الصقيع النبت)[٣٠] في الفصيحة أي أحرقه ويتبين من هنا أن مادة (شوط) هي الاصل الذي جاء منه الرباعي ، ثم زيدت العين حشواً •

ومن ذلك (شَلْتَغ) بمعنى سلك سلوك المحتالين • ولم نهتد الى الاصل الثلاثي الذي بنى عليه الرباعي • ويبدو لي أن الفعل أخذ من مادة أعجمية • ولا نعرف شيئاً يقرب من هذه المادة في الاستعمال العامي أو الفصيح الا أنهم يطلقون (شِلتاغ) بكسر الشين على أنه علم للمذكر في عصرنا هذا ، وأكثر ما يكون ذلك عند القرويين من أهل جنوبي العراق ومؤنثه شِلتاغة •

ومن ذلك (شَلْوَط) بمعنى ضربه على رجليه ضربات مؤذية • ويبدو ان مادة (شوط) هي الأصل الثلاثي الذي جاء منه الرباعي واللام زيدت حشواً •

يقال في عربيتنا الفصيحة : شوّط اللحمَ انضجه ، وشوّطَ القِدرَ اعلاها •

ومن ذلـك (شنبط) بمعنى انتفش من الغضب ونزا • وهـو من (شبط) في العامية بمعنى (نزا) والنون تعويض من الباء في (شبّط) بتشديد الباء بعد فك الادغام • وأكبر الظن ان الفعل الثلاثي مأخوذ من

(٣٠) « اللسان » شوّط الشيء لغة في شيطه • وشاط الشيء شيطا وشياطة احترق ، وخص بعضهم به الزيت والرب • وشاطت القدر شيطا احترقت ، وحوّط القدر وشيّطها اذا أغلاها •

(شبوط) وهو ضرب من السمك في العراق يكون دقيقاً في جملته بالنسبة الى اضروب الاخرى • ومما يؤيد هذا أنهم يتبعون في استعمالهم العامي هذا الفعل بفعل آخر يقرب منه في أصوله الصوتية ومعناه فيقولون (شبط لبط) للدلالة على النزوان والوثوب السريع • والاتباع في العامية كثير ، وربما كان الاتباع في الفصيحة شيئاً من بقايا اللغات الخاصة التي لا ترقى الى اللغة المهذبة العالية •

ومن ذلك (شنتر) واستعماله مزيداً بالتاء (تشنتر) هو الغالب ، وهو بمعنى لم يظهر كالرزين الوقر ، وانما كان فيسلوكه خفة ورعونة • وليس بين المادة الفصيحة والعامية علاقة معنوية • يقال في الفصيح : شنتر ثوبه أي مزّقه ومادة (شتر) تعني الشق •

ومن ذلك (شنتف) يقال: شنتفالثوب فهو مشنتف أي قصير مُلَملم• ويبدو أن الأصل الثلاثي هو (شنف) ثم زيدت التاء حشواً • وفي الفصيح : شَنَّف الجارية أي جعل لها شَنْفاً أي قُرطاً في أُذنيها •

ومن ذلك (شنهق) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة ومعناه احدث أصواتاً مزعجة • وربما كان الفعل منحوتاً من (شهق) و (نهق) والشهيق معروف، وهو التنفس ، والنهيق صوت الحمار •

ومن ذلك (شيمص) بمعنى هرب ، والأصل الثلاثي (شمص) وهو معروف في العامية والفصيحة ، ثم زيدت الياء ، وأكبر الظن أنها تعويض من الميم في (شمّص) المضعف بعد فك الادغام • يقال في الفصيح : شَمص الدوابَ أي طردها طرداً نشيطاً أو عنيفاً •

حرف الصاد

ومما جاء من الرباعي مما أوله حرف الصاد ما يأتي :

(صخمن) وهو من الصخام أي السخام في اللغة الفصيحة وهو ما يعلق على ظاهر القدر من مادة سوداء • والمادة الثلاثية هي (صخم) زيدت النون في الآخر فصارت رباعية • ومن المفيد أن نشير الى أن الصاد تبدل بالسين كلما جاورت الخاء في النطق العامي • فالعامي يقول

(صِخي) ويريد بهـــا (سَخي) ، ويقول (مصْخنة) ويريد بهـــا (مسِخَنة) ويقول (صْخونة) ويريد بها (سخونة) وغير هذا كثير • وقد جاء شيء من ذلك في اللغة الفصيحة فقد ورد الصَخَب والسَخب • وقد يؤدي هذا الابدال تغييراً في الدلالة كما في (صخمته الشمس) أي لفحته •

ومن ذلك (صرگع) بالـكاف الثقيلة وهي القاف في اللغة الفصيحة • واكثر ما يستعمل هذا الفعل مزيداً بالتاء (تصرگع) ومعناه خاف كأنمـــا صعق صعقاً وهو من (صقع) ومعناه (ضرب) والراء فيه زائدة أو هل تعويض من القاف في (صقّع) بالتشديد بعد فك الادغام • والصرقعة في فصيح العربية تعني الفرقعة •

ومن ذلك (صفرج) أي صار مائلاً للصفرة ، ومعنى ذلك ان الجيم زيدت للمصير الى الرباعي • ويبدو لي ان الجيم مبدلة بالشين الذي يرمز لـ (شيء) وهو يرمز للقلة •

ومن ذلك (صفرن) وهو كالفعل السابق في افادته الميل للصفرة والنون زيدت كسعاً للمصير الى الرباعي •

ومن ذلك (صلمع) أي صيره كالاصلع عند حلق شعره • والأصل الثلاثي الذي بني عليه هذا الرباعي هو (صلع) والميم زيدت حشواً • وهذه الزيادة في الفصيحة أيضاً •

ومن ذلك (صنبر) بمعنى أظهر وادعى والأصل الثلاثي هو (صبر) والنون تعويض من الباء في (صبّر) بالتشديد بعد فك الادغام •

والذي نقول ان الباء في الفعل ابدال بالواو فالأصـل الفصيح هـــو (صوّر) بتشديد الواو ثم حصل الابدال في اللسان العامي الدارج كمـــا حصل بذلك شيء من الجديد في الدلالة •

ومن ذلك (صندح) يقال صندحه الحلاق أي حلق شعره وجعله مصندحاً أي كالمسطح أو كالأصلع • ومن غير شك ان الثلاثي فيه هو (صدح) والنون تعويض من الدال في (صدح) بالتشديد بعد فك الادغام • وفي فصيح العربية (الصندح) الحجر العريض •

حرف الضاد

ومما جاء من الرباعي مما أوله ضاد في العامية العراقية ما يأتي :
(ضجور) بمعنى أضجر والواو زيدت حشواً للمصير الى الرباعي •
ومنه (ضولع) بمعنى (ضلع) في مشيته والواو زيدت حشواً •

حرف الطاء

ومما جاء من الرباعي مما أوله طاء في العامية العراقية ما يأتي :
(طربق) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة بمعنى أحدث اصواتاً مزعجة ، وهو من الطرق والطبطبة وكلاهما يفيد الصوت • وينجم عن هذا أن (طربق) منحوت من هذين الأصلين •

ومن ذلك (طرخم) يقال (طرخم) صدره أي امتلأ من اخلاط السعال • واظنه من (ترخم) أي أن الطاء مبدلة بالتاء ، و (رخم) من (ركم) •

ومن ذلـك (طرطب) أي بلل بالمـاء وهو من (رطب) والطـاء زائـدة في أول الفعل •

ومن ذلك (طنبر) بمعنى ظهرت أمارات عدم الرضا والغضب على وجهه ، أو كأنه انتفخ مما به من كدر • والنون زائدة على طريقة التعويض• وفي الفصيح (طَنْبَلَ) تحامق بعد تعاقل • وليس من علاقة في الدلالة بين الفصيح والعامي •

ومن ذلك (طهمج) والمطهمج هو السمين القبيح • وفي الفصيح من العربية (الطَهْمَل) الجسم القبيح الخلقة • ولم نهتد الى الأصل الثلاثي الذي جاء منه •

حرف العين

ومما جاء من الرباعي في اللغة العامية مما أوله عين ما يأتي :
(عثول) بمعنى لا يعمل عملاً ذا نتيجة أي يعبث ، وقد يأتي بمعنى

(يوسّخ) . والأصل (عثل)[٣١] ثم زيدت الواو حشواً . وفي العربية الفصيحة (العِثْوَلّ) الفَدْم المسترخي كالعَثَوْثَل . والكثير شعر الرأس والجسد ، وعَثول مثل صبور الأحمق .

ومن ذلك (عذرب) والمعذرَب بزنة أسم المفعول هو الوقح الذي يسعى الى الشر . وليس في اللغة الفصيحة شيء من هذا . ولسنا على يقين تام من أمر الثلاثي من هذا الفعل .

ومن ذلك (عتبر) بمعنى (احترم) وهو فعل مصنوع من الفصيح (اعتبر) فقد حذفت الهمزة وابقيت التاء توهماً لاصالتها . وهذا النوع من التوهم موجود في غير العامية ومن ذلك (تَخذَ) و (تقى) فقد توهمت الاصالة في التاء في هذين الفعلين . وحقيقتهما الزيادة .

ومن ذلك (عربد) بمعنى اغلظ في كلامه وتجاوز الحدود . وفي الفصيح عربد السكران أي تكلم وتصرف على النحو المعروف بين السكارى وهو العربدة . ومن هذا (عِربيد) المؤذي لنديمه في سكره . ولا نلمح الاصل الثلاثي من هذا الفعل .

ومن ذلك (عربش) بمعنى تفرّع واشتبكت فروعه . يقال : قماش معربش أي مطبوع بنبات او اغصان مشتبكة . والاصل في هذا (عرب) ثم زيدت الشين في الآخر .

ومن ذلك (عروج) أي (عوّجَ) يقال : عروَج الطريق كما يقال عروج القضية أي لم ينجزها وأعاق سيرها عن قصد . والراء تعويض من الواو في (عوّج) بالتشديد بعد فك الادغام .

ومن ذلك (عَصْرَن) بمعنى استعصى وصعب . والاصل الثلاثي هو (عصا) . والفعل الفصيح (عصى) يائي الآخر ، الا ان العامية عدلت عن الياء الى الواو ، وهذا العدول من الياء الى الواو كثير في العامية . والنون زائدة في الآخر . وربما كان الفعل العامي مأخوذاً من (عصا) الاسم . وكأن المعنى أصبح صلباً كالعصا .

---

(٣١) لعل الاصل هو « العثير » ثم عرض الابدال .

ومن ذلك (عكنش) بمعنى انكمش وصار ذا طيات كثيرة • والاصل الثلاثي هو (عكن) ثم زيدت الشين في الآخر • وقد يكون منحوتاً من (عكن) و (عكش) والمعنى المتحصل من هذين الفعلين يؤيد ظاهرة النحت في (عكنش) • وقد يرد هذا الفعل في الاستعمال الدارج على القلب المكاني فيقال (عكشن) •

ومن ذلك (عنجر) بمعنى أصابه في رأسه وسبب له عُقَداً بارزة نتيجة الضرب • والرأس المعنجر هو الكبير الذي يبرز من جميع جهاته على خلاف المألوف • وفي العربية الفصيحة (عَنْجَرَ) بمعنى مدّ شفتيه وقلبهما • والاصل الثلاثي هو (عجر) ثم جاءت النون تعويضاً عن الجيم في الفعل المشدد العين (عجّر) •

ومن ذلك (عنفص) والاصل في استعمال هذا الفعل للحصان الذي لا يستقر بل يجمح ويتأبى على صاحبه ويضرب الارض بقوائمه ، وهذا هو الاستعمال العامي ثم استعير للناس يقال : عنفص الرجل أي تصرف تصرف الحصان الجموح فأخذ يزعق في كلامه دلالة على نكوصه وعدم رضاه •

وفي الفصيح من الكلام ان (العَفْص) الالتواء في الانف ، والعُفوصة المرارة والقبض • والمعفَص : الجارية النهاية في سوء الخلق • والعِنْفِص : المرأة البذيئة القليلة الحياء والداعرة الخبيثة والقصيرة المختالة والمنتنة الريح ، والتعنفص الصلف والخيلاء والخفة • والنون زائدة للمصير الى الرباعي •

ومن ذلك (عنقر) والمزيد بالتاء هو الغالب في الاستعمال • يقال : فلان يتعنقر اي يصطنع القول ويبالغ فيه ويزينه زينة كاذبة • والذي عندي أنه مقلوب (يتقنعر) كما سيأتي في حرف القاف • والنون من غير شك جاءت على طريقة التعويض التي أشرنا اليها كثيراً •

حرف الغين

ومما جاء من الافعال الرباعية مما أوله غين في اللغة الدارجة ما يأتي :

(غربل) بمعنى صفّى الحب والبذر ونحوهما في الغربال والمصدر الغربلة•

ولا ندري ما اذا كان الاسم مأخوذ من الفعل او العكس ، ثم اننا لم نهتد الى الأصل الثلاثي الذي بني عليه الرباعي .

(غشمر) بمعنى خدع وكذب وهي بالغين في اللسان العامي القروي او البدوي وبالقاف عند أهل الحواضر . ولم نهتد الى الاصل الذي جاءت منه . وقد تشعر بأن اصلها أعجمي .

وقد جاءت (غشمر) في فصيح العربية والغشمرة اتيان الامر من غير تثبت والتهضم والظلم ، وتغشمره اخذه قهراً . ويبدو أن هذه المادة في اللغة الفصيحة قامت على (غشم) فالغشم هو الظلم .

حرف الفاء

ومما جاء من الرباعي مما أوله فاء ما يأتي :

(فرزن) بمعنى ميّز والاصل فيه (فرز) أي فصل . ومادة (فرز) فصيحة كما هي عامية . والنون زائدة للرباعي .

ومن ذلك (فرطن) والغالب في استعماله مزيداً بالتاء (يتفرطن) وهو بمعنى يتصرف كما يريد متجاوزاً الحدود . وهو من التفريط ومادة (فرط) هي الاصل الثلاثي . **والنون زائدة .**

ومن ذلك (فرقس) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة : وهو بمعنى ظهور انتفاخات على الجلد من جراء الكي . والاصل الثلاثي **هو (فقس)** الراء فهي تعويض من القاف في (فقّس) بالتشديد بعد فك الادغام .

ومن ذلك (فرقط) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة . وهو بمعنى تفرق يقال: شعر الصبي مفرقط اي متفرق . وهو منحوت من (فرق) و (رقط) .

ومن ذلك (فَرْفَح) بمعنى خفق واضطرب يقال : فرفح الغريق أي خفق واضطرب نتيجة التعب والارهاق . ولا نعرف شيئاً من الثلاثي الذي بني عليه الرباعي . اما الفَرْفح في اللغة الفصيحة فهو الارض الملساء .

ومن ذلك (فرقع) بمعنى أحدث انفجاراً واصله (فقّع) والراء تعويض من الراء بعد فك الادغام . ومن المفيد أن نشير أن (فرقع) في

اللغة الفصيحة تعنى عدا شديداً • وفرقع فلاناً لوى عنقه •

وهذا الفعل قد يرد في الاستعمال العامي في صورة أخرى وهي أن القاف فيه تلفظ كافاً ثقيلة وهو يعنى احراق السمن بحيث يتم الاحراق ويسمع له ما يشبه صوت الانفجار •

ومن ذلك (فركث) بمعنى فرق الشيء اذا كان مجتمعاً في حقيقته • يقال فركث الرمان او فركث الجبن ونحو ذلك • ويبدو أنه منحوت من (فرك) ومعناه (دلك) و (فَرَثَ) ومعناه نثر • والمعنى المتحصل من هذين فيه شيء من كل منهما •

ومن ذلك (فَرهَدَ) ومعناه في جنوبي العراق (سَلَبَ) والفَرْهود هو السَلَبُ • والمُفَرْهَد المسلوب • ولا نعرف له اصلا ثلاثياً • غير أن هذا الفعل يستعمل مزيداً بالتاء في لغة أهل بغداد وما جاورها من انحاء المنطقة الوسطى ، وهو يفيد الاتساع والرحب • فيقولون المكان متفرهد ، والناس تفرهدوا في مستقرهم • وهذا من لطف الدلالة ومن غرابة الاستعمال •

اما الفُرْهُد بالضم والفُرهود في فصيح العربية فهو يعني الغليظ • والناعم التارّ وولد الأسد • والغلام الممتلىء الحسن ، والفُرهود وَلَد الوَعِل • وهذا بعيد عما نحن فيه من أمر العامية •

ومن ذلك (فَلْطَح) بمعنى صير الشيء مُفَلْطَحاً أي مسطحاً واسعاً • والثلاثي فيه هو (فطح) واللام زائدة حشواً او أن هذه اللام تعويض من الطاء في (فطّح) المشددة الطاء بعد فك الادغام • وقد تكون اللام مبدلة بالراء من (فرطح) • وفي عربيتنا الفصيحة (فطح المكان) جعله عريضاً ومثله (فرطح) بالراء وفلطح القرص بسطه وعرّضه ورأس فِلطاح ومفلطَح اي عريض •

ومن ذلك (فَلْحَم) يقال فلحم الرجل أي اشتد به الحر والتعب من العطش وما اشبه ذلك • وقد يستعمل منه الوصف للشيء المحترق او لما اوشك أن يحترق • ولم اهتد الى شيء من أصله الثلاثي • وربما اشتق من (الفحم) •

ومن ذلك (فلفص) بمعنى تحرك يقال : فلان لا يستطيع يفلفص أي ضُبِط في مكانه فلا يملك عنه حولاً • ولم اهتد الى أصله الثلاثي كما أن ليس في الفصيح شيء منه •

ومن ذلك (فنغر) يقال : فنغر الجرح بمعنى انفتح وجرى دمه وهو من غير شك من (فغر) ثم جاءت النون زائدة على طريقة التعويض التي عرضت في كثير من الافعال الرباعية •

ومادة (فغر) في اللغة الفصيحة واردة • يقال : فَغَرَ فاه كَمَنَع ونَصَرَ فتحه • ومثله أفغره فَفَغَر فوه وانفغر •

ومن ذلك (فُوعَرَ) بمعنى اشتد حره • يقال : فوعر الرجل • وهو من (فَعَر) الثلاثي ثم زيدت الواو حشواً • ولا شيء من ذلك في فصيح العربية •

حرف القاف

ومما جاء من الرباعي في العامية من أوله قاف ما يأتي :

(قَحْوَرَ) يقال : قحور الشيء بمعنى أخذ من أطرافه ليكون على هيأة دائرية • وقد ينطق القاف كافاً ثقيلة عند جماعة • وفي فصيح العربية : قوَّر الشيء قطعه من وسطه خرقاً مستديراً ، والقُوارة ما قطع من جوانب الشيء • ويتبين من هذا أن الاصل الثلاثي الذى بنى عليه الرباعي العامي هو (قور) أما الحاء فهى زائدة للمصير الى الرباعي ، أو أنها جاءت على طريقة التعويض من الواو في (قوَّر) المضعف بعد فك الادغام • وربما كانت منحوتة من (قوّر) و (حوّر) •

ومن ذلك (قرضم) والقاف تنطق كافاً ثقيلة ومعناه قرض قليلاً • والنحت واضح في هذا الرباعي فهو من (قرض) و (قضم) •

ومن ذلك (قرطف) بمعنى قص واقتطع قليلاً • والقاف تلفظ كافاً • يقال : قرطف الشعر • والاصل (قطف) والراء جاءت على طريقة التعويض التي أشرنا اليها • أو أنها منحوتة من (قرط) و (قطف) •

ومن ذلك (قرفص) بمعنى شده وامسك به وحبسه • والقرفصة في فصيح العربية شد اليدين والرجلين • وأظن أن الراء تعويض من الصاد في (قفّص) المضعف بعد فك الادغام ، وذلك لان الثلاثي (قفص) في فصيح العربية يفيد المعنى نفســه • يقــال : قفص الظبي : شــد قوائمه وجمعها • والشيء قرّب بعضه من بعض • ومثله (قفس) على الابدال •

ومن ذلك (قرفع) القاف تنطق كافاً ثقيلة • يقال : قرفع جلده أي يبس وتشقق وتكون عليه ما يشبه القشور من تراكم الأوساخ • والاصل الثلاثي هو (قفع) • يقال في فصيح العربية في الكلام على ابن المقفع الكاتب : ان أباه لقب بالمقفع لان الحجاج ضربه فتقفعّت يَدُه • وتقفع تقبض • وقد زيد الراء تعويضاً في العامية من الفاء في (قفّع) المضعف بعد فك الادغام •

ومن ذلك (قرمط) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة • والمعنى قرض قليلاً يقال (قرمط) الخبز أي اخذه بالقرض من أطرافه • وقد تلفظ القاف على حقيقتها والمعنى ينصرف حينئذٍ الى شيء من الاستعمال المجــازي • يقال : قَرْمَطَ في النفقات أي اقتصد وقتّر • والكلمة منحوتة من (قرم) و (قرط) وكلتا المادتين يفيدان القطع •

ومن ذلك (قرمع) والقاف تنطق كافاً • يقال : قرمعت الام ولدهــا أي ضربته على أصابع يديه وآذته ولا تخلو القرمعة من أذى وتبريح • والثلاثي من هذا (قمع) يقال في العربية الفصيحة : قمعه بالمِقمَعة أي ضربه بها •

والمِقمعة كمِكْنسة : العمود من حديد أو كالمِحجَن يضرب به رأس الفيل • وخشبة يضرب بها الانسان على رأسه • والراء تعويض في العامية من الميم في (قمّع) المضعف بعد فك الادغام •

ومن ذلك (قحطل) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة والغالب في استعمالــه مطاوعاً لـ (قحطل) يقال (قحطله) فتقحطل أي تشنجت رجله وتوتــر عضلها فلم يطــق المشي • ولم اهتد الى الأصــل الثلاثي الذي بني عليه

الرباعي • غير أن كتب اللغة أشارت الى (قحطر) بالراء يقال قحطر القوس وتّرها • والمرأة جامعها • وقد يكون بين العامي والفصيح علاقة والابدال طارىء وليس بشيء •

ومن ذلك (قشمر) وهي في لغة الحضريين العامية تعني (خدع) و (كذب) أشرنا الى ذلك في (غشمر) •

ومن ذلك (قشول) والكاف تنطق كافاً ثقيلة ، وهو بمعنى أتى على جميع ما في الدار سلباً • ولم نهتد الى الأصل الثلاثي الذي جاء منه هذا الرباعي •

ومن ذلك (قلوط) والقاف تنطق كافاً ثقيلة • وهو بمعنى عذّبَ • وهذا من غرائب العامية مما لا نستطيع رده الى أصوله التي اخذ منها •

ومن ذلك (قلفس) والمقلفس غير المقبول منظره وصورته • وهو مما لا نستطيع رده الى أصوله •

ومن ذلك (قنبص) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة والمعنى قعد منتصباً على قدميه وبهيأة مجتمعة • واظنه من (قمص) ثم ابدلت الباء بالميم وهذا الابدال كثير في العربية فصيحها وعاميها • ثم ان النون جاءت تعويضاً من الباء في (قبّص) المضعف بعد فك الادغام •

ومن ذلك (قنعر) وأكثر استعماله مزيداً بالتاء • يقال : فلان يتقنعر، والمراد يتقعر والمعنى العامي هو أنه يتصنع في كلامه وسلوكه ، وفي فصيح العربية التقعر في الكلام اخراج الكلمات بهيأة يتقعر معها جهاز النطق • والنون تعويض من العين •

حرف الكاف

ومما جاء من الافعال الرباعية مما أوله كاف في اللغة العامية ما يأتى :

(كربح) بمعنى أوقع وصرع والاصل (كبح) والراء جاءت على طريقة التعويض التى أشرنا اليها غير مرة • وهذا الرباعي من المشترك بين الفصيحة والعامية •

ومن ذلك (كربس) وهو بمعنى (كربح) أي أوقع • ومن غير

شك أن الاصل هو الثلاثي (كبس) ثم جاءت الراء على طريقة التعويض.
والثلاثي (كبس) في العامية معناه : جمع وصف يقال : كبس التمر أي ضمه في وعاء خاص مصنوع من خوص النخل على هيأة الحصير . والكاف ينطق جيماً فارسية . وفي فصيح العربية يقال : كبس البئر والنهر يكبسهما طمهما بالتراب ، وذلك التراب كِبْس بالكسر . وكبس رأسه في ثوبه أخفاه وأدخله فيه . وكبس الدار هجم عليه . وجملة هذه المعاني للفعل (كبس) لا تقرب من الرباعي وهذا من اسرار الزيادة في العربية في توليد المعاني واختراعها . ومن المفيد ان نشير الى ان (الكربَسة) في اللغة تعنى مشي المقيد . وهو مكربس الرأس اي مجتمعه .

ومن ذلك (كربل) يقال : عمل مكربل اي غير دقيق ولا أنيق ،وربما كان فيه شيء من ضخامة مقيتة . ولا نعرف له اصلاً ثلاثياً ، ولكن ربما يقال : ان الراء جاءت تعويضاً من الباء في (كبّل) بالتشديد ، غير أن (كبل) الثلاثي لا تفيد ما يقربها من معنى الرباعي .

ومن ذلك (كردح) يقال : تكردحت رجله أي اصابها خدوش نتيجة سقوط او اصطدام . وفي كتب اللغة : تكردح تدحرج وتكر، وكردحه صرعه . والاصل الثلاثي هو (كَدَح) والراء جاءت على طريقة التعويض التي أشرنا اليها . ومن معاني (كَدَح) خدش ، وبه كدح اى خدش والجمع كدوح وتكدّح الجلد تخدّش ، وحمار مكدّح معضّض .

ومن ذلك (كردس) أي جمع وضم . وفي فصيح العربية (الكردوسة) بالضم : قطعة عظيمة من الخيل . وكل عظمين التقيا في مفصلِ ، وكل عظم عظمت نَحْضتُه . والكردسة الوثاق . ومشي في تقاربَ خطوِ كالمقيد والسوق العنيف ، وكُردِسَ بالضم جمعت يداه ورجلاه والمكردَس الملزّز الخَلْق . وتكردس : انقبض واجتمع . والاصل الثلاثي هو (كدس) والراء جاءت على طريقة التعويض المشار اليها . وفي كتب اللغة ان (الكدس) اشراع المثقل في السير .

و (الكدُس) و (الكُدْسان) الحب المحصود المجموع و (كُداس)

بالضم ما كدِس من الثلج • و (الكُداسة) ما يكدس بعضه فوق بعض • وفي العامية تنصرف مادة (كدس) كذلك الى الجمع والضم •

ومن ذلك (كردش) يقال كردش العظم أي أكل ما يلصق به من لحم • والاصل الثلاثي هو (كدش) ثم جاءت الراء تعويضاً من الدال في (كدّش) بالتشديد بعد فك الادغام • ومعنى (كدش) في العربية الفصيحة (خدش) يقال : (كدشه) اى خدشه وضربه بسيف أو رمح ودفعه دفعاً شديداً • وقطعه وساقه وطرده • ويقال : أكدشت منه عطاءً وكَدَشت اصبت •

ومن ذلك (كحوش) بالكاف وقد ترد بالكاف الثقيلة فتكون منقلبة عن قاف وهو بمعنى فتش واخذ من الشيء ، ولا نعرف له اصلاً • وهو من غرائب العامية •

ومن ذلك (كَرْكَش) يقال : كركش الشيء أي أخذ نصيبه منه • ولا نعلم من أصله شيئاً كما أنه لا قرابة بينه وبين (كَرْكَس) في اللغة الفصيحة •

ومن ذلك (كرمش) بمعنى تقبَّض يقال : (تكرمش) الجِلْد اي تقبض من البرد او الحر • والاصل فيه (كمش) والراء جاءت تعويضاً من الميم في (كمش) المضعف بعد فك الادغام • وتكمَّش الجلد مثل انكمش أي تقبَّض الجلد •

ومن ذلك (كشمر) وهي في العامية القروية في جنوبي العراق وهى (قشمر) في لغة أهل المدن وقد سبق الكلام عليها في (قشمر) •

ومن ذلك (كعبر) يقال : كعبر الشيء أي لم يتقن عمله فجاء غير منتظم الشكل تخرج منه نتوءات لا تجعله مقبولاً • والكعابير جمع كُعبُرَة وهى في العامية ما تجمَّع وتضخم ونتأ • وفي فصيح العربية ان الكُعْبُرّة بضمتين وتشديد الراء ما يرمى من الطعام اذا نُقّي • وكل مجتمع كالكعبور والعظم الشديد المتعقد وأصل الرأس • والورك الضخم • وأظنه منحوت من (كعب) و (كبر) وفى معنى كل من هذين الثلاثيين شيء يدخل في مدلول (كعبر) في الفصيحة والعامية • وقد يحصل في

هذا الفعل ان تبدل الواو بالباء فيصير (كعور) وهو يفيد المعنى نفسه •

ومن ذلك (كلفت) بمعنى ملأ الفراغ يقال كلفت السفينة أي ملأ الشقوق والفروج بين ألواحها • والاصل هو (كفت) • وفي فصيح العربية الكفات بالكسر الموضع يكفَت فيه الشيء اى يُضَم ويجمع • واللام زيدت حشواً •

حرف اللام

ومما جاء من الرباعي في العامية مما أوله لام ما يأتي :

(لخبط) وهو مقلوب (خلبط) وهو من (خلط) و (خبط) ثم نحتا فجاء (خلبط) كما بيناه في حرف الخاء •

ومن ذلك (لعوس) وهو في لغة القرويين يفيد (وسَّخ) ولست على علم بالطريقة التي تم بها بناء الرباعي •

ومن ذلك (لعبط) وهو بمعنى يتحرك يقال : الرضيع يتلعبط يريد يتقلب ويتحرك حركات غير ارادية • وأكبر الظن ان الاصل الثلاثي هو (لبط) وهذا الثلاثي يفيد في العامية الحركة نفسها • يقال : السمك يلبط • وفي فصيح العربية (لبط) به الارض ضرب • والعين زائدة للمصير الى الرباعي •

ومن ذلك (لغمط) يقال : لغمط الصبي ثوبه بمعنى وسَّخه واحدث فيه بقعاً وذلك بسكب صبغ او دهان عليه مثلاً • وهذا الرباعي منحوت من (لغم) و (غمط) والفعل الاول معناه في اللغة الفصيحة رمى باللُغام وهو زَبَد الجمل • وتلغَّم بالطيب جعله فيها • والفعل الثاني من صوره (تغمَّط) يقال : تغمَّط عليه التراب غطّاه •

ومن ذلك (لغوص) يقال لغوص الحلاوة اي أكلها بادارتها في فمه وباعمال اللسان • وهو منحوت من (لغو) و (لوس) ، ولغا لغواً تكلم أي ادار الكلمات في فمه • اما (اللوس فهو تتبع الانسان للحلاوات وغيرها ليأكلها واللواس بالضم الطعام • واللُواسة بالضم اللقمة • وابدال الصاد بالسين كثير في العامية • على أنه قد يأتى في الفصيح ايضاً •

ومن ذلك (لهوج) يقال : هو يلهوج في كلامه يريد يدور فيه ولا يستقيم • وهو من (اللوج) يقال : لوَّج بنا الطريق أي عوَّج • والهاء اما أن تكون زائدة أو أنها جاءت على طريقة التعويض من الواو في (لوَّج) المضعف بعد فك الادغام • وقد يبدل بالجيم جيماً ثقيلة على نحو ما ينطق به أهل مصر وفي هذا الابدال صرف للفعل الى معنى آخر • يقولون : خبز مُلَهوَج بالجيم الثقيلة أي لم يتم خَبزُه •

حرف الميم

ومما جاء من الرباعي في العامية مما أوله ميم ما يأتي :

(مخطن) وهو من المخاط أي صار مخاطياً • والاصل الثلاثي هو (مخط) والنون زائدة في الآخر •

ومن ذلك (مرجح) واستعماله مزيداً كثير يقال : (تمرجح) وهو من الارجوحة أى ما يتأرجح عليها مما يلعبه الصبيان • والميم زائدة للرباعي • ولكن هذه الميم في الفعل الرباعي العامي مأخوذ من ميم الاسم وهو (مرجوحة) وهى الارجوحة •

ومن ذلك (مرشق) بمعنى رمى • وقد تستعمل مجازاً بمعنى قذف بالسب والشتم ومختلف ضروب النبز • والاصل الثلاثي (رشق) والميم زيدت بسبب الرباعي • ومن المفيد أن نشير الى ان القاف تنطق كافاً ثقيلة في العامية •

ومن ذلك (مرعد) بمعنى مزَّق وقطّع • يقال : مرعد ثوبه • والاصل الثلاثي فيه (مرد) وفي فصيح العربية (مرد) بمعنى قطع ومزَّق• والعين زائدة حشواً •

ومن ذلك (مرعط) بمعنى شقّق ومزَّق وهو منحوت من (مرط) و (رعط) وكلاهما في العامية يفيدان المعنى نفسه •

ومن ذلك (مروَج) والكثير في استعماله أن يأتي مزيداً بالتاء يقال : العمود يتمروج أي يتحرك ويتمايل• ويبدو أن الواو زائدة في حشو الكلمة•

ومن ذلك (ملغط) وهو مقلوب (لغمط) وقد سبق الكلام عليه

في حرف اللام .

ومن ذلك (مقلج) وأكثر استعماله مزيداً بالتاء . يقال : الصبي يتمقلج أي يترنح في مشيته . ولا نعرف الأصل الثلاثي الذي بنى عليه الرباعي .

حرف النون

ومما جاء من الرباعي مما أوله نون في العامية ما يأتي :

(نخبش) بمعنى حفر قليلاً أو ثقب قليلاً والأصل الثلاثي هو (نخب) والثلاثي يفيد هذا المعنى في العامية . والمنخوب في الفصيح من الكلام الذاهب اللحم المهزول . والشين زائدة في الآخرة وهي ترمز لـ (شيء) أي القليل وقد رأينا هذه الزيادة وما أفادته من دلالة معنوية في غير هذا المكان وقد يحصل ابدال الغين بالخاء فيقال (نغبش) والمعنى نفسه كما يحصل ابدال الميم بالباء فيقال (نغمش) وفي هذا شيء من المعنى نفسه يقال : هو ينغمش بالقلب كناية عن كونه محبوباً .

ومن ذلك (نعوص) بمعنى احدث صوتاً فيه غنج ودلال . وأكثر استعماله مزيداً بالتاء (تنعوص) . وأكبر الظن ان الواو زائدة . ولا نعرف وجهاً لهذا الثلاثي من حيث الأصل الفصيح .

ومن ذلك (نقبش) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة . والمعنى مثل (نخبش) والأصل الثلاثي (نقب) بمعنى (ثقب) ثم زيدت الشين في الآخر رمزاً ل (شيء) الذي يفيد القلة .

ومن ذلك (نقرش) يقال تنقرش وجه الصبي) أي حدثت فيه آثار نتيجة الدمامل والبثور . والقاف ينطق كافاً ثقيلة . والأصل الثلاثي (نقر) والنقر معروف بمعنى الخدش والشين في الآخر زائدة ترمز ل (شيء) أو مقتطعة منها لافادة القلة .

حرف الهاء

ومما جاء من الرباعي مما أوله هاء في العامية ما يأتي :

(هجول) والمعنى أبعده وطرده وحمله على الانتقال والابتعاد .

والثلاثي فيه مادة (جول) ثم صدرت بالهاء لتكون على الرباعي ولتفيد هذا المعنى •

ومن ذلك (هتلف) يقال هو (مهتلف) أي رث الملبس زري المنظر معوز • والأصل الثلاثي هو (تلف) ثم صدر بالهاء لافادة هذا المعنى •

ومن ذلك (هربد) والمعنى تكلم بصوت مجمجماً دون الاعراب عن معنى واضح • ولا نعرف وجهاً للثلاثي من هذا الرباعي واكبر الظن أنه من مبتدعات العامة في وضع الالفاظ وخلقها •

ومن ذلك (هربش) يقال هربش الرجل أي كبر وشاب رأسه • وهذا نظير الفعل السابق من حيث عدم المعرفة بأصله الثلاثي • وهو من وضع العامة لهذه الدلالة •

ومن ذلك (هدرس) يقال (تهدرس) الولد في مشيته أي اطمأن في مشيته وتهادى • ولم نهتد الى الأصل الثلاثي الذي بني عليه الرباعي •

ومن ذلك (هرول) والهرولة ضرب من العدو وهو فصيح كما هو عامي •

ومن ذلك (هنجل) والهنجلة ضرب من العدو بطيء • ولا نعرف من أصلها الثلاثي شيئاً ، غير أن النون زائدة في الغالب في مثل هذه الابنية • وهي تعويض عن الجيم في (هجّل) المضعف بعد فك الادغام •

حرف الواو

ومما جاء من الرباعي في العامية مما أوله واو ما يأتي :

(ورشع) يقال : تورشعني أي أخذني وغلب عليّ واسكتني • وهذا مما لا نستطيع رده الى أصله • وهو مما اختصت به العامية •

ومن ذلك (وندخ) بمعنى داخ وسهم وخارت قواه • وهو كنظيره السابق مما لا نعرف له أصلاً ثلاثياً •

ومن ذلك (وهدن) بمعنى غش وخدع • وأغلب الظن أن الأصل الثلاثي هو (هدن) ثم صدر بالواو فصار رباعياً •

ماجاء من الرباعي مأخوذاً من الاسماء

اتسعت العربية فجاء فيها من مادة الفعل ما أخذ من الاسماء وهذه الاسماء هي اسماء الأعيان وغيرها . وفيها ما جاء من أسماء دخيلة معرّبة .

ولم يلتفت النحويون الاقدمون وعلماء اللغة الى هذه المسألة اللغوية الحقيقية بالدرس والبحث التفاتهم الى مسألة أخرى أقل منها شأناً هي مسألة المصدر والفعل وأيهما اشتق من الآخر . وهذه المسألة لم تخدم العلم اللغوي كما سنرى .

وهذه المسألة من مسائل الخلاف بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة وانتصر كل فريق من هؤلاء لرأيه مستدلاً بأدلة عرض لها أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله بن ابي سعيد الأنباري النحوي المتوفى سنة ٥٧٧ هـ في المسألة الثامنة والعشرين من كتابه (الانصاف في مسائل الخلاف)(١) فقال :

« ذهب الكوفيون الى ان المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه ، نحو ضَرَبَ ضَرباً ، وقام قياماً . وذهب البصريون الى ان الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه » .

ثم عرض لأدلة كل من الفريقين ودحض كل فريق لاقوال الفريق الآخر . وفي هذا العرض الذي سجله ابن الانباري وشارك فيه مادة ضخمة لم يفد منها العلم اللغوي فقد اتبع كل من الفريقين الجدل والمنطق في اثبات

---

(١) ابن الانباري ، الانصاف ج ١ ص ١٤٤ .

ما يرمي اليه من المسائل النحوية . وفي هذا ابتعاد عن النحو وافساد له . وجميع مادة الكتاب تجري هذا المجرى الذي لا يفيد منه الباحث اللغوي علماً حقيقياً .

ومن ذلك ما جاء من احتجاج البصريين في هذه المسألة قوله :

« وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن المصدر أصل للفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان معين فكما ان المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل » .

وفي عرضه لاحتجاج الكوفيين قال :

ومنهم من تمسك بأن قال : « الدليل على أن المصدر هو الأصل أن الفعل بصيغته يدل على ما يدل عليه المصدر والمصدر لايدل على ما يدل عليه الفعل ، ألا ترى أن ضَرَبَ يدل على ما يدل عليه الضرب ، والضرب لا يدل على ما يدل عليه ضَرَبَ ، واذا كان كذلك دل على أن المصدر أصل والفعل فرع لان الفرع لابد أن يكون فيه الأصل ، وصار كما تقول في الآنية المصوغة من الفضة ، فانها تدل على الفضة والفضة لا تدل على الآنية وكما أن الآنية المصوغة فرع عليها ومأخوذة منها فكذلك هاهنا ، الفعل فرع على المصدر ومأخوذ منه » .

هذا طرف من الأساليب التي درج عليها اللغويون والنحويون الأقدمون في مادة مهمة من مواد العربية أكثروا فيها دون كبير جدوى ، ذلك أنهم لم يفطنوا الى أن الكثير من مادة الفعل جاءت من أسـماء الاعيان المختلفة كما سنرى . على أن من الحق أن نقول : ان ابا الفتح عثمان بن جني في النصف الاخير من القرن الرابع قد أشار الى هذا فقال باشتقاق الفعل من اسماء الأصوات وأسماء الاعيان ، ولكنه لم يفصل في ذلك التفصيل الوافي .واشتقاق الفعل من أسماء الاعيان أو قل من الاسم يبطل قيمة الجدل بين النحويين الاقدمين من حيث الفعل والمصدر وعلاقة كل منهما بالآخر ، وذلك أن كلاً من الفعل والمصدر مادة متشابهة ، أو قل ان كليهما مادة واحدة فكل منهما دال على حدث غير أن الفعل زمانه مقيد معين والمصدر لا يستفيد الزمان الا

في حال اعماله كما هو معروف .

ولنعرض لطائفة من الافعال مأخوذة من أسماء الأعيان .

ومما أخذ من أسماء الامكنة ما يأتي :

(أتهم) قالوا : أتهم الرجل أتى تهامة . ومثله (أعرق) و (أشأم) و (أصحر) و (أنجد) و (أحزن) أي دخل العراق والشام والصحراء ونجداً والحزن .

و (أجنب) دخل الجنوب . و (جُنِبَ) اصابته الجنوب فهو مجنوب .

و (أحرم) دخل الحَرَمَ ، و (أروضت) الأرض و (أراضت) ألبِسَها النبات . ومثل هذا كثير والاستقراء يهدى الى مواطن هذا الاشتقاق.

ومما أخذ من أسماء الازمنة ما يأتي :

(بكر) يقال : بكر فلان بكوراً اذا خرج (بُكرة) والبُكرة أصل الفعل وهي اول النهار . ومن هذا (بكّر) المضعف وابتكر وباكر .

ومن ذلك (حال) يقال : حال الغلام أي أتى عليه حول . وأحال عليه الحَول أي حال . ودار محيلة اذا أتت عليها أحوال . وأحولتُ بالمكان وأحلت أقمت به حولاً .

ومثل هذا ما اشتقت العربية من (الحين) أي المدة ومن (الدهر) و (الربيع) و (الشتاء) و (الزمن) و (السحر) و (السنة) و (الشهر) و (الصبح) و (الضحى) و (الظهر) و (العشوة) و (والغدوة) ونحو ذلك .

ومثل هذا ما اشتق من مادة (خلق الانسان) فقد أخذ الفعل من كثير من أعضاء جسم الانسان . كما أخذ الفعل من أسماء النبات والحيوان وسائر المواد مما حفلت به البيئة العربية .

وقد أشار النحويون الى شيء من هذه الأفعال المأخوذة من أسماء الأعيان فقالوا : يرنأت الثوب أي صبغته باليرناء وهي الحِنّاء ، كما قالوا : نرجست الدواء أي وضعت فيه النرجس .

ولغتنا الحديثة الفصيحة والعامية حفلت بهذا النوع من الافعال التي تشتق من الأسماء المعربة الدخيلة • وفي الفصيحة الحديثة ان هذه الافعال مما يقتضيه موضوع الجديد من مواد العلم التجريبي •

ومن ذلك قولهم (بَسْتَرَ) الرباعي بالباء التي هي أثقل من الفاء ، وهي تستعمل للحليب المعقم والمحفوظ بالطريقة التي ابتدعها الكيمياوي الفرنسي (Pasteur) وعرفت به واشتق اسم الطريقة من اسمه ثم صيغ من هذه الطريقة فعل لهذا المعنى • ثم نقل الى العربية رباعياً كما مثلنا •

ومن ذلك (غَلْوَنَ) يقال في العلم الحديث « الحديد المغلون » وهو نوع من الحديد المطلي بمادة ما • وهذا الفعل الرباعي في العربية مبني من الكلمة الأعجمية التي تفيد الحقيقة العلمية المذكورة •

ومن ذلك (كهرب) يقال في العلم الحديث « كهرب المصنع » أي جعل المعمل مسيراً بالقوة الكهربائية • والفعل الرباعي مأخوذ من « كهربا » الكلمة الأعجمية المعربة • ثم تطور استعمال الكهرباء والافادة منه وتم في العلم الحديث أن استحدثت القوة الكهربائية أو التيار الكهربائي من تيار الماء المتدفق نتيجة لبناء السدود في عرض مياه الانهار والبحار والبحيرات الطبيعية والاصطناعية ، وسمي هذا النوع من الكهربائية « الكهرمائية » بالافادة من النحت فهو كهربائية من تيار الماء ، ومن ذلك قالوا : كَهْرَمَ كما قالوا : كَهْرَبَ •

ومن ذلك (مغنط) يقال : حديد ممغنط أي حديد اكتسب المغناطيسية وهي الخاصية العلمية المعروفة • وقد أخذ أهل العلم فعلاً رباعياً من الكلمة العلمية •

ومن ذلك (هدرج) يقال : « زيت مهدرج » أي انهم أمرّوا عليه عنصر الهيدروجين ليكون ذلك مساعداً على جودته •

ونعود الى ما في العامية من الافعال الرباعية المشتقة من الاسماء سواء كانت أعجميةً أم غير أعجمية •

ومن ذلك (جَوْرَبَ) جوربَه أي ألبسه الجورب وتجورب

مطاوعه • والجورب من اللباس معروف وهو دخيل أعجمي •

من ذلك (دستر) وأكثر استعماله في ميدان البناء ذلك أن البنّاء يمد خيطه على الجدار حين يصف أحجاره ليأتي البناء مستقيماً مستوياً • والفعل من غير شك مأخوذ من (دستور) وهو كلمة أعجمية •

ومن ذلك (دُودَى) بمعنى دبّ مستخفياً وهو من مأخوذ من الدود فكأنه دب كما يدب الدود على الأرض • وهذا الفعل من أصل حيواني وما أكثر ما أعطت الأصول الحيوانية من أفعال • والواو في الفعل من مادة الاسم •

ومن ذلك (دولب) يقال دولبه بمعنى خدعه وغشه وجعله في ورطة كما لو دار به « دولاب » والاسم « دولاب » وهو من الآلات الدوّارة المتحركة •

ومن ذلك (خوصر) وأكثر استعماله مزيداً بالتاء « تخوصر » أي وضع يديه على خصره اشارة للوقوف والثبات • وزيادة الواو على هذا النحو كثيرة في العامية نحو : دُوَهَن من المداهنة وسُورَبَ من السرب وهو الذهاب و « نوقل » بالكاف الثقيلة لا بالقاف بمعنى نقل ويبدو أن هذه الواو قد تولدت من امالة الالف فهي : داهن وسارَب وناقل ونحو هذا •

ومن ذلك (رندج) يقال رندج النجار الخشبة أي أمر عليها ألاداة المسماة عند النجارين بالرنده لاخذ شيء منها حتى تأتي صقيلة نظيفة • وهذه الاداة من الدخيل الفارسي في عاميتنا العراقية غير أنهم حين أخذوا الفعل من ذلك ذيلوه بالجيم على نحو المعربات الفارسية المذيلة بالجيم نحو : بابونج ولوزينج وساذَج ومالج وفالوذج وفالج ونحو ذلك •

ومن ذلك (زَنْجَرَ) بمعنى صَدَأ .وهو من الزِنجار أي الصَدَأ والزنجار ليس بعربي وانما هو كلمة أعجمية عرفتها العامية دون الفصيحة• والزِنجار والزُنجور في العربية الفصيحة ضرب من السمك •

ومن ذلك (زنجل) بمعنى قيّده بالزَنجيل والزنجيل يعنى السلسلة وهو من الدخيل الاعجمي في العامية العراقية •

ومن ذلك (زقنب) يقال زقنبه أي اطعمه الزقنبوت والزقنبوت كلمة عامية أعجمية وهي تعني الطعام المرّ أو الزقّوم •

ومن ذلك سَختن أي تقـذر وصـار كالسـخت والسـخت كلمة أعجمية تؤدى هذا المعنى الذى نجده في الفعل • وقد يكون سختن من السِختيان وهو جلد الماعز اذا دبغ •

ومن ذلك (سَكْرَب) أي قَدُم وتعطل عن العمل وأصابه البِلى، يقال لما هو مصنوع من الحديد كالمكائن ونحـوها • وهـو مأخـوذ من السُكراب والسكراب الحديد البالي من بقايا المكائن مما لا فائدة كبيرة فيه • وقد تستعمل الكلمة (سكراب) مجازاً كأن يتحدث الشخص عن نفسه فيقول تسكربت أي لم يبق فيه بقية من قوة • ومن غير شك ان كلمة (سكراب) أعجمية دخيلة •

ومن ذلك (سلبح) بمعنى صار كالسلبوح ، وهو الديدان الكبيرة • والاصل هو هذا الاسم • وأكبر الظن أن اللام في (سلبوح) عوض من الباء في (سبّوح) المشدد الباء بعد فك الادغام • « والسابحات » في قوله تعالى هي السُفُن • او أرواح المؤمنين ، او النجوم •

ومن ذلك (سنبل) يقال : سنبل الزرع أي ظهرت سنابله • والاصل هو الاسم سنبلة وهو معروف •

ومن ذلك (سودن) أي أورثه السوداء وهو مرض من الامراض • والاصل هو الاسم المذكور وانما صير الى الفعل الرباعي منه بزيادة النون في الآخر •

ومن ذلك (شَكْبَن) وهو بالـكاف الثقيلة ومعنـاه عبّأ البضاعة بالشكابين واحدها (شُكبان) وهو الجوالق • والشكبان كلمة أعجمية عرفتها العامية دون الفصيحة •

ومن ذلك (شيطَن) يقال شيطنه فتشيطن وهو من الشيطان •

ومن ذلك (صلبخ) بمعنى صار كالصلبوخ والصلبوخ هو قطع الحجر او الحصى الكبيرة الصلبة •

ومن ذلك (صخرج) أي صار كالصخر • وصوغ الرباعي ثم بتذييل الكلمة بالجيم والاصل هو الاسم •

ومن ذلك (صنكر) أي وقف كما يقف الصَقْر وهو من الطيور • وصيرورة الرباعي من الاصل الحيواني قد تم بزيادة النون •

ومن ذلك (صغلم) يقال صغلم الشيء بمعنى أحسن صنعه • والاصل الذى أخذ منه الرباعي هو كلمة مركبة (صالغ سليم) من الكلم التركي الدخيل في العامية •

ومن ذلك (عسكر) بمعنى أقام معسكراً والمعسكر هو ثكنة الجند والكلمة معروفة في العامية والفصيحة • والاصل الذى اخذ منه الرباعي هو (عَسْكَرْ) بمعنى الجند •

ومن ذلك (عفرت) أي صار كالعفريت وقد يعرض القلب لهذا الفعل فيصبح (عفتر) والعفترة أي الاغتصاب عنوةً •

ومن ذلك (عورض) أي اعترض ووقف في العرض • والواو في هذا الرباعي ربما جاءت من إمالة الالف في (عارض) نحو الضم •

ومن ذلك (فَرْعَن) يقال : فَرْعَن وتفرعَن أي صار متجبراً مستبداً • والاصل الذى أخذ منه الرباعي هو (فرعون) •

ومن ذلك (فرنج) يقال تفرنج أي تظاهر كالافرنج في كلامه ولباسه وعاداته •

ومن ذلك (فنطز) أي صار ذا هوىً خاص • والاصل الاسمي الذى بني عليه الرباعي هو مادة فرنسية هي Fantaisie •

ومن ذلك (فرنس) يقولون تفرنس الرجل أي صار كالفرنسيين في مظهره •

ومن ذلك (قَنْدَل) اي تلألأ كالقنديل • والقنديل معروف •

ومن ذلك (قنزع) يقال هو مقنزع في مكان ما اي واقف وحيد •

ومن ذلك (قولب) أي صبّه في القالب • والقالب على وزن فاعَل معروف •

ومن ذلك (كروَن) أي أخذه وغلبه وهو من الكروان وهي فارسية دخيلة معروفة في العامية وهى جماعة الابل التي تسير . وقد عربت الكروان بكلمة (قيروان) في العصور الاسلامية الاولى .

ومن ذلك (كلبج) وهو بالجيم الفارسية والمعنى قيده بالحديد . والاسم الذى اخذ منه هو (كلبجة) .

ومن ذلك (كرزَلَ) وهو من الكِرزِل . والكرزل هو الحجارة غير المنتظمة .

ومن ذلك (كزبر) يقال : كزبر الجلد أي اقشعر وهو مأخوذ من الكزبرة من الاجزاء التى يبيعها العطارون من العلاجات .

ومن ذلك (كَلْبَس) أي ربط بالسلك للسجلات والدفاتر نحوها وهو من Clips .

ومن ذلك (كَمرَك) وهي بالكاف الثقيلة . والمعنى أن تستوفي الحكومة الضريبة الكمركية على البضائع المستوردة . والاسم هو الكمرك وهو الضريبة المقتضاة .

ومن ذلك (مسكن) والكثير في استعماله مزيداً بالتاء أي صار كالمسكين . والاسم الذى أخذ منه الفعل هو « مسكين » .

ومن ذلك (نشتَر) يقال نَشْتَر الجُرح أي انبثق الدم منه .

وهذا الفعل مأخوذ من الاسم « نَشْتَر » مما يفيد هذا المعنى وهو كلمة أعجمية عرفتها العامية دون الفصيحة .

ومن ذلك (نيشن) أي أشار الى هدف ، يقال هـذا لمن يصـوب عياراً نارياً .

وكذلك يقال نيشن البضاعة أي وضع « نيشاناً » وهو علامة ما . والاصل الذى اخذ منه الثلاثي هو الاسم نيشان .

ومن ذلك (نكرز) بالكاف الثقيلة وأكثر استعماله مزيـداً بالتاء (تنكرز) يقال تنكرز الغلام أي تصنع وتظاهر بالتمدن الكاذب في الحديث اللباس وسائر العادات . والفعل يشير الى ان المتكرز هو المتشبه بالانكليز

ومن غير شك ان الاسم هو الذى اعطى هذا الفعل الرباعي .

ومن ذلك (هندس) بمعنى خطط ووضع مخططاً لمشروع من المشروعات . وهذا الفعل مأخوذ من الاسم المعرّب (هندسة) . وفي لغة العامة يميلون الى الزاء بدلاً من السين رجوعاً الى الاصل الفارسي (هندازه) الذى جاء منه (هندسة) .

ومن ذلك (هندَم) وهو من الهِندام اي اللباس عامة .

طريقة في بناء الرباعي في العامية

للعامية طرقها في الالفاظ واشتقاق الكلمات • والاستقراء الوافي يدل على هذا وقد بدا لي أن افرد فصلاً خاصاً لافعال رباعية اتبعت فيها ميكانيكية واضحة من حيث البناء • ويقوم هذا البناء بتكرار فاء الفعل حشواً او بتكرار عين الكلمة ووضعه في الاول • ومن هذه الافعال ما يأتي :

(بَرْبَع) والمعنى شبع واطمأن والاصل الثلاثي (ربع) من الربيع ثم زيد الباء في الاول مجانسة لعين الفعل في الثلاثي •

ومن ذلك (بربخ) بمعنى استقر في قعدته واسترخى ، والتربخ في فصيح العربية شيء مثل هذا • والاصل هو (رَبَخَ) ثم زيد الباء في اول الفعل مجانسة لعين الفعل في الثلاثي •

ومن ذلك (دردق) بمعنى سكب الماء مع الاشعار بصوت السكب وهو من (درق) ثم زيد الدال حشواً وهو من جنس الفاء في الثلاثي •

ومن ذلك (طرطب) والاصل رطب وقد سبق الكلام عليه •

ومن ذلك (فرفط) والاصل (فرط) ثم زيدت الفاء حشواً مجانسةً لفاء الثلاثي • ومعنى هذا الرباعي قريب من الثلاثي • يقال فرفط الحب اي فرّقه •

ومن هذا (كمكش (والاصل كمش) الثلاثي ثم زيد الكاف حشواً مجانسة لفاء الثلاثي • ويفيد الرباعي معنى اللمس طلباً لمعرفة الشيء • يقال يكمكش الاعمى •

ومن ذلك (لهلب) يقال لهلبت النار اى صار فيها لهب • والاصل

الثلاثي (لهب) ثم زيد اللام حشواً على الطريقة نفسها .

ومن ذلك (مَرْمَش) يقال مرمش اللحم أي أكله بنهم ورغبة ولم يبق منه . والاصل الثلاثي (مرش) والمَرْش هو الخدش في فصيح العربية وقد زيد الميم حشواً مجانسة للميم الاولي وهي فاء الفعل .

ومن ذلك (مَرْمَص) يقال مرمص التمر أكله برغبة . والاصل الثلاثي (مرص) والمرص في فصيح العربية يعني الغمز بالاصابع للثدي . والميم زيد حشواً مجانسة لفاء الفعل .

ومن ذلك (مرمط) يقال (مرمط الطعام) بمعنى أتى عليه . والاصل الثلاثي هو (مرط) يقال (مَرَطَ الشعرَ) في فصيح العربية بمعنى نتفه . والميم زيد حشواً مجانسة لفاء الفعل .

ومن ذلك (ملمس) بمعنى لمس وفحص . والاصل الثلاثي هو (لمس) ثم زيد الميم في اول الفعل مجانسة لعين الفعل .

ومن ذلك (نَعْنَس) بمعنى نعس وفتر . والاصل الثلاثي هو (نعس) ثم زيد النون حشواً مجانسة للنون الاولى .

المضعف الرباعي

يعرف الصرفيون هذا الرباعي بالفعل الذي فاؤه ولامه الاولى من جنس واحد ، وعينه ولامه الثانية من جنس واحد أيضاً نحو : زلزل ووسوس • والحقيقة أن بناء هذا الفعل الرباعي يتم من ضم ثنائي مؤلف من حرفين صحيحين الى مثله • فالثنائي في (زلزل) هو (زَلْ) •

واضافة الثنائي الى مثله تؤدي الى معنى القوة والزيادة والمبالغة ، وهذا هو الاصل في تسميته عند الصرفيين الاقدمين بـ (المضعف) ، وذلك أن التضعيف عندهم يؤذن بهذه المبالغة المتحصلة من ضم الثنائي الى مثله • ونستطيع أن نستقري من هذه الافعال مادة تعرب عن صوت شديد أو خفيف وقد يكون في هذا الصوت لون من حركة ما ، ومن ذلك مثلا : طقطق وقمقع وجعجع وطنطن وفحفح • وفي هذا شيء من حكاية لصوت ما ، وفيه ايضاً تتضح الصلة بين الصوت والمدلول وهو ما يدعى بـ "onomatopie" ونستطيع أن نرد الى هذا جميع الكلمات التى تعرب عن الاصوات التي الصقها العرب بالمصادر التي تخرج منها هذه الأصوات • وكأنهم لمحوا في هذا التضعيف طريقة حسنة لحكاية الأصوات ولذا جاءت الكلمات الآتية في العربية : دندن وزمزم ومأمأ ونحنح وصلصل ولقلق ومثل هذا من الأسماء ضوضى وغوغى وعَوْعى وذلك كثير في العربية •

ومن الرباعي المضعف ما أعرب عن عيب من عيوب النطق ومن ذلك: التمتمة واللجلجة والخنخنة والتعتعة والتأتأة والوصوصة والوطوطة والتلتلة •

وقد يكون في هذا الرباعي شيء من الافصاح عن حركة ما نحو : دَحدَحَ بمعنى مشى بسرعة وبخطى قصيرة وغلغل بمعنى أسرع وشغشغ بمعنى أسرع ومثله فرفر وزكزك ودعدع • ومنه هَدهَدَ يقال : هدهدت الام طفلها لينام وكذا ذبذب ودلدل بمعنى حرّك ودفع وكذا دغدغ وبلبل •

على أن هذه الحركة المؤداة بهـذه الطـريقة من تكـرار الثنائيين الصحيحين تقتضى التكرار وهذا التكرار نلمحه في رأرأ اى لمع للسراب ورقرق للماء ولعلع للسراب ايضاً ولألأ وقد يكون هذا من اللؤلؤ وفي اللؤلؤ حركة تنجم عن اللمعان والبريق •

وقد جاء هذا النوع من المضعف الرباعي في الأسماء كثيراً فمـن الفاظ الصحراء وأوصافه جاء : بَسْبَس ومقلوبه سَبْسَب ومثله فَدْفَد وصَفْصَف ونَفْنَف وصَحْصَح ومَوْمَى وموماة •

ومادة حكاية الأصوات قد اعطت ألفاظاً هي من أسماء الحيـوان والطير وسائر الدواب وقد أطلقت هذه على هذه الاحياء حكاية لأصواتها •

ومن ذلك : صَرصَر نوع من الحشرات ومثله عَقعَق لنوع من الطير ومثله صَعْصَع •

ومن ذلك : وَطواط و وَرْوار ورَفْراف وكلها من الطير ومثله بُلبُل وجُدجُد وفَسْفَس وزُرزور •

وقد ورد من المضعف شيء يدخل في أسماء النبات والشجر ومن ذلك : سِمْسِم ونَعْنَع ومِشمِش وفِلفِل •

ومن هذه المادة الرباعية ما يدخـل في خلـق الانسـان ومن ذلك العُصْعُص وهو من عظام العجـز في الانسـان والنُغْنُغ مـن اجـزاء الحُنجُرة •

ومن هذه المادة يدخل الشيء الكثير من المعاني التى تفيد الكثـرة والمبالغة دون الاعراب عن حكاية لصوت او بيان لحركة مستمرة متناوبة وهذا كثير ومنه : نَهنَه بمعنى أبعد وفضفض أي صار رحباً وهو من الفضاء ورَعْرَع بمعنى كبَّر النبات وكثَّره وكَسْكَسَ بمعنى سحق وضَعْضَع

بمعنى اضعف وطأطأ بمعنى حنى رأسه والطَأطأ هو الارض المنخفضة •
في هذا القدر ايجاز وتلخيص لورود هذه المادة في العربية الفصيحة •
وأريد الآن أن اعرض لما في العامية العراقية من هـذه المـادة واستقراء العامية في هذا الموضوع يدل على أن سبيلها في حكاية الأصوات قد جرى كما حدث في الفصيح من العربية •

ومن ذلك : لعلع للصوت الشديد العالي يقال لمن يتكلم بصوت عال : « لعلع » ويحكى بذلك صوت العيارات النارية •

ومنه « بَقْبَق » لصوت الماء حين يجرى في ساقية فيصطدم بصخرة ، او يقال لصوت الماء وهو ينزل قطرات فيحدث صوت نتيجة لذلك •

ومنه (قرقر) لصوت البطن و (معمع) لصوت الضأن و (خنخن) لمن يتكلم من منخريه و (هلهل) بمعنى هلل وأنشد وصاح من الفرح ، و (كركر) للضحك ، و (بشبش) بمعنى (همس) و (طبطب) وهو الصوت الغليظ الذى يحكي صوت الماشي على بلاط او خشب مثلاً • ومنه (بَسبَس) لمن يتكلم بصوت منخفض • ومنه (لقلق) لمن يتقعر في كلامه باظهار الصوت وأظنه في العامية مقلوب (قلقل) وذلك ان (اللقلقة) في العامية تفيد الكلام الذى يأتى فيه صاحبه بالقاف كثيراً •

ومن ذلك (دمدم) بمعنى جمجم في كلامه من غير افصاح دليلا على عدم الرضى •

ومن ذلك (نقنق) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة بمعنى يقاطع الآخرين في كلامهم كثيراً ولا يأتي بشيء مفيد في مقاطعاته وهـذا من العـادات المستكرة • وكأن هذا من نقيق الضفدع •

ومن ذلك (دشدش) حكاية لصوت الثوب الجديد عند لبسه أول مرة مثلاً •

ومن ذلك (جقجق) بالجيم الفارسية حكاية لصوت الدهن حين يحترق مثلاً •

ونستطيع أن نبصر الحركة الخفيفة التي تحدث ببطء وباستمرار أو

بصورة متقطعة في هذه الأفعال الرباعية ومن ذلك :

(زعزع) بمعنى دفع وحرك وأزاح ومثله (زَحْزَح) .

ومن ذلك (ضَعضَع) بمعنى أضعف نتيجة لحركة ما يقال : ضعضع البناء اذا احدث فيه خللاً فاضطرب في تماسكه وقوته .

ومن ذلك (خَلخَل) اذا احدث خللاً في جسم من الاجسام فأدى ذلك الى حركة ما .

ومن ذلك (هدهد) بمعنى أضعف . يقال هَدهَدَ جسمه بمعنى اجهده فكأن كل عضو فيه لم يستقر في مكانه .

ومن ذلك (هزهز) للاهتزاز بشكل مستمر وبطء .

ومن ذلك (نعنع) يقال نَعنَع عظامه أي كسرها وفتتها .

ومن ذلك (حلحل) بمعنى فصل الاجزاء المتصلة بحركته المستمرة .

وقد نستقري طائفة من هذه الافعال أفادت من التضعيف الكثرة والمبالغة والقوة ، وهذا كثير ايضاً واليك ما ورد منه في هذه اللغة العامية :

(شدشدَ) أي شدَّ كثيراً .

و (كبكب) أي كب الشيء كثيراً بمعنى قبَّه أي كوَّرَه وجعله كالكرة .

و (شرشر) يقال : شرشر الملابس أي نشرها لتجف .

و (فلفل) أي وضع الفلفل في الطعام . وقد يؤدي هذا الفعل معنى آخر فالشَعْر المفلفل هو الجَعد غير السبط مثل شعر الزنج .

و (نسنس) يقال نسنس الثوب أي مشى فيه شيء من فعل النار فبدا كانه محترق .

و (لملم) اي لمَّ ما حوله من الاشياء .

و (لفلف) أي اخذ كل شيء له وحاز عليه .

و (دقدق) أي دقق كثيراً في عمله وسلوكه وكل ما يتصل به .

و (علعل) أي صيّره عليلاً .

و (غمغم) يقال (غمغم) أي غُمَّ عليه الامر .

وقد يرد هذا الرباعي على هذه الطريقة من ضم الثنائين الى بعضهما

في حين ان الثلاثي من ذلك الفعل الرباعي فعل ناقص ومن ذلك :

(بَكْبَكَ) واستعماله مزيداً بالتاء يقال فلان يتبكبك اي يتباكى تظاهراً ورثاءاً • والاصل الثلاثي (بكى) • وقد جاء في فصيح العربية شيء من هذا فقولهم (فضفض) اي صار رحباً وهو من الفضاء •

ومن ذلك (نشنش) وهو من الأفعال العامية ويعنى الاستمتاع والاطمئنان وهو من (النشوة) ومعناه معروف في الفصيح كما أنه مستعمل في العامية •

وقد دل الاستقراء في العامية على أفعال رباعية مضعفة جاءت من الأسماء ومن ذلك :

(رَبْرَب) يقال : فلان يربرب أي يتكلم ليظهر سخطه وغضبه وكأن الذي يفعل ذلك يكثر من استعمال كلمة « الرب » •

ومن ذلك (رَصَرصَ) وهو من الرصاص يقال رَصرَص الباب أو القفل أو أي شيء آخر ربطه أو شده بالرصاص تقوية وتثبيتاً • ويقال : فلان مرصرص على سبيل المجاز أي صار كالرصاص صلابة وقوة •

ومن ذلك (صرصر) أي شد الاشياء في صُرَر والصُرَّة هي الشيء المضموم في قطعة من القماش أو القطعة نفسها •

ومن ذلك (عَبْعَب) وهو من العِب والعِب في العامية ما فوق الحزام وهو حيز يكون بين الملابس التحتية والملابس الفوقية • ويستخدمه العامة لحفظ بعض الاشياء مثل كيس النقود وما الى هذا • وعبعب فلان أي ملأ عبه فبدا ضخماً •

هذا ايجاز لما في العامية من افعال رباعية كثيرة وقد اجتزأت بهذا القدر لأظهر المعاني العامة التي ينصرف اليها الرباعي في هذا اللسان الدارج •

مازاد على الأفعال الرباعية

وهذه افعال أخرى جاءت في العربية الفصيحة كما جاءت في العامية •
وأغلب هذه الأفعال من النوادر الفرائد التي قبعت في بطون المطولات من كتب اللغة • ألا ترى أن احرنجم واجلوذَّ واسلنقى واحرنبى واكوأدَّ وازلعبَّ واشمخرَّ مواد تعافتها العربية وصارت شواهد يؤتى بها في كتب اللغة وكتب الصرف •

غير أن من هذا ما جاء واشتهر في الاستعمال نحو : اطمأن واضمحل واقشعر واشمأز ونحو ذلك •

وسبيل هذه الافعال الرجوع بها الى الرباعي • وقد سبق الكلام على شيء من هذا •

« الجملة الفعلية »

قسم النحاة الاقدمون الجملة العربية قسمين : اسمية وفعلية • وقد جرى على مثل هذا التقسيم الكثير من النحويين في اللغات المختلفة • فقد صنفت الجمل في اللغات اللاتينية هذا التصنيف • ولا يهمنا في هذه المسألة أن يكون اساس التقسيم اغريقياً فالمعروف ان الاغريق الاقدمين أطالوا البحث في مسألة الجملة وتقسيمها ومسألة الاسناد فيها •

وقد يكون مسلماً ان العرب توصلوا الى تقسيمهم هذا دون أن يكونوا متأثرين بنحو أجنبي ، أو قل : انهم جروا على طريقة اجنبية كائنة ما كانت •

والجملة الاسمية عند النحويين العرب ما صدرت باسم ، وعلى هذا فان الجملة الفعلية هي المصدرة بالفعل كما ذهب الى ذلك ابن هشام في كتابه (مغنى اللبيب)[1] • واتفق النحويون على هذا الاعتبار غير أنهم اختلفوا في قولهم : (قائم الزيدان) فهي اسمية عند البصريين جرياً على الحد الذي رسموه للاسمية ، وفعلية عند الكوفيين لان (قائم) فعل عندهم كما رأينا ، وسنعرض لهذه المسألة •

ولن نخرج في بحثنا في مسألة الجملة عن الاسناد فالجملة كيفما كانت اسمية أو فعلية قضية اسنادية • والاسناد اللغوي علاقة وارتباط من طرفين موضوع ومحمول أو مسند أو مسند اليه • ولا بأس ان استعير هذه المصطلحات الفلسفية وهي المصطلحات التي أخذها العرب متأثرين بالقضية

---

(١) ابن هشام ، مغنى اللبيب ٢/ ٤٠ (المطبعة الازهرية) •

المنطقية عند الاغريق • والفعل والفاعل ، في الجملة الفعلية العربية ، والمبتدأ والخبر في الجلة الاسمية لا يخرج عن طرفي الاسناد •

واذا كنا ندعو الى فهم النحو فهماً جديداً ينبني على وصف الجملة وعلاقة كل جزء من اجزائها ببعضها فمن اللازم أن نظل في هذا المنهج فننبذ التعليلات والتفسيرات والتخريجات التي تبعدنا عن المنهج العلمي الصحيح فنظل في متاهات بعيدة كل البعد عن العلم اللغوي • واذا درج الباحث على تفسير الجملة الفعلية باختراع أسباب ومسوغات أدت الى تقديم الفعل فهو منته لا محالة الى نحو يشبه النحو القديم ولم يكن من اختلاف بينهما الا في كون التفسير الحديث غير تفسير القدامى •

وقد بدأ بدراسة الجملة العربية النحويون ثم عقب على هؤلاء البلاغيون • ولم يبتعد النحويون في هذه المسألة عن العلم اللغوي كثيراً على نحو ما جرى للبلاغيين الذين فسروا هذه المسائل اللغوية فلم يكتفوا بذكر العلاقة بين اجزاء الجملة بل جروا على تفسير هذه المسألة تفسيراً يقرب من توجيهاتهم البلاغية كما سنرى • ومن هؤلاء عبدالقاهر الجرجاني فقد ذكر في دلائل الاعجاز ما نصه :

« ان موضوع الاسم على ان يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء ، واما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً فشيئاً ، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك : زيد طويل ، وعمرو قصير ، فكما لا يقصد ههنا الى أن نجعل الطول والقصر يتجدد ، ويحدث ، بل توجبهما ، وتقضي بوجودهما على الاطلاق ، كذلك لا تتعرض في قولك : زيد منطلق لاكثر من اثباته لزيد • واما الفعل يقصد فيه الى ذلك فاذا قلت : زيد هو ذا ينطلق فقد زعمت ان الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً ، وجعلته يزاوله ويزجّيه ، وان شئت ان تحس الفرق بينهما من حيث يلطف وتأمل هذا البيت :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا   لكن يمر عليها وهو منطلق

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى ، ولو قلته بالفعل : لكن يمر عليها وهو

وهو ينطلق لم يحسن[٢] وعلى هذا فالجملة الاسمية مادل فيها المسند على الدوام والثبوت •

ومقالة الجرجاني هذه في التمييز بين الفعل والاسم ينبني عليها التمييز بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية •

ومن هذه المقالة اتخذ الدكتور المخزومي[٣] مادةً ميز فيها الجملة الفعلية عن الجملة الاسمية فتوصل الى إن الجملة الفعلية ما أفاد فيها المسند وهو الفعل التجدد ، أو التي يتصف فيها المسند اليه بالمسند اتصافاً متجدداً • وعنده ان التجدد حاصل من الفعل •

والجملة الاسمية هي التي افاد فيها المسند الدوام والثبوت ، أو التي يتصف فيها المسند اليه بالمسند اتصافاً ثابتاً غير متجدد • ومن هنا فالخلاف بين الاسمية والفعلية في رأي الاسناد المخزومي خلاف بين فعل متجدد واسم ثابت دائم • وهذه التفاتة الجرجاني الى الموضوع •

والذي أراه ان مقالة الجرجاني بحث أدبي قائم على الذوق وهو ان صلح في مادة النقد البلاغي فلا يمكن أن يكون ذا فائـدة في النحو الـذي لا يقبل مثل هذه التوجيهات الفنية ، بل سبيله ذكر أقسام الجملة وعلاقة كل جزء بالآخر وما يطرأ على كل جزء من هذه الاجزاء من آثار اسميناهـا اصطلاحاً الاعراب •

وعلى هذا فلا يصح ان يتخذ البحث الحديث في علم النحو مادة لا تأتلف وطبيعته ومنهجه وهي مستعارة من علم آخر كما استعار الأقدمون الاسلوب المنطقي العقلي في مادتهم النحوية فأفسدها • والذي نعيبه على الاقدمين حصل مثله لدى نفر من الباحثين المحدثين •

ومثل مقالة الجرجاني ما نقله الاستاذ المخزومي عن الخطيب القزويني في « تلخيص المفتاح » من كلامه في ذكر أحوال المسند : « أما كونه ــ أي

---

(٢) الجرجاني ، دلائل الاعجاز ص ١٣٣ •

(٣) المخزومي ، في النحو العربي ص ٤١ •

المسند ـ فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجه مع افادة التجديد »(٤) .

وقد خالف الدكتور المخزومي الأقدمين في حد الجملتين الفعلية والاسمية ، فقد ذكرو ان الجملة الفعلية ما كان فيها المسند فعلاً ، والاسمية ما كان فيها المسند اسماً .

أما النحويون الاقدمون فقد اهتموا بصدر الجملة فاذا كان فعلاً فهي فعلية ، واذا كان اسماً فهي اسمية . وعلى هذا فان قولهم : « سافر محمد » جملة فعلية ، وقولهم « محمد سافر » جملة اسمية .

وفي هذا يكون الخلاف بين حد المخزومي للجملة وحد النحويين الاقدمين .

وقد أصاب الاستاذ المخزومي الحقيقة في الحد الذي رسمه للجملة فان « سافر محمد » جملة فعلية هي نفسها « محمد سافر » . غير أن الدكتور المخزومي الذى أفاد من مقالة الجرجاني واتخذها دليلاً للتميز بين الجملتين الاسمية والفعلية لم يفطن الى ان هذه المقالة حجة عليه فالتجدد المنسوب للفعل المنسوب للاسم يتحقق في قولهم : « محمد سافر » و « سافر محمد » ومن هنا لا يمكن للسيد المخزومي ان يعتبر الجملتين فعليتين لوجود الاسم في الاولى صدراً فيها ، والفعل في الثانية صدراً فيها أيضاً . وعلى هذا فلا يمكن للسيد المخزومي ولا لغيره الافادة من هذه المقالة البلاغية النقدية .

اما نحن فنقول ان « محمد سافر » و « سافر محمد » جملتان فعليتان ما دام المسند فعلاً وليس لنا ان نلصق التجدد بالفعل لان ذلك ليس من منهجنا ، ولأن الشواهد لا تؤيد هذا التجدد المزعوم .

وكيف لنا أن نفهم التجدد والحدوث في قولنا « مات محمد » و « هلك خالد ، وانصرف بكر . فهذه الافعال كلها أحداث منقطعة لم يكن لنا ان نجريها على التجدد .

ولعله قد فات الاستاذ المخزومي شيء في مقالة عبدالقاهر الجرجاني هو ان المثال الذي جاء فيها كان الفعل فيه « ينطلق » وبناء « يفعل » أو المضارع

---

(٤) الخطيب القزويني ، تلخيص المفتاح ص ٤٧ .

يفيد التجدد والحدوث • واختيار الجرجاني ل « ينطلق » مفيد له في اثبات مقالته • أما ان يكون الفعل : سافر وذهب ومات وما الى هذا فليـ ي ذلك ما يحقق غرض الجرجاني ولا ما ذهب اليه الاستاذ المخزومي •

وقد فرّ النحويون البصريون من اعتبار « محمد سافر » جملة فعلية ، وان « محمد » فاعل للفعل « سافر » المتأخر ، وذلك لأنهم يعتبرون الفعل عاملاً ذا أصالة في العمل ومن هنا كان حقه ان يتقدم ، فاذا تأخر الفعل فليس لهم الا ان يعتبروا الاسم المتقدم مبتدأً ، والفعل في هذه الحالة لا يمكن أن يخلو من فاعل ، وهو في قولنا : « محمد سافَرَ » ضمير الاسم المتقدم •

وقد جرّهم الى هذا الاعتبار مسألة العمل والعامل • وقد اختصر الـكوفيون هذه المسألة فقالوا بأن الفاعل هو الاسم المتقدم وللفعل الذي تأخر عنه • وعندهم ان « سافر محمد » لا تختلف نحواً عن قولهم « محمد سافر » والخلاف بين الجملتين لا يمكن ان يكون مادة نحوية فهي من مسـائل الاسلوب ، والتقديم والتأخير من مواد النقد البلاغي ، والعناية بلفظ من الالفاظ تقتضي تقديمه عندهم •

ويحسن بنا أن نعرض لهذه المادة في مقالة لأحد شيوخ هذا العصر وهو الشيخ علي الجارم وهو من هو في مادة النحو فقد خبرها وعلمها وكتب فيها • ومقالته هذه منشورة في مجلة مجمع اللغة العربية ، وفي هذه المقـالة يعتبر الاستاذ الجارم الجملة الفعلية ما صدرت بفعل ، والجملة الاسمية ما صدرت باسم •

وعلى هذا الأساس يكون « جاء محمد » جملة فعلية ، و « محمد جاء » جملة اسمية وهو الحد الذي رسمه الاقدمون للجملتين الفعلية والاسمية •

ولاثبات هذه الحقيقة ينظر الشيخ الجارم الى المسألة نظراً خاصـاً فيقول :

« تقتضي العقلية العربية أن تكون الجملة الفعلية الأصل والغالب الـكثير في التعبير لان العربي جرت سليقته ودفعته فطـرته الى الاهتمـام بالحدث في الأحوال العادية الـكثيرة وهي التي لا يريد فيها ان ينبه السامع

الى الاهتمام بما وقع منه الحدث أو التي لا يهتم هو فيها بمن وقع منه الحدث ، فالأساس عنده في الاخبار أن يبدأ بالفعل فيقول : عدا الفرس ، ورعت الماشية ، وعاد المسافر . وقد يلتجيء العربي الى الجملة الاسمية اذا كان القصد الى الفاعل والى الاسراع بازالة الشك فيمن صدر منه الفعل ، فيبدأ بذكره أولاً قبل أن يذكر الفعل لكي يخصصه به أو لكي يبعد الشبهة عن السامع ويمنعه أن يظن به الغلط أو التزيد »(٥) .

ومن هنا نعلم ان الجارم يرى انالجملة العربية في الأصل هي الفعلية وهي المصدرة بالفعل وذلك لاهتمام العربي بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة ، وبهذا جرت سليقته ودفعته فطرته .

أقول ان الجارم مفتقر الى ان يثبت هذا الرأي بالاستقراء الوافي الشافي ليطلع علينا فيقول : « ان الاساس عند العربي في الاخبار ان يبدأ بالفعل » . وأنّى له أن يحقق هذا الاستقراء وكيف يتحقق وكلام العربية المأثور كثير لا يظفر به انسان والذي ضاع من كلامهم أكثر . ولنا أن نتذكر مقالة ابي عمر بن العلاء وهي : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير »(٦) .

وكأن الشيخ الجارم يفرق بين الفعلية والاسمية في أن الاولى وهي المصدرة بالفعل تشير الى الاهتمام بالحدث ، أما الاسمية وهي المصدرة باسم فانها تشير الى الاهتمام بمن وقع منه الحدث . وهو يريد أن يقول مقالة البلاغيين في ان تقديم اللفظ على غيره دليل الاهتمام به .

وهذه المسألة البلاغية لا يمكن أن تكون مادة في البحث النحوي . والشيخ الجارم يجد في « دلائل الاعجاز » للجرجاني ما أعانه على اثبات ما اثبته ، وهو في ذلك كالاستاذ المخزومي في التماس مادته من المصدر نفسه .

---

(٥) علي الجارم ، الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية (مقالة في الجزء السابع من مجلة مجمع اللغة العربية . القاهرة ١٩٥٣) .

(٦) ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ١٧ .

يقول الجرجاني : « فاذا عمدت الى الذي أردت ان تحدث عنه بفعل فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت : زيد قد فعل وأنا فعلت وانت فعلت ، اقتضى ذلك أن يكون القصد الى الفاعل . الا ان المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين : أحدهما جلي لا يشكل وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر أو دون كل أحد . ومثال ذلك : أنا كتبت في معنيّ فلان وأنا شفعت في بابه ، تريد ان تدعي الانفراد بذلك والاستبداد به وتزيل الاشتباه فيه وترد على من زعم ان ذلك كان من غيرك أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت . ومن البيّن في ذلك قولهم في المثل : أتعلمني بضبٍ أنا حرشته ؟

والقسم الثاني ألا يكون القصد الى الفاعل على هذا المعنى ولكن على انك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل وتمنعه من الشك ، فأنت لذلك تبدأ بذكره وتوقعه أولاً ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه ، لكي تباعده بذلك من الشبهة وتمنعه من الانكار ، أو من أن يظن بك الغلط أو التزيد ، ومثاله قولك : هو يعطي الجزيل وهو يحب الثناء : لا تريد ان تزعم أنه ليس ههنا من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره ، ولا ان تعرض بانسان وتحطه عنه وتجعله لا يعطي كما يعطى ولا يرغب كما يرغب ، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن اعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه ، وأن تمكن ذلك في نفسه ... » .

وقال عبدالقاهر : « ومما يحسن ذلك ويكثر ، الوعد والضمان كقول الرجل : أنا اعطيك ، أنا ألفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر ... وكذلك يكثر في المدح والفخر نحو :

نحن في المشتاة ندعو الجَفَلى   لا ترى الآدب فينا ينتقر[٧]

وينتقل عبدالقاهر الجرجاني الى الحديث في عادة العربي بالتعبير بالجملة الفعلية اذا لم يوجد مقتضٍ للاهتمام بالفاعل فيقول :

« ويزيدك بياناً أنه اذا كان الفعل مما لا يشك فيه ولا ينكر بحال

---

(٧) الجرجاني دلائل الاعجاز ص ٩٩ .

لم يكد يجيء على هذا الوجه ، ولكن يؤتى به غير مبنى على اسم ، فاذا اخبرت بالخروج مثلاً عن رجل من عادته ان يخرج في كل غداة قلت : قد خرج ، ولم تحتج الى ان تقول : هو قد خرج . ذلك لانه ليس بشيء يشك فيه السامع فتحتاج أن تحققه والى ان تقدم فيه ذكر المحدث عنه . وكذلك اذا علم السامع من حال رجل أنه على نية الركوب والمضي الى موضع ولم يكن شك وتردد أنه يركب أو لا يركب ، كان خبرك فيه أن تقول : قد ركب ، ولا تقول : هو قد ركب » .

وهكذا يبني الاستاذ الجارم ملاحظته فيقول : ان من طبيعة العربي تقديم ما يهتم به ، فهو مطبوع بشعوره الخاص على ان يبدأ الكلام بما يرى أن السامع في حاجة الى تقديمه ، فاذا قال : « سبقت فرسى » فانه يرى أن السامع يتطلع أولاً الى وقوع الحدث وهو السبق ، ثم يأتي صدور السبق من الفرس ثانياً .

والجرجاني يعرض لهذا الموضوع كما يعرض للتقديم والتأخير فيذهب هذا المذهب النقدي في تنويع الاساليب الكلامية .

وعلى هذا فان هذا المنحى ليس منهجاً نحوياً ولا يقرب منه في أي وجه من الوجوه .

ويلتمس الشيخ الجارم اثبات حجته في تقديم ما يشعر بالاهتمام في جميع المواضع التي حدث فيها التقديم وهي مسائل كثيرة بعضها يتقدم لغرض ما ، كما قالوا وبعضها مما له الصدارة في الكلام .

ويلتمس الشيخ الجارم فرقاً آخر بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية فيقول :

« ثم ان العربي ميال بفطرته الى الايجاز وتجنب الفضول فهو يقول : جاء الرجل ولا يقول : الرجل جاء ، لان الثانية تتضمن تكرار الاسناد لا محالة . وهو لا يلجأ الى تكرار الاسناد الا لغرض بلاغي »(٧) .

---

(٨) الجارم ، الجملة الفعلية (مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧ ص ٣٥٠) .

والشيخ الجارم يعتبر ان في « جاء الرجل » ايجازاً وتجنباً للفضول ، وفي « الرجل جاء تكرار للاسناد » ولا نعلم نحن هذا الذي يقوله الشيخ الجارم من وجود الاسناد في الفعل المتأخر ، وهو هنا يرى رأي البصريين من الاقدمين وهو أن الفعل ان لم يرفع ظاهراً فلابد ان يرفع ضميراً يرجع على ظاهر متقدم •

وكأن الجارم قد شعر في نهاية عرضه ان للكوفيين رأياً ينافي ما ذهب اليه فقال :

« حقاً ان الكوفيين أجازوا تقديم الفاعل على الفعل ، وان مثل قولك : « الرجل قام » لا يتضمن الفعل فيه ضميراً على رأيهم وأنه كقولك « قام الرجل » تماماً •

ولكن الجارم لا يميل الى الأخذ بهذه المقالة الكوفية السهلة الواضحة فيعدل عنها الى قوله : « ولكني ارى ان نحيزة العربي ألا يخلي فعلاً من فاعله ، سواء أكان هذا الفاعل ظاهراً أم ضميراً بارزاً أم مستتراً ، وان ذوقه العام يقتضيه ان يقدم . . ب على الفاعل كما نراه في الكثير من لغة العرب » •

ورأي الكوفيين في هذه المسألة مقبول وذلك لقربه من المنهج الوصفي الواقعي •

وقد كان السيد المخزومي مصيباً باتباعه رأي الكوفيين في هذا الموضوع •

واتباع هذا الرأي له نتائج في غير هذا الباب ، فقد عرف المعربون ان في قوله تعالى : « وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأخبره » اداة شرط هي (إن) وبعدها اسم مرفوع هو فاعل ولكن هذا الفاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور ، وينبني على هذا ان الفعل المفسِّر المذكور هو في جملة لا محل لها من الاعراب لانها جملة تفسيرية • والسبب في هذا الاسلوب المعقد هو أنهم اعتبروا المرفوع فاعلاً واذا كان فاعلاً فلابد ان يرفعه فعل يسبقه وفي هذه الجملة يكون هذا الفعل السابق نظير الفعل المتأخر

المذكور • وتأخر الفعل عندهم مدعاة الى ان يتحمل ضمير الاسم المتقدم • ومثل هذا الاسلوب يتبعونه في باب ما اسموه بالاشتغال وذلك كما في : « ان محمداً قابلته فأكرمه » فان « محمداً » مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور ، وقالوا أيضاً : ان الفعل (أكرمْ) اشتغل عن نصب الاسم المتقدم بنصب ضميره •

ولكننا اذا اتبعنا مقالة الكوفيين سهل علينا الامر وصار « أحد » في الآية الكريمة فاعل للفعل المتأخر المذكور بعده ، كما ان « محمداً » مفعول به لنفعل المتأخر المذكور ، وعلى هذا فليس هناك باب يدعي بـ (الاشتغال) وفذلكة الفعل المشغول عن نصب الاسم المتقدم بنصب ضميره المباشر له • ونتجنب التعقيد والاصطناع ان اعتبرنا محمداً مفعولاً به للفعل المتأخر وهو (اكرمه) والهاء في هذا الفعل ليست الا كناية عن الاسم المتقدم واشارة اليه • ومن اصطناعهم وتعقيدهم قولهم في « إنْ محمداً مررت به فسلّم عليه » : ان « محمداً » منصوب بفعل محذوف هو في معنى (مرّ) وهم يقدرون ذلك (جاوز) والتقدير: إنْ جاوزت محمداً مررت به •••»•

وهذا كله قد حصل لهم بسبب من فهمهم الخاص للجملة الفعلية ، وبسبب من ادراكهم المصطنع للفعل والفاعل ومكانة الفعل بالنسبة للفاعل ، ومرد ذلك كله الى أنهم درسوا المسائل اللغوية النحوية بطريقة تبتعد عن الحقيقة اللغوية •

لقد تبين لنا ان الجملة الفعلية في العربية ما كان فيها المسند فعلاً ، ونريد هنا أن نبعد ما اعتبروه من قبيل الجمل الفعلية كجملة فعل الامر وسائر الافعال التي تخلص الى معنى الطلب كالنهي •

ان قولنا : اكتب واكتبا واكتبي واكتبن ، ولا تلعب ولا تلعبا ولا تلعبوا ولا تلعبي ولا تلعبن جمل وذلك لانها مفيدة ، وشرط الافادة متوفر في هذه الالفاظ التي تكتسب ذلك من الظرف الذى تطلق فيه فاذا قلت : اكتبْ في حال وجود مخاطب هو « محمد » مطلوب منه ان يكتب • غير أن اسلوب الطلب هذا يفتقر الى الاسناد وعلى هذا فهي ليست جملاً اسنادية يسند فيها

الفعل للفاعل وليس فيها مسند اليه ، وعلاقة هذه الافعال بالمخاطب ليست علاقة اسناد ولا يمكن ان يكون الفاعل ضميراً مستتراً هو (انت) ، وفي قولنا : اكتبا واكتبوا واكتبي واكتبن ولا يمكن ان يكون كل من الالف والواو والنون فاعلاً ، وهذه ليست ضمائر بل هي اشارات تشير الى أن المخاطب مثنى أو مجموعاً أو مؤنثاً ، وهي من غير شك تشبه الالف في «الرجلان» والواو في جمع المذكر السالم والياء في المثنى وجمع المذكر السالم ، فكما لا يقال : ان الواو في « المسلمون » ضمير كذلك لا ينبغي ان يقال : ان الواو في « يفعلون » ضمير •

وعلى هذا فانه لا يمكن ان يقال : ان في اسلوب الأمر على النحو الذي مثلنا اسناداً يدخل هذا الأسلوب في عداد الجملة الفعلية الاسنادية ، وهي بهذا الاعتبار جمل مفيدة فعلية ولكنها غير اسنادية •

والى مثل هذا ذهب الدكتور عبدالرحمن أيوب فأخرج جملة النداء وجملة نعم وبئس وجملة التعجب من الجمل الفعلية الاسنادية وسمى ذلك جملاً غير اسنادية ، وعنده ان الجملة الاسنادية تكون : اسمية وفعلية[٩] •

وربما اختلفنا مع الدكتور في المصطلح الذي وسم به هذه الجمل غير الاسنادية فقد تخلص بوسمها بالجمل غير الاسنادية ، وهذا صحيح الا أن هذه التسمية لا تنفي كونها جملاً فعلية فكان ينبغي ان يقال : جمل فعلية غير اسنادية •

وقد حصر الدكتور أيوب الجملة غير الاسنادية فيما أسميناه باسلوب المدح والذم واسلوب التعجب وبجملة النداء ، وربما كان عليه ان يدخل في هذه الجمل جمل الطلب كالفعل الأمر والفعل المضارع المسبوق بـ (لا) الناهية كما بينّا •

أما اسلوب النداء نحو : يا محمدُ ، ويا عبدَالله فللنحاة فيه كلام طويل ، وعندهم ان المنادي مفعول به في الأصل ولذلك أدرجوا المنادي في باب المنصوبات •

---

(٩) عبدالرحمن أيوب ، دراسات نقدية في النحو العربي ص ١٢٩ •

زعم النحويون ان اداة النداء تنوب عن « فعل » وتقوم مقامه بل حلت محله ، وهذا الفعل قدروه بـ (أدعو) أو (انادي) • والذي جعلهم يذهبون هذا المذهب أنهم أدرجوا المنادى في باب المنصوبات وان المنادى منصوب في الحقيقة وهو مفعول به بهذه الأداة التي نابت مناب الفعل (أدعو) ، أو أن المنادى منصوب بالأداة نفسها كما ذهب الى ذلك المبرد ، لسدّ الفعل[10] وتضمنها معناه •

وحقيقة الأمر على خلاف ما ذهب اليه النحاة الأقدمون ، فليس من العلم ان يقال : ان هذه الادوات نابت مناب فعل هو « ادعو » أو أنها سدت مسدها وذلك لان قولنا : « يامحمد » اسلوب يفيد النداء والنداء نوع من أنواع التنبيه • وقد حفلت العربية بالفاظ كثيرة تفصح عن التنبيه ، وان أدوات النداء وهي الهمزة و « يا » و « أيا » و « هيا » و « وا » من هذه الأدوات التنبيهية التي يؤدي بها هذا الأسلوب الذي اصطلح عليه بالنداء •

واذا قلنا : ان « يا » تعني الفعل « ادعو » أو نابت منابه ، انبنى على قولنا هذا أن « يا محمد » يعني « ادعو محمداً » ومن غير شك ان اسلوب النداء من الأساليب الخاصة التي لا يمكن ان تكون من قبيل الجمل الفعلية الاسنادية ، فليس فيها أي لون من الوان الاسناد ، في حين أن (ادعو محمداً) جملة فعلية اسنادية فيها المسند اليه وهو المتكلم والمسند وهو الفعل « ادعو » •

ولقد بحث علماء المعاني في الجملة العربية بحثاً خاصاً بهم وذلك لان ما خاضوا فيه ليس من مادة النحو الذي يقتصر على على اجزاء الجملة وعلاقات هذه الاجزاء ببعضها ووصفها كما تبدو في بناء الجملة •

توصل هؤلاء البلاغيون الى القول بـ « الخبر » و « الانشاء » وعلى هذا فقد قسموا الجملة الى :

(١) خبرية : وهي ما تحتمل الصدق والكذب نحو : سافر محمد ومحمد مسافر •

(٢) انشائية : وهي ما لا تحتمل الصدق والكذب نحو : اكتبْ ،

---

(١٠) الرضي ، شرح الكافية ١/١٣١ •

ولا تلعبْ وكأن النحويين المتأخرين شعروا بأن النداء داخل في حيز الجملة الانشائية • وعلى هذا فكيف يكون « يا محمد » بمعنى « ادعو محمداً » في حين ان الجملة الثانية خبر وليس انشاءً •

أقول شعر النحويون بهذا التناقض فتناولوا هذا الموضوع فقد جاء في حاشية الصبان :

« واعترض نيابة حرف النداء عن (ادعو) بأن (ادعو) خبر • والنداء انشاء ، واجيب بأن (ادعو) نقل الى الانشاء »[11] •

وقد تناول الرضي كلام سيبويه في انتصاب المنادى على أنه مفعول به وناصبه الفعل المقدر وقد فسر الرضي هذا بان التقدير : يا « يا ادعوا زيداً » فحذف الفعل حذفاً لازماً لـكثرة الاستعمال ، ولدلالة حرف النداء عليه وافادته فائدته »[12] فالفعل المقدر تفسيراً لعبارة سيبويه فعل طلبي •

ومن هنا نعرف ان ما ذكره الصبان كان بسبب ما تأثر المتأخرين من النحويين بمباحث أصحاب علم المعاني •

وعلى هذا فان النداء من الأساليب الخاصة التي تؤدي فائـدة من الفوائـد ولا يمكن ان يكون اسلوب النداء من قبيل الجمل الفعلية وليـس في هذا الأسلوب اسناد كما في الجملة الفعلية •

---

(11) حاشية الصبان على شرح الاشموني ٣/١٣٣ •
(12) الرضي ، شرح الكافية ١/١٣١ •

تأنيث الفعل للفاعل

ذكر النحاة ان التاء تلزم الفعل الماضي في موضعين :

أحدهما :ـ أن يسند الفعل الى ضمير مؤنث متصل ، ولا فرق في ذلك بين المؤنث الحقيقي والمجازي فتقول : « هند قامت ، والشمس طلعت » ولا تقول « قام ولا طلع » فان كان الضمير منفصلاً لم يؤت بالتاء نحو : « هند ما قام الا هي » •

أقول : كنا قد ذكرنا في باب « الجملة الفعلية » أن قولنا : « هند قامت » جملة فعلية وهي لا تختلف عن « قامت هند » فان المسند اليه في كل من الجملتين هو « هند » وان المسند في كل منهما هو الفعل « قام » • وعلى هذا فليس الفعل في « هند قامت » مسنداً الى ضمير مؤنث متصل ، بل هـو مسند الى « هند » ، ومن أجل هذا لحقته تاء التأنيث •

أما قول النحويين : فان كان الضمير منفصلاً لم يؤت بالتاء نحو : « هند ما قام الا هي » فليس بشيء وذلك لان هذا المثال لم يصنع على نحو مثالٍ أو أمثلة اشتهرت في الاستعمال ، وما أكثر هذا النمط من الشواهد المصنوعة في كتب النحو القديم ، وكأن النحوي القديم لم يهتم باستيفاء مادته من كلام العرب فربما صنعت الشواهد اعتقاداً منه أن شيئاً من ذلك يجـوز أن يرد في كلامهم •

الثاني : ان يكون الفاعل ظاهراً حقيقي التأنيث نحو : « قامت هند » • وينبني على هذا أن الفاعل اذا كان مجازي التأنيث فلا تلزم التاء نحو : « طلعت الشمس » و « طلع الشمس » •

واذا فصل بين الفعل وفاعله المؤنث الحقيقي بغير « الا » جاز اثبات التاء وحذفها ، والأجود الاثبات فتقول قام اليوم هند والاجود « قامت » .

أقول : لم استطع التأكد من معنى قولهم : « والأجود الاثبات » وذلك لان هذا الزعم يفتقر الى الاستقراء الوافي ولا يستطيع الباحث ان يقطع على هذا النحو في هذه المسألة اللغوية .

واذا فصل بين الفعل واالفاعل المؤنث « بالا » لم يجز اثبات التاء عند الجمهور فتقول : ما قام الا هند ، و « ما طلع الا الشمس » ولا يجوز « ما قامت الا هند » ولا « ما طلعت الا الشمس » وقد جاء في الشعر كقول ذي الرمة :

طوى النحز والأجراز ما في غروضها
وما بقيت الا الضلوعُ الجراشعُ

وقالوا : « وقد تحذف التاء من الفعل المسند الى مؤنث حقيقي التأنيث من غير فصل وهو قليل جداً ، حكى سيبويه : « قال فلانة » ، وقد تحذف التاء من الفعل المسند الى ضمير المؤنث المجازي وهو مخصوص بالشعر كقوله :

فلا مزنة ودقت ودقَها ولا أرض ابقل إبقالهَا

ويبدو ان الخروج على الكثير الشائع في الاستعمال أكثر ما يكون في لغة الشعر ، ولغة الشعر يتسامح فيها بسبب من كونها لغة خاصة في اوزانها وقوافيها وبناء جملها من حيث التقديم والتأخير .

واذا اسند الفعل الى جمع تكسير لمذكر أو لمؤنث ، أو جمع سلامة لمؤنث جاز اثبات التاء وحذفها نحو قوله تعالى : « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات » (سورة آل عمران ١٨٣) .

وقوله تعالى : « اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم » (سورة فصلت ١٤) .

وقوله تعالى : « وقال نسوة في المدينة » (سورة يوسف ٣٠) .

وورد في الجامع الصحيح للامام البخاري : « فقُطِعَ أيديهم

وسُمِرَت اعينهم » (البخاري ١/٦٩) .

وقال تعالى : « من بعد ما جاءتكم البينات » . (سورة النساء ١٥٣) .

وقال تعالى : « فأصابهم سيئات ما كسبوا » . (سورة الزمر ٥١) .

واذا كان الفعل المسند « نعم » أو « بئس » فالحذف أجود من الاثبات فقولهم : « نعم المرأة زينب » أحسن من « نعمت المرأة زينب » . ولا تلزم التاء الفعل اذا كان الفاعل جمع سلامة لمذكر فلا يقال (جاءت المسلمون) .

أقول ورد في لغة التنزيل : « قال آمنت لا اله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل » . (سورة يونس ٩٠) . ومن المعلوم ان (بنون مما الحق بجمع المذكر السالم وهو في هذا الاستعمال خارج على القاعدة ، غير أن وروده في (بنو اسرائيل) في الآية كان محمولاً على معنى (الجماعة) أو (الفرقة) أو نحو هذا . ولهذا اكتسب التأنيث باعتبار المعنى . ويدل الاستقرار على أن التأنيث في العربية حتى عصر القرآن لم يكن على شيء من الاستقراء . وفي لغة التنزيل ادلة كثيرة تؤيد ما نذهب اليه . واليك شيء من ذلك :

قال تعالى: «والسحاب المسخر بين السماء والارض» سورة البقرة ١٦٤ .

وقال تعالى : « وينشيء السحاب الثقال » سورة الرعد ١٢ .

وقال تعالى : « حتى اذا أقلَّت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت » . سورة الأعراف ٥٧ .

وقال تعالى : « والفلك التي تجري في البحر » . سورة البقرة ١٦٤ .

وقال تعالى : « وترى الفلك مواخر فيه » . سورة النحل ١٤ .

وقال تعالى : « فانجيناه ومن ومن معه في الفلك المشحون » . سورة الشعراء ١١٩ .

وقال تعالى : « متكئين على رفرفٍ خضر وعبقري حسان » سورة الرحمن ٧٦ .

وقال تعالى : « والنخل باسقات لها طلع نضيد » . سورة ق ١٠٠ .

وقال تعالى : « كأنهم أعجاز نخل منقعر » سورة القمر ٢٠ .

وقال تعالى : « والملائـكة بعد ذلك ظهير »[1] • سورة التحريم ٤ •

ومن المفيد أن نشير الى مسألة غريبة في هذا الموضوع ، وهي عـود الفعل على المضاف اليه في حين أن الفاعل هو المضاف نحو قوله تعالى : « يوم تجد كل نفس ما عملت » • سورة آل عمران ٣٠ •

ونحو قوله تعالى : « ثم توفى كل نفس مـا كسبت » • ســورة آل عمران ١٦٣ •

وفي لغة القرآن من عود الفعل على المضاف اليه ، أو عود الخبر على المضاف اليه أمثلة واضحة مفيدة نحو قوله تعالى : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » آل عمران ١٠٣ •

وقوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » سورة آل عمران ١٨٥ •

ومثل هذا قد ورد في أشعارهم نحو قول جرير :

رأت مر السنين أخذن مني   كما أخذ السرار من الهلال

كقول العجاج :

طول الليالي أسرعت في نقضي   طوين طولي وطوين عرضي

وقد قال النحويون في باب « الاضافة » أن المضاف قد يكتسب التأنيث من المضاف اليه ومثلوا لذلك قولهم : « قُطِعت بعض أصابعه » ومنه قول ذي الرمة :

مشين كما اهتزت رماح تسفهت   أعاليها مرّ الرياح النواسمِ

وعلى هذا فان « بعض » اكتسب التأنيث بلحاق تاء التأنيث للفعل من المضاف اليه المؤنث وهو « اصابعه » • ومثل هذا فان « مرّ » اكتسب التأنيث من المضاف اليه المؤنث وهو « الرياح » •

---

(١) ذكر أهـل اللغـة ان فعيل للمذكـر والمؤنث اذا كان بمعنى « مفعول » كثير نحو رجل جريح وامرأة جريح وبمعنى فاعل قليلا وجعلوا منه قول الشاعر :

خبير بنو لهب فلاتك ملغيا   مقالة لهبي اذا الطير مرت

ومثل (فعيل) (فعول) نحو (عجوز) للمرأة والرجل •

وقد قالوا : وربما كان المضاف مؤنثاً فاكتسب التذكير من المذكر المضاف اليه كقوله تعالى : « ان رحمة الله قريب من المحسنين » سورة الاعراف ٥٦ •

وفي لغتنا الحديثة الشيء الكثير من عود الفعل على المضاف اليه ، وكأنه هذا هو الغالب في الاستعمال نحو قولنا : « تصرّمت معظم الساعات » وقولنا : « لا زالت كل ايامك اعياداً » ونحو هذا كثير •

ولا بد لي من القول : ان تاء التأنيث التي تلحق الفعل لا تختلف كثيراً عن الواو في قولنا : « الرجال حضروا » ، وعن الالف في قولنا : « الولدان حضرا » ، وعن النون في قولنا : « النسوة حضرن » فهي اشارات تدل على أن المسند اليه جمع مذكر أو مثنىً أو جمع مؤنث ، ولا يمكن أن تكون فاعلين للفعل « حضر » فالفاعل في كل جملة هو المسند اليه المتقدم•

واذا كان النحويون الاقدمون قد قالوا فيما اسموه بلغة « أكلوني البراغيث » : ان هـذه الاحرف اشارات أي أحرف وليست ضمائر ، فأحر بنا ألا نذهب في الضلال فنقلدهم في القول في حقيقة هذه الاشارات •

ذكروا : « ومذهب طائفة من العرب ـ وهم بنو الحارث بن كعب ـ ان الفعل اذا اسند الى ظاهر مثنى أو مجموع أتي فيه بعلامة تدل على التثنية أو الجمع فتقول : « قاما الزيدان وقاموا الزيدون وقمن الهندات » فتكون الالف والواو والنون حروفاً تدل على التثنية والجمع ، كما كانت التاء في (قامت هند) حرفاً تدل على التأنيث عند جميع العرب ، والاسم الذي بعد الفعل المذكور مرفوع بل كما ارتفعت « هند » بـ « قامت » ومن ذلك قول عبدالله بن قيس الرقيات يرثي مصعب بن الزبير :

تولى قتال المارقين بنفسه وقد اسلماه مبعد وحميم

وقول الشاعر :

يلومونني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم يعذل

وقوله :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي
فأعـرضن عنى بالخـدود النواضر

وفي الحديث الشريف : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار •

ومن المفيد ان نشير الى ما ذكره ابن الانباري في « أسرار العربية » وذلك ان من العرب من يجتزيء بالضمة عن الواو فيقول في « قاموا » « قامُ » ، وفي « كانوا » « كانُ » قال الشاعر :

فلو أن الأطبّا كانُ حولي وكانَ مع الاطباء الشفاءُ(٢)

واشارة ابن الانباري الى هذا الوجه مما يشعر انهم اعتبروا الواو حرفاً فهم يقصرونه الى الضمة ، وعلى هذا فهو اشارة وليس ضميراً •

---

(٢) ابن الانباري ، اسرار العربية (ليدن) ص ١٢٥ ٠

الاعراب في (الالفاظ والجمل)

البحث في هذا الموضوع ينصب على مسألة الاعراب وكيف كانت ، ومسألة الاعراب ولاسيما في العربية من المسائل الثقيلة لدى الباحثين في فقه اللغة ، فقد تصدى لها القدامى من علماء العربيــة ، كمـا بحث فيهـا المحدثون من عرب ومستشرقين • ولقد اهتم بها النحاة واللغويون منذ عهود ازدهار العربية ، ان الحفاظ على الاعراب كان ضرورة نافعة ومعنى هذا ان الاعراب كان ثقيلا على الالسنة ، فقد فشا اللحن ، وفسدت الطبيعة اللغوية ، وصار الناس يسمعون فستنكرون هــذا الاعوجاج في الالسنة • وقد جاء في الاخبار ان أبا الاسود الدؤلي سمع رجلا يقرأ في كتاب الله : ان الله بريء من المشركين ورسوله بالخفض ، فاستغظم ذلك منه[١] • وكان هذا سبب وضعه للنحو ، والاخبار كثيرة في هذا الموضوع وان كان يلوح على طائفة منها طابع الوضع والافتعال •

وما دام هذا الاعراب ثقيلا على الالســنة فقد تخفف منه كثير من الناس ، بحيث صار للناس لغة في التخاطب لم يلتزم فيها هذا القيد الثقيل في حين أنهم ملتزمون بالاعراب اذا كتبوا • فقد ذكر الجاحظ في كتاب البخلاء شيئا عن شيوع اللحن بين العامة من الناس[٢] •

على ان هذا لا يعني ان الناس عامة لا يعربون كلامهم ، فقد ذكر الجاحظ شيئاً من ذلك • فهو يعــد من أجــل المتع أن يستمع المرء الــى حديث الاعراب الفصحاء العقلاء ، أو الى محاضرة العلماء البلغاء[٣] •

---

(١) ابن الانباری ، نزهة الالباء ص ١٠ •
(٢) البخلاء طبعة الحاجرى ص ٣٣ •
(٣) البيان ٦٢/١ •

وقد بقيت مسألة الاعراب قضية العربية الكبرى طوال العصور المتعاقبة ، وما زالت كذلك حتى يومنا هذا • ومن أجل ذلك كان من المفيد النافع أن تدرس هذه القضية دراسة دقيقة •

لقد احتفظت اللغة العربية الفصيحة بظاهرة الاعراب وهي من صفات العربية الموغلة في القدم ، في حين ان سائر اللغات السامية ـ ما عدا الاكدية ـ قد فقد هذه الظاهرة منذ أقدم العصور ، وقد دل على هذا الاعراب بقايا كما في العبرية مثلا •

أما في اللغة الاكدية فقد عرفت الحركات الثلاث في البابلية القديمة في النصوص التي ترجع لعهد حمورابي ثم تطورت هذه الحركات الثلاث وانتهت الى حركتين هما الضمة للرفع والفتحة للنصب والجر ، ولم تلبث هذه المرحلة طويلا حتى تورت الى مرحلة الحركة الواحدة وهي الكسرة الممالة •

ولعل علاقة اللغة النبطية بالعربية وقربها منها أوجد الاعراب في النبطية كما تؤيد ذلك النقوش التي عثر عليها • وقد ذهب Nöldke المستشرق الالماني الى أن النبط يستعملون الضمة في حالة الرفع ، والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر • ولا يعقبون هذه الحركات بالنون[٤] •

ويرى المستشرق Lithman ان أواخر الكلمات في اللهجة النبطية قد يحدث فيها تغيير بحسب موضعها في الاعراب[٥] • وللاعراب أثر في اللغة العبرانية يتبينه الباحثون في حالتي المفعول به وفي ضمير التبعية[٦] • على أن هذا الاثر ضئيل جدا ، فقد أوشكت تخلو من الاعراب

ولا نريد هنا أن نعرض للرد على هذا الرأي لان ذلك يخرجنا عن

---

(٤) "Nöldke, Die Semitischen Sprachen, Lepizig 1899, S.51f.

(٥) Enno Littmann, Incriptions, Leiden 1914p. 37ff.

(٦) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٥ •

لغه العهد القديم • غير ان علامة النصب في العبرية القديمة هي الفتحـــة الطويلة التي نشأ عنهـا حرف الهاء ، والهاء المتطرفة في هذه اللغة تشبه الالف اللينة ، ومن أجل ذلك تعامل معاملة أحرف العلة • وتظهر هذه في آخر الاسم المنصوب بنزع الخافض ، كما تظهر في آخر الظرف المنصوب (ليلا)[٧] وتعني (ليل) ، و (عتا) [٨] وتعني (حين) • وكما تلحق هذه العلامة الظروف فانها تلحـق المصدر فينصب كمـا هي الحال في المفعول المطلق في العـربية ، ولـكنها في هـذه الحـالة تكون متلوة بميم زائـدة (للتمييم) الذي يقابل التنوين في العربية[٩] مثال ذلك (يومام) وتعني (يوما) و (حنام) وتعني (مجانا) ، والمتتبع لشوارد النصوص في اللغة العبرية ربما وجد آثارا تشير الى شيء يشبه الضمة والكسرة لعلهما بقايا لضمة وكسرة كانتا مستعملتين في العبرية القديمة •

ويكاد يجمع المستشرقون على ان الاعراب ظاهرة سامية فالمستشرق الالماني Bergstraesser يقول : ان الاعراب سامي الاصل تشترك اللغة الاكدية وفي بعضه اللغة الاثيوبية (الحبشية) ونجد آثارا منه في غيرها[١٠] • على ان هؤلاء يعللون سبب وجود هذه الظاهرة فيرجعون ذلك لخلو اللغات السامية من ادغام للكلمات أي وصل كلمة باخرى لتتكون من الكلمتين كلمة واحدة لها معنى مركب منهما كما في اللغات الآرية[١١] • ذكر هذا اسرائيل ولفنسون كما ذكره غيره[١٢] •

---

(٧) تكتب الهاء في العبرية في آخر الاسم ولا تلفظ •

(٨) ربما قابلت هذه الكلمة (حتى) في العربية ، فقد جاء في القراءآت ان احدهم قرأ (عتى حين) •

(٩) راجع مقالتنا (النون في اللغة العربية) المنشورة في الجزء الثالث من مجلة كلية الآداب والعلوم ١٩٥٨ •

(١٠) برجشتراسر : التطور النحوى ص ٧٥ •

(١١) ولفنسون ص ١٥ •

(١٢) Carl Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908. I. S. 5.

مادة الموضوع • ولكننا نكتفي بالقول ان في العربية شيئاً مما يقولون فالتركيب والنحت من الادوات في هذا الموضوع وقد استفيد من النحت في بناء الافعال الرباعية وغير الرباعية •

ويختلف الرأى في دلالة الحركات على المعاني الاعرابية بين القدماء والمحدثين في اللغة العربية • وأول من أشار الى هذه المشكلة من القدامى هو الخليل بن أحمد(١٣) • ولعل الجدل في دلالة هذه الحركات على المعاني الاعرابية وعدم دلالتها ، دار بين تلامذة سيبويه والكسائي فذهب جمهورهم الى الاول وذهب آخرون الى الثاني(١٤) •

ويمثل رأي الذاهبين الى أن الحركات دوال على معانٍ اعرابية ، أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي ، فقد نقل السيوطي في الاشباه والنظائر(١٥) قوله : « ان الاسماء لما كانت تعتورها المعاني وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني ، جعلت حركات الاعراب تبين عن هذه المعاني وتدل عليها ليتسع لهم في اللغة ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة » •

ويمثل رأي الطائفة الاخرى قطرب • أبو علي محمد بن المستنير(١٦) وهو تلميذ سيبويه • وقد انفرد « قطرب » في هذا الرأي ، ولم يقل بمقالته نحوي أو لغوي آخر غيره •

على أن المحدثين قد عرضوا للموضوع نفسه فكانوا فريقين كالمتقدمين • وهؤلاء بين عرب وبين مستشرقين ، فطائفة منهم تذهب مذهب الزجاجي النحوي ، وطائفة أخرى تذهب مذهب ابي علي محمد بن المستنير (قطرب) •

وممن ذهب مذهب هذا الاخير الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه (من

(١٣) سيبويه : الكتاب ٢/٣١٥ •
(١٤) المخزومي : مدرسة الكوفة ص ٢٨٣ •
(١٥) السيوطي : الاشباه والنظائر ١/٧٦ ــ ٧٨ •
(١٦) المصدر السابق ١/٧٩ •

أسرار اللغة العربية)[١٧] على انه يحلو له أن يتعصب للرأي بشكل يخيل للقارىء انـه اول الذين قالوا بهـذا القـــول • وكأنه لم يكن هناك في القرن الثاني الهجري رجـل اسمه (قطرب)[١٨] • وهـذا الرأي فـي جملته غريب وقد انفرد فيه صاحبه ولم يؤيده فيـه الا الدكتور ابراهيم أنيس بعد أكثر من أحد عشر قرنا ووجـه الخطـل في هـذا الرأي ان العربية كانت معربة منذ أقدم العصور ، والنصوص شاهدة على ذلك • وقد كان هذا الاعراب سهلا على الالسنة ثم ثقل وصعب حين فسدت الطبائع العربية وفشا اللحن وتحول المجتمع العربي الخالص الى مجتمع ضخم كبير فيه اجناس شتى ، ولاسيما في الحواضر العربية • فلم يلجأ للاعراب في فترة متأخرة للسبب الذي ذكره صاحب الرأى المتقدم • على أن وجود الاعراب في اللغات السامية الاخرى في عهودهـا السحيقة في القدم ثـم اضمحلال هـذا الاعراب لا يؤيـد مذهب قطرب في شيء وقـد عـرضنا للموضوع فيما تقدم • على أن الدكتور ابراهيم أنيس حين يقول بهـذا الرأي ينتهي الى « انه ليس للحركات الاعرابية مدلول وان الحركات لم تكن تحدد المعاني في أذهـان العرب الاقـدمين وهي لا تعدو أن تـكون حركات يحتاج اليها في كثير من الاحيان لوصل الكلمات بعضها »[١٩] • ثم انه يرى « ان النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الاعراب وقاسوا بعض الاصول رغبة منهم في الوصول الى قواعد مطردة منسجمة »[٢٠] ثم هو يفترض افتراضا لا يقوم على أساس علمي تاريخي فيقول « ولعلهم تأثروا بما رأوه حولـم من لغـات كاليونانيـة ففيهـا يفرق بين حالات الاسماء التي تسمى Cases ويرمز لهـا في نهـاية الاسماء برموز معينة[٢١] • وفات الاستاذ ان اليونانية تختلف نحوا وطبيعة عن العربية ولم يكن واضع

---

(١٧) انيس : من أسرار اللغة ص ١٣٤ •
(١٨) قطرب أبو علي محمد بن المستنير المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة•
(١٩) انيس : من أسرار اللغة ص ١٥٨ •
(٢٠) المصدر نفسه ص ١٣٩ :
(٢١) المصدر نفسه ص ١٧١ •

النحو عارفا أو قل متأثرا باليونانية بأي وجه من الوجوه » •

ثم يستدل بخلو اللهجات الاقليلمية الحديثة من الاعراب • ولم يبق له من أثر في لهجات الاقاليم العربية ويعجب من هذا[٢٢] على اننا لا يمكن لنا أن نجعل من خلو اللهجات الدارجة من الاعراب دليلا على أن الاعراب ظاهرة لم تكن موجودة في العربية الاولى[٢٣] • وقد رأينا أن اللغات السامية جميعها كانت معربة ثم زال هذا الاعراب في العهود التي تعاقبت عليها •

وقد أفاض الدكتور علي عبدالواحد وافي في الرد على الرأي المتقدم في كتابه « فقه اللغة » •

وقد عرض للموضوع نفسه الاستاذ ابراهيم مصطفى[٢٤] وقرر أن الحركات دوال على على معان أن من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني[٢٥] ثم هو يقول « وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها كل الحرص وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئاً • ونحن نعلم أن العربية لغة الايجاز ، وان العرب كانوا يتخففون ما وجدوا السبيل ويحذفون الكلمة اذا فهمت والجملة اذا ظهر الدليل عليها ، والاداة اذا لم تكن الحاجة ملجئه اليها » وعنده ان الفتحة ليست علامة اعراب ولا دالة على شيء وانما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، فهي بمثابة السكون في لغة العامة[٢٦] ، وأما الضمة فهي علم الاسناد أما الكسرة فانها علم الاضافة[٢٧] • ورأى الاستاذ مصطفى في الفتحة غريب في بابه ولا يستند الى سند علمي فقد دلت المقارنات الى أن الفتحة وجدت في حالة النصب في كثير من اللغات السامية ولم يكن هنالك سبب للفتحة المستحبة •

---

(٢٢) المصدر نفسه ص ١٣٩ ٠

(٢٣) الدكتور وافى : فقه اللغة ص ١٣ ٠

(٢٤) ابراهيم مصطفى : احياء النحو ص ٤٨ ، ٤٩ ٠

(٢٥) واستخدام الحركات في الدلالة على المعاني وتعددها يخرج عن هذا الباب وربما افرد له مقالة خاصة ٠

(٢٦) احياء النحو ص ٥٠ ٠

(٢٧) المصدر نفسه ص ٨٠ ـ ١٠٠ ٠

ويرى الاستاذ Marcel Cohen ان هذه القواعد المتشعبة الدقيقة وخاصة قواعد الاعراب لم تكن مراعاة الا في اللغة الفصيحة الادبية ، أما لغة التخاطب فلم تكن معربة[٢٨] • وهو يستدل على ذلك (بأن قواعد هذا شأنها في التشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض ، كل هذا غير ممكن في لغة التخاطب وانما هو من اختصاص اللغة الفصيحة المهذبة) • وقد فات صاحب هذا الرأي الحقيقة التاريخية ، ولم يكن ملما بأن اللغة المعربة كانت لغة العرب في الجاهلية ولغة القرآن التي عمت العرب جميعا وأخضعت لها لهجات الاقاليم • ولم تكن لغة القرآن مهيأة للقراءة والكتابة فحسب ، بل كانت لغة يستعملها الناس على اختلاف طبقاتهم • وكتب الادب والاخبار تؤيد هذا • ولا سبيل الى افتراض هذه الصعوبة على اللغة في وقت نحسها نحن الآن •

أما الاستاذ (فك) المستشرق الالماني فيرى ان حركات الاعراب هي صفة من صفات العربية وسمة من أقدم سماتها اللغوية والتي فقدت في أخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة[٢٩] • وعنده ان العربية حافظت في مختلف عصورها على هذه الظاهرة بالرغم من ظهور اللحن واللهجات الاقليمية في الحواضر •

أما النحاة القدامى فقد تناولوا الاعراب على أنه من صفات العربية ، وان أغلب الالفاظ في هذه اللغة معربة تظهر على أواخرها الحركات الثلاث وهي : الضمة والكسرة والفتحة • وقد خصوا كل حركة من هذه الحركات بحالة إعرابية ، فالضمة للرفع والكسرة للخفض والفتحة للنصب •

ولم يكتف النحاة بهذه الحركات وذلك لأنهم لاحظوا ان طائفة من الالفاظ لا تظهر عليها هذه الحركات ، غير انه يعرض لها تغير فهي ترد

---

(٢٨) عبدالواحد وافي : فقه اللغة ص ١٣٠ عن
Cohen, Les Langues du monde.

(٢٩) يوهان فك : العربية ترجمة الدكتور النجار ص ٣ •

بالواو أو الالف في حالة الرفع ، وبالياء في حالتي النصب والجر . كما لاحظوا أن الفتحة قد ترد علامة للجر خلافا للكثير الغالب ، وأن الكسرة قد ترد علامة للنصب .

وعلى هذا ابتكروا شيئاً جديداً فقالوا ان الضمة والكسرة والفتحة علامات أصلية ، ويتبع هذه الثلاث السكون ، وأن ماعدا هذه علامات فرعية.

وقد وجد النحاة ان القليل من الفاظ العربية مالزم آخره حركة واحدة فقالوا : انها غير معربة واخترع مصطلح « البناء » اسماً لهذه الحالة ، كما في « هو » و « أنت » و « منذ » و « جاءت » .

غير أنهم فرّطوا كثيراً في مسألة البناء ومن أمثلة ذلك ان الفعل الماضي عندهم يبنى على حركات عدة فهو مفتوح الآخر نحو : « ضَرَبَ » و « ضَرَبَه » و « ضَرَبَني » ، وهو مبني على الضم أن اتصلت به واو الجماعة نحو « ضربوا » ، وهو مبني على السكون ان اتصلت به نون النسوة نحو : « ضَرَبْنَ » .

وكذلك فعل الامر مبني على السكون كما في «اضربْ» واضربْنَ، ومبني على الضم كما في «اضربوا» ، ومبني على الفتح كما في «اضربَنَّ» .

وعندهم ان هذه الحركات في هذين الفعلين حركات بناء لا حركات اعراب .

ثم ادركوا ان الفعل الامر المعتل الآخر تخرم أحرف العلة من آخره فقالوا : انه مبني على حذف هذه الأحرف نحو : « ادعُ » و « ارمِ » و « اخش » .

ثم قالوا في المضارع بمسألة ثبوت النون وحذفها كما في « يضربون » و « لم يضربوا » ولن « يضربوا » . وقد اخذوا انفسهم بالاعراب وعلاماته ، وان اللفظ لابد ان يكون معرباً ان لم يكن في عداد طائفة قليلة مما اصطلح عليه بـ « المبني » . فان لم يكن اللفظ أحد أفراد هذه الطائفةالمعروفة فهو معرب ، فان لم تظهرالحركة فيآخره فلابدّ أن تقدّر . ومن هنا نشأت فذلكة الاعراب التقديري .

وجاء النحاة المحدثون وعلى رأس هؤلاء ابراهيم مصطفى فذهب الى ان الضمة والكسرة علامتا اعراب وان الفتحة ،لاتدل على معنى كالضمة والكسرة فليست بعلم اعراب وانما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب الذين يحبون أن يشكل بها آخر كل كلمة في الوصل ودرج الكلام فهي في العربية ، نظير السكون في لغتنا العامية »[١] .

وتابع الاستاذ ابراهيم مصطفى نفر من طلابه فقال الدكتور المخزومي: الضمة علم الاسناد دالة على ان الكلمة مسند اليه أو تابع للمسند اليه ، وهي في العربية تؤدي ما يؤديه الفعل المساعد في غير العربية ، وتدل على تحقق النسبة بين المسند اليه والمسند أو تحقق الارتباط بين هذين الركنين. وليس في العربية من علم للاسناد غير الضمة . أما الواو في الاسماء الخمسة أو الواو في جمع المذكر السالم فليست بعلامة مستقلة ، وانما هي ضمة ممطولة لان الضمة من الواو والفتحة من الالف والكسرة من الياء »[٢] .

أقول : ان تفسير هذه الحركات بهذه المعاني لا يؤيده الاستقراء في العربية نفسها فضلاً عن البحث في اللغات السامية .

اذا كانت الضمة علماً للاسناد فلِمَ كان اسم « إن » منصوبا وهو باقٍ على حاله طرفاً في اسناد ، وعلى هذا ايضاً نستطيع القول لِمَ كان خبر (كان) منصوباً وهو طرف في الاسناد .

والقول بان الضمة في العربية تؤدي ما يؤديه الفعل المساعد في غير العربية شيء يفتقر الى الدليل . ولماذا نجتهد هذا الاجتهاد البعيد دون سند تاريخي لاثبات حقيقة لا تدخل في جوهر العربية لنقول ان العربية تتوفر على الفعل المساعد is و est و ist كما هي في غير العربية من لغات هذا العصر الحديث .

ثم ان القول بان « الواو » ضمة ممطولة تخلص من العلامات الفرعية التي قال بها النحاة القدامى .

---

(١) ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ص ٧٨ .
(٢) المخزومي ، في النحو العربي ص ٧٠ .

وهذا شيء حسن غير ان القول : ان الضمة من الواو ، والكسرة من الياء والفتحة من الألف ينبغي أن يعبر عنه بشيء آخر ، وهو ان ما ندعوه بالحركات وما ندعوه بالأحرف وهي الواو والالف والياء شيء واحد ، فان هذه وتلك داخلة في حيز أصوات المد والخلاف بينها يرجع الى القصر والطول •

كذلك جرى اصحابنا من النحويين على نحو ما قرره ابراهيم مصطفى في الكسرة والفتحة ، فقد كرر الاستاذ المخزومي عبارة الاستاذ مصطفى فقال : والفتحة هي الحركة الخفيفة التي يهرع اليها العربي ما وجد الى الخفة سبيلاً »[٣] •

وينسب الاستاذ هذا الرأي للخليل ويذكر قوله : « انهم نصبوا المضاف ، نحو : يا عبدالله ويا أخانا والنكرة حين قالوا : يا رجلاً صالحاً ، حين طال الكلام كما نصبوا هو قبلك ، وهو بعدك »[٤] •

أقول : ليس في قول الخليل المشار اليه دليل على الحركة الخفيفة المستحبة • واذا كان الخليل قد لمح هذه الخفة لمحاً باهتاً فهل يجوز لنا ان نتمسك بمقالته العابرة • وفي الفاظ العربية أدلة على أن الفتحة غير مبتغاة للخفة المستحبة •

كما ذهب الى مثل هذا جماعة منهم : عباس حسن في «النحو الوافي» والدكتور أحمد عبدالستار الجواري في « نحو التيسير » ثم طلع علينا الدكتور صفاء خلوصي في مقالة وسمها بـ«النحو المنطقي»[٥] فقال: « ••• وباعتقادي أنه ينبغي لنا ان نثبت اسس النحو والصرف على مبدأ قوة الحركات فالضمة أقواها وتليها الفتحة ثم الكسرة فالسكون ، والسكون بحكم رسمه «صفر» يشير الى انعدام كل حركة واذا ما طرأ على احدى هذه الحركات طارىء

---

(٣) المصدر السابق ص ٨١ •
(٤) الكتاب ج ١ ص ٣٠٣ (عن الكتاب السابق) •
(٥) صفاء خلوصي ، في النحو المنطقي (مجلة الاستاذ المجلد الثالث عشر ص ٩) •

انتقل الى الحركة التي تمثل مرتبة أعلى على الوجه الآتي :

(١) الحركة القوية : (ُ) الضمة .

(٢) الحركة المتوسطة : (َ) الفتحة .

(٣) الحركة الضعيفة : (ِ) الكسرة .

(٤) انعدام الحركة : (ْ) السكون .

فعندما يلتقي الساكنان تزداد قوة اللفظة فينقلب السكون الى كسرة ، من نحو قولك :

« أَمِطِ الأذى عن الطريق » .

فقد انقلب سكون فعل الأمر الى كسرة نتيجة التقاء الساكنين وزيادة قوة الطاء .

وتنقلب الكسرة الى فتحة نتيجة نزع الخافض كما في المفعول بـه وانتقلت الى مرتبة أعلى في سلم القوة والارتقاء .

ويقول السيد خلوصي « أما الجزم فأكثر تعبيراً عن الذاتية كما في حالتي الأمر والشرط فهو على درجة من الذاتية بحيث لا يتسع لك المجال لتشكيل أواخر الكلمات كما في قولك : اذهبْ واسمعْ .

ويسرف الدكتور خلوصي في هذا الخيال الطريف فيقول : ونجد انطباق هذه « النظرية » في القوة والضعف حتى في حركة عين المضارع فالافعال الدالة على القوة مضمومة العين والدالة على الانبساط والاسترخاء مفتوحتها والدالة على الانكسار المادي أو المعنوي مكسورتها .

وقد يكون عين الفعل مثلث الحركات فتقول : نَبَغَ ينبُغُ (بضم الباء وكسرها) وانما فعلوا ذلك للدلالة على ثلاث درجات من النبوغ .

أقول : ان مقالة السيد خلوصي لا يؤيدها الاستقراء وان « نظريته » غير قائمة على اسس علمية فالقوة والضعف لا يمكن أن يكونا في مادة واحدة متشابهة هي الحركة فهي من طبيعة واحدة هي «المد» أو «اللين» . والقوة والضعف من مواد علم الأصوات والعارف بهذا العلم يبصر ان العلماء في

عصرنا قد انتهوا في هـذا الموضوع الى اشياء علمية ثابتة • على أن هـذه المقالة في مجموعها غنية بالخيال الطريف وما أبعد علم اللغة عن موضوعات التصور والخيال •

أما القول باعراب الجمل فهو فذلـكة ينبغي الاقلاع عنها ولم يقـل بها النحويون الأقدمون الا بسبب من تعلقهم بالاعراب وسيطرته على جميع ما جاءوا به في النحو • وقد عرضنا لهذه المسألة في غير هذا المكان •

الخـــاتمة

هذا عرض موجز في « الفعل » ، ولكن ايجازه لم يفتقر الى التثبت والاستقصاء والرجوع الى الرأي المبني على الاصول الثابتة في هذه المادة الواسعة •

وأود أن أقول : ان الاقدمين لم يطيلوا القول في الفعل ووجوه الـرأي فيه ، ولم يستقصوا دلالة الزمان فيه •

وتقسيمات الفعل عندهم الى ماضٍ ومضارع وأمر تشعر بهذا النقص الذي ظهر في دراسات الاولين من النحاة • ومن أجل ذلك كان على الباحثين أن يعيدوا النظر في الفعل واستعماله وزمانه وابنيته ليستدركوا على اولئك النحاة شيئا فاتهم • على ان هذا يدعونا الى ان نكبر اولئك السلف الصالح الاكبار كله ، لما بذلوا في سبيل هذه العربية الشريفة من نصب وكد •

المصادر باللغات الافرنجية :

1. W. Wright, A Grammar of the Arabic Language, London 1951.
2. Gaudefroy-Demombeynes et R. Blachère, Gramm-aire de l'Arabe Classique, Paris 19
3. Henri Fleisch, Etudes Sur Le Verbe Arabe, Extrait des Mélanges Louis Massignon.
4. H. Reckendorf, Arabiache syntax Heideberg 1921.
5. Nöldke, Die semitischen Sprachen, Lepizig 1899.
6. E. Littman, Inscriptions, Leiden 1914
7. C. Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitishcen Sprachen, Berlin 1908.
8. M. Cohen, Les Langues du monde, Paris.

ثبت بمواد الكتاب

ص		
٣		تمهيـد •
٥	ـ ١٤	المقدمة •
١٥	ـ ٢٢	الفعل وأقسامه •
٢٣	ـ ٤٧	الفعل والزمن •
٤٨		فعل الامر •
٤٩	ـ ٥٠	قدم الفعلية في العربية
٥١	ـ ٥٣	بين الفعل والاسم
٥٤	ـ ٦٣	الافعال الناقصة
٦٤	ـ ٦٦	ليس
٦٧	ـ ٧١	« كان » ووظيفتها
٧٢	ـ ٨١	الفعل والاساليب الخاصة
٨٢	ـ ٩٢	المتعدي واللازم
٩٣	ـ ١٠٤	صيغة ما يسمى بالمجهول من الافعال
١٠٥	ـ ١١٩	الفعل الثلاثي
١٠٩	ـ ١١٩	بناء الثلاثي واحرف المد
١٢٠	ـ ١٣٢	أفعال خاصة
١٣٣	ـ ١٤٩	بناء الرباعي الفصيح
١٤٩	ـ ١٨٣	بناء الرباعي العامي مرتبا على حروف الهجاء
١٨٤	ـ ١٩٢	ما جاء من الرباعي مأخوذا من الاسماء مرتبا على حروف الهجاء
١٩٣	ـ ١٩٤	طريقة في بناء الرباعي في العامية •

١٩٥ ـ ١٩٩	المضعف الرباعي
٢٠٠	ما زاد على الافعال الرباعية
٢٠١ ـ ٢١٣	الجملة الفعلية
٢١٤ ـ ٢١٩	تأنيث الفعل للفاعل
٢٢٠ ـ ٢٣١	الاعراب في (الالفاظ والجمل)
٢٣٢	الخاتمـة

فهرس الشواهد الشعرية
(مرتبة على القوافي مع نسبتها الى قائليها)

	الصفحة	الشاعر

قافية الهمزة

فلـو أن الأطبـاء كانُ حــولي		
وكان مـع الاطباء الشــفاء	٢١٩	ــــ

قافية الباء

ســراة بني بكر تســـامى		
على كان المســومة العراب	٦٨	ــــ
فلــو ولـدت قفيرة جرو كلب		
لسُبَّ بذلك الجرو الكـــلابا	٩٦	ــــ

قافية التاء

خبير بنو لهبٍ فلاتك ملغيـا		
مقالة لهبيٍّ اذا الطير مَرَّتِ	٢١٧	ــــ

قافية الـدال

قد اترك القرن مصفراً أنامله		
كأن أثوابه مُجَّت بفرصاد	٢٦	الهذلي
قد كان شـمر للصلاة ثيابه		
حتى وقفت له بباب المسـجد	٢٩	ــــ
وما كل من يبدي البشـاشة كائنا		
أخاك اذا لم تلفـه لك منجـدا	٧٠	ــــ

	الصفحة	الشاعر
تنبـو يـداه اذا ما قل ناصره ويأنف الضيم ان أثرى له عدد	٩١	يزيد بن الحكم
فلالعمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الانصاب من جسد	١٣١	النابغة
انفت صوارمه الجفون فاصبحت بالنصر في قمم الخوارج تغمدُ	٩٢	ابن النبيه

قافية الراء

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الاسحار	٦٧	أبو الحسن التهامي
خل الطريق لمن يبني المنار به وابرز ببرزة حيث اضطركالقدرُ	١٣٠	جرير
يا هيء مالى قلقت محاورى وصار أمثال الفغا ضرائري	١٤٥	ـــــ

مخرنطمات عسراً عواسري

• • • • • • • • •

تقضى البازي اذا البازي كسَره	١١٥	العجاج
رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فاعرضن عني بالخدود النواضر	٢١٨	ـــــ
ختنى الفحول من الكماة بصبغة ما يلبسون من الحديد معصفرا	١٣٢	المتنبي
لا تحسبني كأقوام عشت بهم لن يأنفوا الذل حتى يأنف الحمر	٩١	وهب بن الحارث

• • • • • • • • •

تلهو وتضحك والزمان يسير	٣٢	ـــــ

	الصفحة	الشاعر
وكنا حسبنا كل بيضاء شَـحمةً		
ليالي َ لاقينا جـذامَ وحميرا	٣٩	زفر بن الحارث
نحن في المشتاة ندعو الجَفَلى		
لا ترى الآدب فينـا ينتفرْ	٢٠٧	ـــــ

قافية السين

. . . .		
وفي الوجوه صفرة وإبلاسْ	١٣٩	ـــــ

قافية الصاد

لما رآني بالبراز حصحصا		
في الأرض مني هرباً وخلبصا	١٤٥	ـــــ

قافية الضاد

طول الليالي أسرعت في نقضي		
طوين طولي وطوين بعضي	٢١٧	العجاج

قافية العين

بناتين وجذموراً أقيم بها		
صدر القناة اذا ما آنسوا فَزَعا	١٤١	عبدالله بن سبرة
. . . .		
وقد كربت أعناقها أن تقطعا	٦٠	ـــــ
طوى النخر والأجراز ما في غروضها		
وما بقيت الا الضلوع الجراشع	٢١٥	ذو الرمة
انما النحو قياس يتبعْ		
وبه في كل أمر ينتفعْ	٧	الكسائي

	الصفحة	الشاعر
وكنت اظن البعد سهلا فمذ أتى		
شرى البين مني ما أراد وباعا	٣٤	الرصافي
قافية القاف		
لا يألف الدرهم المضروب صرتنا		
لكن يمر عليها وهو ينطلق	٢٠٢	ـــــ
لي نفس حر تأنف الضيم مركباً		
وتكره ورد المنهل المترنقِ	٩٢	ـــــ
رب كأس هرقتها ابن لؤيٍّ		
حذر الموت لم تكن مهراقه	١٣١	
فأصبحت كالمهريق فضلة مائه		
لضاحي سراب بالملا يترقرق	١٣١	كثير
قافية اللام		
. . . .		
ولا يدي في حميت السكن تدخلُ	١٠٠	ـــــ
تقِ الله لا تنظر اليهن يا فتى		
وما خُلتني في الحج ملتمسا وصلا	١٣٢	الشعبي
وفي اختيار لا يجيء المنفصل		
اذا تأتى أن يجيء المتصل	١٣	ابن مالك
يلومنني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم يعذل	٢١٨	ـــــ
وقد جعلت اذا ما قمت يثقلني		
ثوبي فانهض نهض الشارب الثمل	٦٠	ـــــ
ربت وربا في حجرها ابن مدينة		
يظل على مسحاته يتركل	١١٩	الاخطل

البيت	الصفحة	الشاعر
. . . .		
ترى الملوك حوله مرعبله	١٤٨	ـــ
فلا مزنة ودقت ودقها / ولا ارض ابقل إبقالها	٢١٥	ـــ
استغفر الله ذنباً لست محصيه / رب العباد اليه الوجه والعمل	٨٨	ـــ
انت تكون ماجد نبيل / اذا تهب شمأل بليل	٧٠	ام عقيل ابن ابي طالب
رأت مر السنين أخذن منى / كما أخذ السرار من الهلال	٢١٧	جرير
وان شفائي عبرة مهراقة / فهل عند رسم دارس من معوّل	١٣١	امرؤ القيس
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع / فألهيتها عن ذي تمائم مُغيلِ	١١١	امرؤ القيس
. . . .		
لا جعبريات ولا طهاملا	١٤٢	رؤبة
حلفت لها بالله حلفة فاجر / لناموا فما إن من حديث ولا صالي	٢٧	ـــ

قافية الميم

البيت	الصفحة	الشاعر
فكيف اذا مررت بدار قومٍ / وجيران لنا كانوا كرامِ	٦٨	ـــ
تمرون الديار ولم تعوجوا / كلامكم علي اذاً حرام	٨٤	ـــ

البيت	الصفحة	الشاعر
وكان قد استسقى الغمام وقد بدا له عارض من جانبيــه جهــام	٢٩	ــــــ
ما عناني من سابق يأنف المــربط في العنــق والتطهيــم	٩٢	ابن زيدون
صددت فاطـولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يـدوم	١١١	عمر بن ابي ربيعة
تولى قتــال المارقين بنفســـه وقد أســلماه مبعــد وحميم	٢١٨	عبدالله بن قيس الرقيات
مشين كما اهتزت رماح تسـفهت أعـاليهـا مر الريـاح النواسـم	٢١٧	ذو الرمة

قافية النون

البيت	الصفحة	الشاعر
قد كان شــاهد دفني قبل قولهم جماعـة ثم ماتـوا قبل من دفنوا	٢٩	المتنبي
فلمـا دنت اهراقــة الماء أنصتت لأعزله عنها وفي النفس أن أثني	١٣١	ذو الرمه

قافية الهـاء

البيت	الصفحة	الشاعر
قالوا لخدمتـــه دعاك محمد فأنفتها وزهدت في التنويــه	٩١	لسان الدين بن الخطيب

قافية الياء

البيت	الصفحة	الشاعر
بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا	٦	زهير

	الصفحة	الشاعر
وتضحك مني شـيخة عبشـــمية كأن لم تر قبلي أسـيراً يمانيـا	١٣٤	ـــــ
ألا حبـذا أهـل الملا غير أنـــه اذا ذكرت ميّ فـلا حبذا هيّا	٧٨	ـــــ

فهرس الآيات الكريمة
حسب ورودها في الكتاب

	الصفحة	السورة	الآية
ولا تقولن لشيء اني فعل ذلك غداً الا ان يشاء الله	٢٤،٣٨		
قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا	٢٦	الملك	٩
لقد جاءت رسل ربنا بالحق	٢٦	الأعراف	٤٣
قد أفلح المؤمنون	٢٦	المؤمنون	١
تالله لقد آثرك علينا	٢٧	يوسف	٩١
صراط الذين انعمت عليهم	٢٨	الفاتحة	٧
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم	٢٨	البقرة	٤٠
فالله يحكم بينهم يوم القيامة	٣٢	البقرة	١١٣
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون	٣٣	الشعراء	٢٢٧
كلا سوف تعلمون	٣٣	التكاثر	٣
فلم تقتلون أنبياء الله من قبل	٣٣	البقرة	٩١
والذين كفروا الى جهنم يحشرون	٣٣	الانفال	٣٦
ثم استوى على العرش يدبر الأمر	٣٣	يونس	٣
كل نفس ذائقة الموت	٣٨	آل عمران	١٨٥
إلا أن تكون تجارة	٥٧	النساء	٢٩
ونعم أجر العاملين	٧٥	آل عمران	١٣٦
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل	٧٥	آل عمران	١٧٣

	الصفحة	السورة	الآية
وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير	٧٥	الانفال	٤٠
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار	٧٥	الرعد	٢٤
ولدار الآخرة ولنعم دار المتقين	٧٥	النحل	٣٠
نعم الثواب وحسنت مرتفقا	٧٦	الكهف	٣١
واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير	٧٦	الحج	٧٨
نعم أجر العاملين	٧٦	العنكبوت	٥٨
ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون	٧٦	الصافات	٧٥
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب	٧٦	ص	٣٠
انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب	٧٦	ص	٤٤
فنعم أجر العاملين	٧٦	الزمر	٧٤
والارض فرشناها فنعم الماهدون	٧٦	الذاريات	٤٨
فقدرنا فنعم القادرون	٧٦	المرسلات	٢٣
ان تبدو الصدقات فنعما هي	٧٦	البقرة	٢٧١
ان الله نعما يعظكم به	٧٦	النساء	٥٨
ولبئس ما شروا به انفسهم	٧٦	البقرة	١٠٣
ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير	٧٦	البقرة	١٢٦
فحسبه جهنم ولبئس المهاد	٧٦	البقرة	٢٠٦
ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد	٧٦	آل عمران	١٢
ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين	٧٦	آل عمران	١٥١
ومأواه جهنم وبئس المصير	٧٦	آل عمران	١٦٢
واشتروا به ثمناً قليلا فبئس ما يشترون	٧٦	آل عمران	١٨٧
ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد	٧٦	آل عمران	١٩٧

	الصفحة	السورة	الآية
ولبئس ما كانوا يعملون	٧٦	المائدة	٦٢
لبئس ما كانوا يصنعون	٧٦	المائدة	٦٣
لبئس ما كانوا يفعلون	٧٧	المائدة	٧٩
لبئس ما قدمت لهم انفسهم	٧٧	المائدة	٨٠
ومأواه جهنم وبئس المصير	٧٧	الانفال	١٦
ومأواهم جهنم وبئس المصير	٧٧	التوبة	٧٣
فأوردهم النار وبئس الورد والمورود	٧٧	هود	٩٨
بئس الرفد المرفود	٧٧	هود	٩٩
ومأواهم جهنم وبئس المهاد	٧٧	الرعد	١٨
جهنم يصلونها وبئس القرار	٧٧	ابراهيم	٢٩
فلبئس مثوىَ المتكبرين	٧٧	النحل	٢٩
يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا	٧٧	الكهف	٢٩
بئس للظالمين بدلا	٧٧	الكهف	٥٠
لبئس المولى ولبئس العشير	٧٧	الحج	١٣
وبئس المصير	٧٧	الحج	٧٢
ومأواهم النار ولبئس المصير	٧٧	النور	٥٧
جهنم يصلونها وبئس المهاد	٧٧	ص	٥٦
فبئس القرار	٧٧	ص	٦٠
ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين	٧٧	الزمر	٧٢
ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين	٧٧	غافر	٧٦
ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين	٧٧	الزخرف	٣٨
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان	٧٧	الحجرات	١١

	الصفحة	السورة	الآية
مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير	٧٠	الحديد	١٥
حسبهم جهنم وبئس المصير	٧٧	المجادلة	٨
بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله	٧٧	الجمعة	٥
أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير	٧٨	التغابن	١٠
ومأواهم جهنم وبئس المصير	٧٨	التحريم	٩
وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير	٧٨	الملك	٦
بئسما اشتروا به أنفسهم	٧٨	البقرة	٩٠
قل بئسما يأمركم به ايمانكم	٧٨	البقرة	٩٣
بئسما خلفتموني من بعدي	٧٨	الاعراف	١٥٠
ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا	٨٤	النصر	٢
ادخلي في عبادي وادخلي جنتي	٨٤	الفجر	٢٩،٣٠
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا	٨٤	آل عمران	٣٧
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به	٨٤	المائدة	٦١
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه	٨٥	يوسف	٥٨
وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة	٨٥	الاسراء	٧
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة	٨٥	البقرة	٢١٤
ولن ندخلها حتى يخرجوا منها	٨٥	المائدة	٢٢
كلما دخلت أمة لعنت أختها	٨٥	الأعراف	٣٨
فان لم تكونوا دخلتم بهن	٨٥	النساء	٢٣
ولما يدخل الايمان في قلوبكم	٨٥	الحجرات	١٤
يا أيها الذين آمنو ادخلوا في السلم كافة	٨٥	البقرة	٢٠٨
ولو دُخِلَتْ عليهم من أقطارها	٨٥	الاحزاب	١٤
هل أتاك حديث موسى	٨٦	النازعات	١٥

	الصفحة	السورة	الآية
فأتت به قومها تحمله	٨٦	مريم	٢٧
وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها	٨٦	البقرة	١٨٩
أتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد	٨٦	الاعراف	٨٠
هل اتى على الانسان حين من الدهر	٨٦	الانسان	١
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا	٨٦	الاسراء	٨٨
هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان	٨٦	الكهف	١٥
ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة	٨٦	الطلاق	١
ولا يفلح الساحر حيث أتى	٨٦	طه	٦٩
أتى أمر الله فلا تستعجلوه	٨٦	النحل	١
واختار موسى قومه سبعين رجلاً	٨٨	الاعراف	١٥٥
ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون	٩٥	الجاثية	١٤
اذا الشمس كورت	١٠٢	التكوير	١
واذا النجوم انكدرت	١٠٢	التكوير	٢
واذا الجبال سيرت	١٠٢	التكوير	٣
واذا العشار عطلت	١٠٢	التكوير	٤
واذا الوحوش حُشرت	١٠٢	التكوير	٥
واذا البحار سُجّرت	١٠٢	التكوير	٦
واذا النفوس زوّجت	١٠٢	التكوير	٧
واذا الموءودة سئلت	١٠٢	التكوير	٨
بأيّ ذنت قُتلت	١٠٢	التكوير	٩
واذا الصحف نشرت	١٠٢	التكوير	١٠
واذا السماء كشطت	١٠٢	التكوير	١١
واذا الجحيم سُعّرت	١٠٢	التكوير	١٢
واذا الجنة أُزلفت	١٠٢	التكوير	١٣

	الصفحة	السورة	الآية
واستحوذ عليهم الشيطان	١١١	المجادلة	١٩
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات	٢١٥	آل عمران	١٨٣
اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم	٢١٥	فصلت	١٤
وقال نسوة في المدينة	٢١٥	يوسف	٣٠
من بعد ماجاءتكم البينات	٢١٦	النساء	١٥٣
فأصابهم سيئات ما كسبوا	٢١٦	الزمر	٥١
قال آمنت لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل	٢١٦	يونس	٩٠
والسحاب المسخر بين السماء والارض	٢١٦	البقرة	١٦٤
وينشيء السحاب الثقال	٢١٦	الرعد	١٢
حتى اذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت	٢١٦	الاعراف	٥٧
والفلك التي تجري في البحر	٢١٦	البقرة	١٦٤
وترى الفلك مواخر فيه	٢١٦	النحل	١٤
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون	٢١٦	الشعراء	١١٩
متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان	٢١٦	الرحمن	٧٦
والنخل باسقات لها طلع نضيد	٢١٦	ق	١٠٠
كأنهم أعجاز نخل منقعر	٢١٦	القمر	٢٠
والملائكة بعد ذلك ظهير	٢١٧	التحريم	٤
يوم تجد كل نفس ما عملت	٢١٧	آل عمران	٣٠
ثم توفى كل نفس ما كسبت	٢١٧	آل عمران	١٦٣
وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها	٢١٧	آل عمران	١٠٣
كل نفس ذائقة الموت	٢١٧	آل عمران	١٨٥
ان رحمة الله قريب من المحسنين	٢١٨	الاعراف	٥٦

فهرس بأهم مصادر البحث

المصادر العربية :

المجــلات

مجلة كلية الآداب والعلوم ، بغداد ١٩٥٨م .

مجلة الاستاذ ، بغداد ١٩٦٦م .

الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، القاهرة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م .

احياء النحو ، ابراهيم مصطفى ، القاهرة ١٩٣٧م .

أخبار النحويين البصريين ، السيرافي ، بيروت ١٩٣٦ م .

أدب الكاتب ، ابن قتيبة ، القاهرة ١٣٥٥هـ .

أساس البلاغة ، الزمخشري ، القاهرة ١٣٤١هـ .

اسرار العربية ، ابن الانباري ، ليدن ، ١٨٨٦م .

الأشباه والنظائر ، السيوطي ، حيدر آباد .

الاشتقاق ، ابن دريد ، القاهرة ١٩٥٨م .

الاشتقاق ، عبدالله أمين ، القاهرة ١٩٥٦م .

الاصابة ، ابن حجر ، القاهرة ١٣٥٨هـ .

الاغاني ، ابو الفرج الاصفاني ، القاهرة (ساسي) و (دار الكتب) .

الاقتضاب ، ابن السيد البطليوسي ، بيروت ١٩٠١م .

إنباه الرواة على أنباه النحاة ، القفطي القاهرة ١٩٥٠م ــ ١٩٥٥م .

الانصاف في مسائل الخلاف ، ابن الانباري القاهرة ١٣٦٤هـ .

الايضاح في علل النحو ، الزجاجي (تحقيق مازن المبارك) القاهرة .

البخلاء ، الجاحظ ، القاهرة (تحقيق طه الحاجرى) ، دمشق (مكتب النشر العربي).

بغية الوعاة ، السيوطي القاهرة ١٣٢٦هـ .

البيان والتبيين ، الجاحظ ، القاهرة ١٩٤٨م ــ ١٩٥٠م .

تاج العروس ، الزبيدي ، مصر ١٣٠٧ هـ .
تاريخ اللغات السامية ، اسرائيل والفنسون ، القاهرة ١٩٢٩م .
التطور النحوي ، برجشتراسر ، القاهرة ١٩٢٩م .
تلخيص المفتاح ، القزويني .
الجمل ، الزجاجي (تحقيق ابن شنب) باريس .
الجمهرة ، ابن دريد ، حيدر آباد (١٣٤٤ – ١٣٥١هـ) .
حاشية الصبان على الاشموني ، مصر .
الحيوان ، الجاحظ (تحقيق عبدالسلام محمد هارون) .
الخصائص ، ابن جني ، القاهرة ١٩٥٦م .
دراسات نقدية في النحو العربي ، عبدالرحمن أيوب القاهرة ١٩٥٧م .
دراسات في اللغة ، ابراهيم السامرائي بغداد ١٩٦١م .
الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي ، القاهرة ١٩٤٧م .
شرح الاشموني على ألفية ابن مالك ، القاهرة ١٩٤٧م .
شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، الاستانة ١٣١٠هـ .
شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ، القاهرة (بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد وآخرين) .
شرح الشواهد الكبرى ، العيني (على هامش خزانة البغدادي) .
شرح المفصل ، ابن يعيش (الطبعة المصرية) .
الصاحبي ، وابن فارس ، القاهرة ١٩١٠م .
الصحاح ، الجوهري ، القاهرة (بتحقيق أحمد عبدالغفور عطار) .
فقه اللغة ، الثعالبي ، القاهرة (مطبعة الاستقامة) .
فقه اللغة ، علي عبدالواحد وافي ، القاهرة ١٩٥٠م .
في النحو العربي ، مهدي المخزومي ، بيروت ١٩٦٤م .
القاموس المحيط ، الفيروزابادي ، القاهرة ١٣٣٢هـ .
الكتاب ، سيبويه ، بولاق ١٣١٦هـ .
الكشاف ، الزمخشري ، القاهرة ١٩٤٦م .
لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ١٩٥٥ – ١٩٥٦م .

المباحث اللغوية في العراق ، مصطفى جواد ، القاهرة ١٩٥٥م .
مدرسة الكوفة ، مهدي المخزومي ، بغداد ١٩٥٥م .
المزهر ، السيوطي ، القاهرة (مطبعة السعادة) .
معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، القاهرة ١٣٦٨هـ .
المفصل ، الزمخشري ، (الطبعة المصرية) .
مغني اللبيب ، ابن هشام ، القاهرة ١٣١٧هـ .
من اسرار اللغة ، ابراهيم أنيس ، القاهرة (مكتبة الانجلو) .
همع الهوامع ، السيوطي ، القاهرة ١٣٢٧هـ .
وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، القاهرة (بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد) .